برنارد شو

ميجر باربره

ترجمة: انيس زكي حسن



برنارد شو

ميجر باربارة

المقدمة والمسرحية

نقلها إلى العربية

أنيس زكي حسن



لمحة عن المؤلف

ولد برناردشو في دبلن ، من عائلة بروتستانتية ، في عام ١٨٥٦ ومات في آيوت سانت لورنس ، هيرتس ، في عام ١٩٥٠ .

بدأ بداية غير حقيقية أو أصيلة ، بكتابة القصص على طراز القرن التاسع عشر ، واشتهر في دنيـا الصحافة ونقد الكتب والافلام والموسيقى والمسرح . وفي أثناء ذلك انهمك في الانتعاش الاشتراكي الذي عرفته فترة الثمانينات في القرن التاسع عشر (١٨٨٠ - ١٨٩٠) ، وبرز باعتباره زعيم من الزعماء الذين قادوا الجمعية الفابية ، ولم يشتهر بكتابة الكراريس والخطابة وحسب،وانما بكونه اقتصادياً وفيلسوفاً جاداً أيضاً ، ونشر مقالات خطيرة الشأن عن إبسن وفاغنر . واتجه اتجاهه الجديد في عام ١٨٩٢ كـكاتب مسرحي ، رغم انــه لم يستطع ان يتغلب على المعارضة التي كانت تنهض في وجهه دائماً الا بعد مضي اثنتي عشرة سنة ، وبذلك صار برناردشو قوة لا تضارعها قوة أخرى في دنيا المسرح .

هذه المسرحية :

مثلت لأول مرة في عام ١٩٠٥ في مسرح كورت ثييتر في لندن ونشرت لأول مرة بشكلها الأصلي في عام ١٩٠٧ وظهرت على الشاشة في عام ١٩٤١ .

تنويه من برنارد شو :

ان الابيات التي تتنفس باجواء يوريبيدس في الفصل الثـــاني من ميجر

باربارة ليست من تأليفي كما انها ليست مقتطفة من يوريبيدس ، وانما هي بقلم البروفسور جلبرت موراي الذي دخلت ترجمته الانكليزية لـ « وصيفات باخوس » في أدبنا المسرحي بكل ما يمكن أن يتوفر للعمل الاصيل من قوة وذلك بفترة قصيرة قبل أن أبدأ بتأليف ميجر باربارة . ولهذا فان هـذه المسرحية مدينة للبروفسور موراي بالكثير .

برنارد شو

الفهرس

مقدمة

« اسعاف » للنقاد

بقلم جورج برنارد شو

قبل أن أتناول النواحي العميقة في مسرحية ميجر بارباره ، دعني ، من أجل الادب الانكليزي ، احتج على عادة غير وطنية انحدر اليها العديد من نقادي . فكلما نظروا اليّ باعتباري خارجاً تماماً عن نطاق أي راعٍ عادي لكنيسة من كنائس الضواحي ، انتهوا الى انني من أصداء شوبنهاور ، أو نيتشه أو ابسن او سترندبرغ او تولستوي ، أو مهرطق آخر في شمال أو شرق أوروبا .

واعتقد أن هنالك شيئاً من المديح في هذا الايمان المتواضع بما حققته باعتباري لغوياً وببراعتي فيلسوفاً .ولكنني لما استطع ان اواجه الافتراض القائل بان الحياة والأدب فقيران في هذه الجزر بحيث اننا يجب أن نلجأ الى الخارج بحثاً عن مادة للدراما ، مادة ليست عادية ، وعن افكار ليست سطحية . ولهذا فانني اجازف بان أضع في يد نقادي بعض الحقائق الخاصة بصلتي بالافكار الحديثة .

لقد كتب قاص ايرلندي يدعى تشارلز ليفر قبل حوالي خمسين عاماً قصة بعنوان : « ركوب يوم ، حكاية حياة » وقد نشرها له تشارلز دكنز في دار هاوسهولد وردز ووجدها الجمهور غريبة على ذوقه الى درجة ان دكنز

طلب من ليفر ان يلخصها . وقد قرأت نتفـــا من هذه القصة في صباي فتركت أثراً باقياً في نفسي . كان البطل رومانتيكياً جداً ، يحاول ان يعيش في عالم من الشجاعة والفروسية والقوة عبر خياله المحض ، دون أن تكون لديه الشجاعة أو الوسيلة أو المعرفة أو المهارة ، دون ان يكون لديه أي شيء حقيقي غير شهواته الجسدية . وحتى حين كنت صبياً،وجدت في صراع هذا الشيطان الفاشل مع حقائق الحياة صفة مريرة لم اكن اجدها في القصص الرومانتيكية . وبالرغم من فشل الكتاب ، فانه لم يمت : اذ رأيت عنوانه قبل يومين في قائمة مطبوعات مؤسسة توشنيتز .

فلماذا ، حين اتناول بالسخرية التراجيدية – الكوميدية ذلك الصراع بين الحياة الحقيقية والخيال الرومانتيكي ، لا يقرن النقاد إسمي بذلك المؤلف من أبناء وطني ، الذي سبقني مباشرة : تشارلز ليفر ، في حين انهم يرجعون بي بكل ثقـــة الى مؤلف نرويجي لا أعرف من لغته غير ثلاث كلمات ، ولم أعرف عنه شيئاً الا بعد مضي سنوات على اعلان وجهة النظر الشافية [1] بصورة غامضة في كتب امتلأت بما كان سيسمى بعد عشر سنوات ، تسمية لا عناية فيها ولا اكتراث ، الابسنية [2] ؟ ولكنني لم اكن إبسنيـــاً على الاطلاق ، لأن ليفر ، بالرغم من أنه ربما يكون قد قرأ هنري بيل (الذي يسمى ستندال) ، لا يمكن أن يكون قد قرأ إبسن . ولست أعرف شيئاً عن الكتب التي منحت ليفر الشهرة ، مثل « تشارلز أومالي » و« هاري لوركير » الا أسماءها وبعض الصور فيها. ولكن قصة ركوب نهار ، وحكاية حياة بوتس (الذي يدّعي بأنه مثل بوزو دي بورغو) سيطرت عليّ وخلبت لبي باعتبارها شيئاً غريباً ذا مدلول خاص ، رغم انني كنت اعرف اشيـــاء كثيرة عن النشار ودون كيشوت وسيمون ثابرتي وآخرين من الابطال الرومانتيكيين الذين يسخر منهم الواقع . وقد صارت تلك السخرية مألوفة

(١) نسبة الى برنارد شو .
(٢) نسبة الى ابسن .

لدى كل من شبع من قراءة الكتب ، من مسرحيات ارستوفان الى حكايات ستيفنسن .

فاين هي الجدة اذن في حكاية ليفر ؟ اعتقد ان بعضها موجود في الجدية الطارئة التي تتجلى في تناوله لمسألة مرض بوتس . فقد كان التعارض بين الجنون والعقل يعتبر في الماضي كوميدياً . ان هوكارث يرينا كيف ان المرموقين من النـــاس كانوا يذهبون في جماعات الى بيدلام ليضحكوا من المجانين . بل قدْ عرض عليّ في يوم من الايام واحد من حمقى القرية للسخرية منه باعتباره شيئاً مضحكاً . وكان المجنون على المسرح شخصية كوميدية دائمـاً : وكان ذلك هو الذي جعل شخصية هاملت ترى المسرح قبل ان يتناولها شكسبير . وكانت احالة مسرحية شكسبير تكمن في أنه تناول المجنون بالعطف والجدية ، جاعلاً منــه تقدماً نحو الادراك الشرقي للاحتمال القائل بان المجنون قد يكون الهاماً متخفياً ، ما دام الانسان الذي يتمتــع بذهنية اعظم من ذهنيات الناس يظهر لهم بالضرورة في مظهر المجنون الذي تكون ذهنيته أقـــل شأناً من ذهنياتهم . ولكن شكسبير لم يفعل ببستل وبارولز ما فعله بهاملت .لأن النوع الخاص من الجنون الذي يمثلانه ، وتزييف الرومانتيكية الذي يتجلى فيهما هو خارج عن نطاق التعاطف الأدبي : كان ذلك النوع موضعاً للسخرية والاهانة هنا ، كما كان في الشرق تحت اسم النشار . وكان مقدراً له ان يصبح بعد مضي مئات السنين سيمون ثابرتي .

وحين انكب سرفانتس على دون كيشوت ودكنز على بكويك ، لم يكونا بعيدين عن التحيز : وانما غيرا موقفيهما فقط ، وصارا صديقين لهذه الشخصية مدافعين عنها ، في حين كان الكتّاب في الماضي يسخرون منها .

وهنالك في قصة ليفر تغير حقيقي في موقف المؤلف من الشخصية . فليس هنالك انعطاف نحو بوتس ، اذ انه لا يظفر بعطفنا مثل دون كيشوت وبكويك : بل ليس فيه شيء من شجاعة ثابرتي الحمقاء . ولكننا لا نجرؤ على الضحك منه ، لاننا نكتشف شيئاً من انفسنا في بوتس . وقد يكون بعضنا

قوي الاعصاب ، او العضل او الحظ او شديد الخبرة والمهـــارة ، أو ذا شجاعة أدبية أو معرفة بحيث يستطيــع ان يدبر أموره بصورة أفضل ممـا فعل بوتس ، ويؤثر على النـاس الذين واجههم ، ويفتن كاتينكا (التي تهجر بوتس بلا اكتراث في نهاية القصة) ، ولكننا مع ذلك نعرف ان بوتس يلعب دوراً كبيراً في نفوسنا وفي العالم ، وان المشكلة الاجتماعية ليست مشكلة ابطال الكتب القصصية ذات الطراز القديم ، وانما هي مشكلة امثال بوتس ، ومشكلة تحويل امثـال هؤلاء الى بشر . وتكراراً لعبارة سابقة كنت قد قلتها ، أقول اننا نشعر – ذلك الشعور الذي لم يمنحنا اياه النشار وبستل وبارولز وثابرتي – بان بوتس هو جزء من تاريخ طبيعي علمي حقاً ، باعتباره متميزاً عن رواية القصص المضحكة . ان المؤلف لا يقذف بحجر مخلوقاً من صنع آخر ، رغم كونه اقل مستوى ، وانما يعترف ، وينجم من ذلك شعورنا بان الحجر يصيب كل واحد منا في صميم الضمير ، تاركاً اعتزازنا بانفسنـــا يتعذب بمرارة . ومن هنـــا ينشأ فشل كتاب ليفر في امتاع قراء مؤسسة هاوسهولد وردز . ان هذا العذاب الذي يعانيه الاعتزاز بالنفس في هذه الايام قد جعل النقاد يتخذون من الإبسنية ستاراً له ، ولهذا فانني اؤكد لهم ان ذلك الشعور فاجأني لأول مرة عند قراءتي لكتاب ليفر وربما عرفه ليفر حين قرأ بيل ، أو ربمـــا أخذه عن الجو الذي يميز ستندال على الأقل . وانني استبعد الغرضية القائلة بان ذلك كان اصيلاً لدى ليفر لأن المرء لا يمكن ان يكون اصيلاً تماماً في الشعور بهذا اكثر من امكانية نمو الشجرة من الهواء .

وهنالك خطأ آخر فيما يخص اسلافي الادباء ويظهر هذا الخطأ كلما خرقت التقليد الرومانتيكي القائل بأن كل النســـاء هن ملائكة حين لا يكن من الشياطين ، وبأنهن أجمل من الرجال ، وأن دورهن في الغزل سلبي تماماً ، وان قوام الانثى البشرية هو أجمل شيء في الطبيعة . لقد كتب شوبنهاور مقالاً حاقداً كان ، باعتباره غير مؤدب أو عميق ، موجهاً لمهاجمة هذا الهراء مهاجمة عنيفة . وكم رأينا الكتّاب يقتطفون منه العبارة التي يصف فيهـــا

القوام الانثوي المعبود بالقبح . وقد قرأ النقاد الانكليز تلك العبارة ، وعليّ ان أؤكد هنا ، بالرقة التي يمكن ان يتيحها مدلول كلامي ، انه ما يزال عليهم ان يثبتوا أنهم قد تعمقوا اكثر من ذلك . ومع هذا ، فكلما صور كاتب مسرحي انكليزي شخصية امرأة شابة على اهبة الزواج باية طريقة الا باعتبارها بطلة رومانتيكية ، فان النقاد يجزمون ، دون أي تروٍّ أو تفكير ، بان ذلك هو من أصداء شوبنهاور . أما قضيتي فهي قضية صعبة بصورة خاصة ، لانني حين أرجو من النقاد الذين تهيمن عليهم القاعدة الشوبنهاورية ان يتذكروا ان كتاب المسرحية هم كالنحاتين ، يدرسون اشخاصهم في الحياة ، وليس في المقالات الفلسفية ، يجيبوني بحماسة بانني لست كاتباً مسرحياً ، وبأن شخوصي المسرحية لا تعيش . ومع ذلك فانه في وسعي أن أسألهم ، بل انني لأسألهم حقاً ، اذا كان عليهم أن يرجعوا بمسرحياتي الى أفكار أحد الفلاسفة ، لماذا لا يعودون بها الى افكار فيلسوف انكليزي ؟ فقبل ان أقرأ أي حرف لشوبنهاور بزمن طويل ، بل قبل ان اعرف هل هو فيلسوف أم كيميائي ، كان الانتعاش الاشتراكي في الثمانينات من القرن التاسع عشر قد وطد صلتي ، أدبياً وشخصياً ، بأرنست بيلفورت باكس ، وهو اشتراكي انكليزي وكاتب فلسفي ، وقد كانت آراؤه في الأنوثةالحديثة كفيلة بان تجعل شوبنهاور نفسه يحتج دفاعاً عن الرومانتيكية، بل تجعل سترندبرغ نفسه يفعل ذلك . والحق انني لم الاحظ حملات شوبنهاور على النساء حين رأيتها بعد ذلك ، وانما كان باكس قد جعلني ادرك الموقف المتحيز ضد الجنس الآخر ، واضطرني الى الاعتراف بمدى فساد الرأي العام، وبالتالي التشريع والمحلفين ، بسبب العاطفه الانثوية .

ولم تقتصر مقالات بيلفورت باكس على مسألة الانوثة . فقد كان ناقداً قاسياً للاخلاقية التي كانت سائدة. وقد ظفر كتاب آخرون بشيء من العطف للمجرمين الذين صوروهم في المسرحيات وذلك باظهارهم ما يزعمونه من « روح الخير في الأشياء الشريرة » ، أما باكس فقد وضع موضع البحث

خرقاً غير دراماتيكي ، من الواضح انه تافه ، لقوانيننا التجارية والخلقية ، ولم يدافع مجرد دفاع عن هذا الخرق بأشد ما يمكن استخدامه من نبوغ يقلب الأشياء رأساً على عقب ، وانما أثبت بالفعل ان هذا الخرق هو واجب ايجابي لا يمكن الا لحتمية الرادع البوليسي أن تمنع كل شخص ذي عقل قادر على رؤية الحق من أن يفعل ذلك بدافع من مبدأ ما . وكان من الطبيعي أن يصدم ذلك الاشتراكيين لانهم اشد الناس اخلاقية ، ولكنهم نجوا بعد ذلك، على كل حال ، من الضلال القائل بأنه لم يستطع أحد غير نيتشه أن يتحدى أخلاقيتنا التجارية — المسيحية . وكنت سمعت باسم نيتشه لأول مرة من عالمة رياضية ألمانية هي الآنسة بورخاردت وكانت قد قرأت كتابي جوهر الابسنية وأخبرتني بأنها استطاعت أن تعرف الكتب التي كنت أقرأها : « ينزايتز فون كوت أونت بيسه » ، لنيتشه . واعترض هنا قائلاً انني لم اكن قد رأيت ذلك قط ولم يكن في وسعي أن أقرأه قراءة سهلة مطلقاً ، لحاجتي الى اللغة الالمانية ، لو كنت رأيته على كل حال .

ان نيتشه هو مثل شوبنهاور في أنه وقع ، في انكلتره ، ضحية عبارة واحدة راح الناس يقتطفونها دائماً : « شقراء شامخة شرسة » . ويفترض الناس ان نيتشه استطاع بما وضعه في هذه العبارة من تشابه في بدايات كلماتها أن يكسب شهرة في اوروبا بتمجيده الذي لا معنى فيه للتطفل الأناني كقاعدة للحياة ، تماماً كما افترض الناس ، مستندين على كلمة واحدة هي السوبرمان (إوبرمينش) ، التي استعرتها من نيتشه ، انني أسعى الى انقاذ المجتمع بواسطة طغيان سوبرمان نابليوني واحد ، رغم انني اعتنيت كثيراً باظهار حماقة هذه الدعوى العتيقة . بل ان النقاد الأقل سطحية ورعونة أيضاً يعتقدون بأن الاعتراض الحديث على المسيحية باعتبارها اخلاقية العبد المدمرة قد جاء لأول مرة على لسان نيتشه . ولكن ذلك الاعتراض ورد أمامي قبل ذلك ، قبل ان اسمع شيئاً عن نيتشه . ذلك لأن الكابتن ولسن الراحل ، مؤلف عدد من الكراسات الغريبة والذي كان يدعو الى نظام

ميتافيزيـكي يسميه « مبدأ الفهم » ، ومخترع اصطلاح « Crossianity »[1] (مبدأ الصليب) ، لتمييز العنصر الرجعي في عالم المسيحية ، هذا الرجل كان معروفاً قبل ثلاثين سنة ، في بحوث المجتمع الديالكتيكي ، بانه احتج بصرامة ضد بركات موعظة الجبل وقال انها اعذار للجبن والعبودية ، تقضي على رادتنا ، وكذلك على شرفنـــا ورجولتنا . صحيـح ان نقد الـكابتن ولسن للمسيحية لم يكن نظرية تاريخية لها ، كنظرية نيتشه ، ولكننا لا نستطيـع أن نوجه هذا الاعتراض الى ستيوارت – غليني الذي اعقب باكل مؤرخاً فيلسوفاً ، والذي كرس حياته لتفسير وللدعاية لنظريته القائلة بأن المسيحية هي جزء من فترة (أو انها ضلال ، لانها بدأت في الواقع في عام ٦٠٠٠ قبل المسيـح ، وهي تتدهور الآن) انتجتها الحاجة التي شعرت بها الاقليات البيضاء للسيطرة على الاغلبية الملونة بواسطة اتخاذ مهنة الدين ، جاعلة من العبودية والخضوع في هذا العالم فضيلة وديناً عاماً ، لا باعتبار هذا وسيلة لتحقيق الشخصية القدسية وانما لضمان المـكافأة في الجنة . وفي هذا تكمن آراء عن اخلاقية العبد جاء بها فيلسوف اسكتلندي من معارفي قبل أن نسمع أو نثرثر عن نيتشه بوقت طويل .

وفي الوقت الذي تتبـع فيه ستيوارت – غليني تطور المجتمع حتى صراع الاجناس ، اجتذبت نظريته اهتمام الاشتراكيين – ي بين القوم الوحيدين الذين كانوا يفكرون تفكيراً جدياً في التطور التاريخي – وذلك لاصطدام هذه النظرية بنظرية كارل ماركس عن صراع الطبقات . أما نيتشه ، حسب اعتقادي ، فقد اعتبر اخلاقية العبـــد من اختراع العبيد الذين فرضوها على العالم والذين جعلوا الضرورة فضيلة ومن عبوديتهم ديناً ، في حين أن ستيوارت – غليني اعتبر اخلاقية العبد من اختراع الجنس الابيض المتفوق لاخضاع عقول الاجناس الواطئة الذين أراد البيض استغلالهم ، والذين كانوا

---

(١) تحوير لكلمة Christianity التي تعني « المسيحية » ، والاضافة الجديدة Cross ، تشير الى « الصليب » الذي صلب عليه المسيـح ، بدلا من كلمة Christ « المسيـح » .

سيدمرون البيض بفضل عددهم الكبير لو لم يتم اخضاع عقولهم . ولما كان هذا ما يزال يجري ، ومن الممكن دراسته ، لا في مدارس كنائسنا وفي الصراع بين طبقاتنا الحديثة المالكة وبين البروليتاريا وحسب ، وانما في الدور الذي يلعبه المبعوثون والمبشرون المسيحيون أيضاً في اعادة الاجناس الافريقية السوداء الى حضيرة الخضوع للاستعمار الأوروبي ، فاننا نستطيع ان نقرر لأنفسنا ما اذا كانت الخطوة الأولى قد تمت من أعلى او من أسفل . واست أهدف هنا الى مناقشة هذه النقطة التاريخية ،وانما الى جعل نقادنا المسرحيين يخجلون من عادتهم في معاملة بريطانيا باعتبارها خواء ثقافياً ، مفترضين ان كل فكرة فلسفية وكل نظرية تاريخية وكل نقد لاخلاقنا وديننا وقضائنا لا بد ان يكون بالضرورة إما أجنبياً أو تدفقاً خيالياً (من الممكن توجيه النقد الى الذوق المتمثل فيه)، لا يمت بأية صلة لما هو موجود من الافكار . انني اطلب منهم ان يتذكروا ان هذه الافكار تمثل أبطأ النمو واشد الأزهار ندرة ، وانه اذا كان هنالك في دنيا الفلسفة شيء اعتيادي فهو انه لا يستطيع فرد ان يضيف الى تلك الفلسفة اكثر من ذرة صغيرة . بل ان مفهومهم عن الاشخاص البارعين الذين يستطيعون من عندياتهم أن يأتوا بنظريات أصيلة كاملة عن الكون بسبب من نبوغهم وحسب ، هو جزء من تلك البلاهة الغبية التي هي سبب يأس الفيلسوف الصادق المخلص، وانتهازية رجل الدين المخادع المحتال .

انجيل سانت أندرو أندرشافت

ان هذه البلاهة هي التي تدفعني الى مساعدة نقادي في مسرحية ميجر باربارة، وذلك بإخبارهم كيف ينقدونها . فقد صورت في المليونير أندرشافت رجلاً اصبح مدركاً ادراكاً ذهنياً وروحياً وعملياً للحقيقة الطبيعية الحتمية التي نكرهها ونتملص منها كلنا : أن نعرف أن أشد شرورنا وأسوأ جرائمنا هو الحرمان ،وان واجبنا الأول ، الذي يجب ان نضحي من أجله بكل شيء

آخر ، هو ألا نكون فقراء . ان عبارات مثل : « فقير ولكنه أمين » .. « الفقراء المحترمون » ... هي في صلافة وسوء عبارات مثـــل : « سكير ولكنـه لطيف » ... « مخادع ولكنه لطيف الحديث بعد العشاء » .. « مجرم رائع » وما شابه ذلك . ان الامن ، الذي هو الادعاء الرئيسي الذي تدعيه الحضارة ، لا يمكن أن يتوفر حيث يتهدده أسوأ الأخطار ، خطر الفاقة ، كل فرد ، وحيث تكون الحماية المزعومة لاشخاصنا من العنف نتيجة عرضية فقط لوجود قوة الشرطة التي نجد أن شغلها الحقيقي هو أن تضطر الشخص الفقير أن يرى اطفاله يتضورون جوعاً في حين يقوم الناس الكسالى باطعام كلابهم التي يربونها بالمـــال الذي يمكن أن يطعم ويكسو أولئك الاطفال .

من الصعب جداً أن تجعل الناس يدركون أن الشر هو شر . نحن مثلا نقبض على رجل ونصيبه بضرر خبيث متعمد : فنودعه السجن لسنوات . ان المرء لا يحتاج الى الكثير من الادراك ليعرف أن في هذا العمل قسوة شيطانية . ولكن مثل هذا الادراك يثير في انكلتره نظرات الدهشة التي تعقبها تفسيرات تقول بأن ذلك الاضطهاد هو عقاب أو عدالة او شيء آخر لا غبار عليها ، أو تعقبها محاولة حامية لمناقشة الفكرة القائلة بأننا سنكون جميعاً ضحية السرقة او الذبـح في الفراش اذا لم ترتكب مثل هذه النذالات الحمقاء يومياً : ما يسمى عقوبات السجن . ومن غير المجدي ان نناقش قائلين انه حتى اذا كان هذا صحيحـــاً ، وهو غير صحيـح ، فان البديل لاضافة جرائم من عندنا على الجرائم المرتكبة التي نقاسي منها لا يكون في الخضوع الذي لا نستطيـع معه أن نفعل شيئـاً . ان طاعون الدجاج هو شر ، الا انني اذا اعلنت اننا يجب أن نخضع له أو ان نقضي عليه بصرامة بأن نقبض على كل من يقاسي منه ونعاقبه بالتطعيم بالجدري فان الناس سيضحكون مني ، لأنه بالرغم من انه لا يستطيـع أحد أن ينكر أن النتيجة ستكون القضاء على الجدري الى حد ما بان نجعل الناس يتجنبونه باعتناء أشد ، وبان

نضطرهم في هذه الحالة الى اخفائه خائفين ، الا ان الناس سيكونون على ادراك كاف ليجعلهم يرون أن نشر الجدري عمداً هو خلق للشر ، ولهذا يجب التخلي عن ذلك واللجوء الى اجراءات انسانية وصحية خالصة . ومع ذلك فاذا نظرنا الى المثال المشابه ، مسألة اللص الذي يقتحم بيتي ويسرق مجوهرات زوجتي ، نجد أنني استطيع أن أسرق عشر سنوات من حياته ، معذباً اياه طول الوقت . فاذا حاول أن يدحر تلك الوسيلة المرعبة بأن يطلق النار علي ، فان الذين يعيشون بعدي سيشنقونه . والنتيجة الباقيـــة التي توحي بهـــا احصائيات البوليس هي أننا نفرض أضراراً قاسية على اللصوص الذين نقبض عليهم لـكي نجعل الآخرين يأخذونالاحتياطات الكافية ضد القبض عليهم ، وبذلـــك ، بدلا من ان ننقذ مجوهرات زوجاتنا من اللصوصية نخفض الى حد كبير فرصنا في الحصول على تلك المجوهرات بعد ذلك ، ونزيد من الفرص التي يحتمل فيها أن يطلق اللصوص النار علينا اذا دفعنا سوء حظنا الى مقاطعتهم اثناء عملهم . ولكن الطريقة الشريرة ، التي لا نتوقف لنفكر فيها ، والتي نقذف بها احكام السجن هنا وهناك ، ونعذب الاشخاص في الزنزانات الانفرادية وعلى الاسرّة المدببة ، اولئك الاشخاص معتلي الاخلاق والعصاة المتحمسين ، هي ليست شيئاً بمقارنتها باللاكتراث الأحمق الذي نحتمل به الفاقة وكأنها دواء مقوٍ للناس الكسالى أو فضيلة يجب الالتزام بها كما فعل سانت فرانسيس . فاذا كان المرء كسولاً فليكن فقيراً ، اذا كان سكيراً فليكن فقيراً ، اذا لم يكن رجـــلا مهذباً فليكن فقيراً ، اذا كان مولعاً بالفنون الجميلة او بالعلم الخالص بدلاً من التجارة أو المال ، فليكن فقيراً ، واذا أراد ان ينفق الدراهم الثمانية عشر التي يحصل عليها في كل اسبوع في المدينة أو الدراهم الثلاثة عشر التي يحصل عليها في الحقل ، على شرب البيرة وعلى عائلته ، بدلاً من ادخارها لايام شيخوخته ، فليكن فقيراً . ولا تدع شيئاً يتم من اجل « الذين لا يستحقون » : ليكونوا فقراء ، فذلك هو جزاؤهم ! وفضـــلاً عن ذلك – وفي هذا شيء من عدم التوافق – مباركون هم الفقراء !

والآن ماذا تعني هذه العبارة : ليكن فقيراً ؟ انها تعني : ليكن ضعيفاً، ليكن أمياً جاهلاً ، ليكن بذرة للمرض،ليكن معرضاً قائماً للقبح والقذارة، ليكن له اطفال ضعاف هزيلو الاجسام ، ليكن رخيصاً وليضطر زملاءه على الهبوط الى السعر الذي يعرضه لأنه يبيع نفسه ليقوم باعمالهم ، لتكن منطقة سكناه سبباً في كون مدننا مجموعة من الاحياء الفقيرة القذرة ، ودع بناته يصبن شباننا بأمراض الشارع ، ودع ابناءه ينتقمون له بان يحولوا رجولة الأمة الى غباء ، وجبن وقسوة ونفاق وضعف سياسي ، وكل ما يمكن ان يسببه الاضطهاد وسوء التغذية من نقائص أخرى . دع الذي لا يستحق ينحدر اكثر فاكثر في حضيض اللااستحقاق ، ودع الذي يستحق يكوم لنفسه ، لا خزائن في الجنة وانما رعباً في النار فوق الأرض . فاذا كان الأمر كذلك ، فهل من العقل والحكمة ان تتركه فقيراً ؟ ألن يقل ضرره عشرات المرات اذا كان لصاً ، او مسبباً للحرائق المتعمدة ، أو فاتكاً بالاعراض او قاتلاً غنياً ؟ ألن يقل ضرره الى ابعد حد من حدود دوافع الانسانية المهملة في هذه الاتجاهات ؟ لنفرض اننا كنا سنلغي كل العقوبات المفروضة على مثل تلك النشاطات ونقرر أن الحرمان والفاقة هما الشيء الوحيد الذي لن نسمح به – وأن كل بالغ يملك أقل من ٣٦٥ جنيها في العام يقتل بدون أن يتألم ، ولكن بدون أن يكون هنالك أمل في اعفائه ، وأن كل طفل جائع نصف عار يجب أن يشبع ويكسى ، ألا يكون هذا تحسيناً هائلاً لنظامنا الحالي ، الذي دمر الى حد الآن عدداً كبيراً من الحضارات والذي نراه يدمر حضاراتنا بالطريقة ذاتها ؟

فهل هنالك اية بذرة لمثل هذا التشريع في نظامنا البرلماني ؟ حسناً ، هنالك إجراءان ظهرا في الآونة الاخيرة في التربة السياسية ، يمكن أن ينموا ليكونا شيئاً ذا قيمة . أولهما هو تعيين حد أدنى للاجور ، والآخر هو تقاعد العجائز . ولكن هنالك خطة افضل من كليهما . لقد ذكرت قبل فترة موضوع تخصيصات التقاعد العامة للعجائز وذلك لزميلي الاشتراكي

كوبدن ساندرسن المشهور بفنه الرائع في تجليد الكتب والطباعة . وقال كوبدن ساندرسن : « لماذا لا يمنحون التقاعد بصورة عامة ومدى الحياة ؟» وبقوله هذا استطاع أن يحل المشكلة الصناعية بضربة واحدة . اننا نقول لكل مواطن في الوقت الحاضر ، بكل قسوة : « اذا كنت تريد المال فاكسبه » وكأن ملكيته للمال أو حرمانه منه كان أمراً يخصه هو وحده . بل اننا لا نوفر له حتى ولا فرصة الكسب : بالعكس ، اننا نسمح لصناعتنا بأن تنظم معتمدة اعتماداً مكشوفاً على ما يتوفر من « جيش احتياطي من العاطلين » من اجل « المرونة » . اما الاتجاه المعقول فهو ذلك الذي أشار اليه كوبدن ساندرسن : أي اعطاء كل انسان ما يكفيه ليعيش عيشة مريحة ، وذلك لتخليص المجموع من احتمال معاناة مرضى الفاقة ، ثم (بالضرورة) العمل على جعل كل انسان منتجاً ليستحق ما يأخذه .

ان اندرشافت ، بطل مسرحية ميجر باربارة هو ، ببساطة ، رجل أدرك الفقر جريمة وعرف أنه حين قدم اليه المجتمع امكانيتين : أن يكون فقيراً ، او أن يتاجر تجارة رابحة بالموت والدمار ، فانه لم يقدم اليه فرصة للاختيار بين النذل الغني ، والطيب الفقير ، وانما بين المشروع الذي يتطلب النشاط ، وبين التسكع الجبان . وينجح سلوكه بمواجهة اختبار كانط ، في حين أن سلوك بيتر شيرلي يفشل . ان بيتر شيرلي هو ما نسميه الانسان الأمين الفقير . واندرشافت هو ما ندعوه : الغني الشرير : شيرلي هو لازاروس . حسناً ، ان شقاء العالم يرجع الى أن البشر عامة يفعلون ويفكرون تماماً كما يفعل ويفكر بيتر شيرلي . فاذا فعلوا وفكروا مثل اندرشافت فان النتيجة المباشرة ستكون ثورة لا تحصى فوائدها . ان أندرشافت يقول : ان ثراء الفرد هو بالنسبة لي شرف يستحق أن أقتل من أجله مجازفاً بحياتي نفسها . وهذا الاستعداد ، كما يقول اندرشافت هو الاختبار النهائي للاخلاص . انه مثل بطل فروسارت الذي رأى ان السرقة والاغتصاب هما حياة خيرة ، لا يريد ان يكون ضحية خداع عاطفة الجمهور

الموجهة ضد القتل الذي يدعو اليه اولئك الذين كانوا سيقتلون هم انفسهم لو لم يفعلوا ذلك ، ولا ضحية الشرف اللفظي الذي يسنده الى الحرمان والطاعة قوم اغنياء مستقلون لا يفعلون شيئاً وانما يريدون ان يسلبوا الفقير دون أن يكونوا شجعاناً ، وأن يأمروه دون أن يكونوا أفضل منه . ان فارس فروسارت ، بوضعه تحقيق حياة طيبة قبل كل الأمور الأخرى ، تلك الأمور التي لا تكون واجبات اطلاقاً حين تتعارض مع ذلك الهدف ، وانما تكون شراً وحسب - كان قد تصرف بشجاعة تستحق الاعجاب ، بل ان تصرفه هذا هو ، عند تحليله في النهاية ، منسجم مع الروحية العامة . ومن الناحية الأخرى ، فان مجتمع القرون الوسطى أساء التصرف حقاً حين نظم نفسه بحمق بحيث كانت النتيجة أن الحياة الطيبة يمكن أن تتحقق بطريق السرقة والاغتصاب كانا سيصبحان أقصر الطرق الى المشنقة ، ولا يختلف هذا عن أننا لو كنا جميعاً في مثل عزم ووضوح ادراك أندرشافت فان محاولة العيش بواسطة ما يدعى « الدخل المستقل » ستكون أقصر الطرق الى غرفة الاعدام . ولكن ، شكراً لغبائنا السياسي وجبننا الشخصي (وكلاهما من ثمار الفاقة) فان افضل مثال على الظفر بحياة طيبة الآن هو الدخل المستقل، إذ أن كل الناس العقلاء يهدفون الى الحصول على مثل هذا الدخل ، وهم بالطبع شديدو العناية بجعل ذلك مشروعاً ومتفقاً مع الأخلاق ، بالإضافة الى كل الأفعال والعاطفيات التي تقود الى ذلك وتؤيده باعتباره أسلوباً اجتماعياً . فماذا في وسعهم أن يفعلوا ، أفضل من ذلك ؟ انهم يعرفون بالطبع انهم أغنياء لأن الآخرين فقراء . ولكنهم لا يستطيعون ان يتخلوا عن ذلك : فعلى الفقراء أنفسهم أن يقضوا على الفاقة حين يعانون من المزيد منها ، ويمكن ان يتم ذلك ببساطة : ان المظاهر المعاكسة لذلك ، التي يقوم بها الاقتصاديون والمحكون والاخلاقيون والعاطفيون الذين يستأجرهم الأغنياء للدفاع عنهم ، او حتى اذا كان ذلك بدافع ذاتي في اولئك الناس ، يدفعهم الى ارضاء الأغنياء بسبب من حماقتهم او تعاستهم ، تلك المظاهر تؤثر فقط على اولئك الذين يريدون أن يتأثروا بها .

والسبب الذي يفسر عدم اتحاد دافعي الضرائب في الدفاع عن موقفهم هو انه ما دمنا لم نعد متجولين ، في القرون الوسطى ، في بلاد سكانهـــا قليلون جداً ، فان حرمان اولئك الذين نسرقهم يمنعنا من الحصول على الحياة الطيبة التي نضحي بهم من أجل الحصول عليها. ان الاغنياء أو الارستقراطيين الذين طوروا مفهومهم عن الحياة – امثـــال رسكن ووليم موريس وكروبوتكين – يتمتعون بشهوات اجتماعية هائلة ، وشهوات شخصية مترفة جداً لا يمكن اشباعها . انهم لا يقنعون بالبيوت الجميلة : انهم يريدون مدناً جميلة . وهم لا يقنعون بالزوجات اللواتي يحلين انفسهن بالجوهرات والبنات الجميلات : انهم يشكون ويتأففون لأن عاملة التنظيف عادية الملابس ، ولأن عاملة المكوى تفوح منها رائحة شراب الجن ، ولأن الخياطة مصابة بفقر الدم ، ولأن كل رجل يصادفونه ليس صديقاً وكل امرأة ليست قصة غرامية. انهم يغطون أنوفهم تجنباً لرائحة بالوعة الجيران ، وتزعجهم هندسة بيوت اولئك الجيران . ان النماذج التجارية التي يصنعها أصحابها لارضاء الناس الاعتياديين لا تسرهم (وهم لا يستطيعون أن يحصلوا على غير ذلك) : انهم لا يستطيعون أن يناموا أو يجلسوا على الاثاث الذي يصنعه النجارون . بل ان الهواء نفسه لا يصلح لهم : ففيه الكثير من دخان المصانع . انهم بالاضافة الى ذلك يطالبون بظروف مجردة : العدالة والشرف ، الجو الخلقي النبيل ، والروابط الصوفية ، بدلاً من روابط الدفع النقدي . وهم ، في النهاية ، يعلنون انه حتى اذا كنت تظفر بالحياة الطيبة بأن تسرق وتغتصب وأنت على فرسك مرتدٍ درعك الفولاذي ، فانه لا يمكن ان تكون حياة طيبة تلك التي تحصل عليها بواسطة الشرطي ووكيل القرية والجندي الذين تدفع اليهم أقل مما يستحقونه مقابل ذلك ، وانما تكون مثل تلك الحياة قاتلة لكل احتمال في الحصول على حياة من الممكن احتمالها . انهم يدعون الفقراء الى الثورة ، ولكنهم حين يجدون أن الفقراء لا يقرون بعدهم عن نبـــل الرجولة ، يبدأون بمهاجمة البروليتاريا ، لأنها لا تريد « عليها اللعنة ! » (فيردامته بيديور فنيسلوسيكايت Verdammte Bedürfnislosigkeit)

وعلى كل حال فان هجومهم ضد المجتمع حتى الآن ينقصه أن يكون مبسطاً . ان الفقراء لا يشاركونهم في اذواقهم ولا يفهمون الحياة الجمالية ولا نقدهم للفن . الفقراء لا يريدون الحيـــاة البسيطة ولا الحياة الجمالية ، بالعكس ، انهم يريدون أن يستمتعوا بالتفاهات العادية التي تكلف الكثير ، والتي يكرهها ويفر منها بعض المترفين المترفعين بين الاغنياء . واولئك لا يتخلصون من جريهم وراء تلك التفاهات التي لا تساوي شيئاً بالامتناع عنها وانما باتخام بطونهم بها . ولكنهم يكرهون الفاقة ويحتقرونها ويخجلون منها . فاذا طلبت منهم أن يدركوا الفرق بين العدد الخاص بالكريسماس من المجلة الاخبارية « لندن إللوسترتيد » وبين كيلمسكوت تشوسر فان ذلك لحماقة : انهم يفضلون الاخبار . ان الفرق الرئيسي بين قميص بائع الاسهم القذر وياقته المنشاة ، وقميص وليم موريس الغالي الملون بالأزرق الفاتح هو فرق يجعل وليم موريس في نظرهم شخصاً يستحق الازدراء ، هذا اذا تطرقوا الى الموضوع اطلاقاً ، اذ انهم سيدافعون عن الياقة المنشاة . فاذا قلت لهم : لا تكونوا عبيداً ، لعلكم تكونون بدلاً عن ذلك من المجانين ، فان ذلك لا يفيدك في شيء ، كما أنـــك لم تحسّن هذا النداء باستبدالك « قديسين » بمجانين . ذلك لان الكلمتين معاً تعنيان أصحاب النبوغ ، ولا يريد الشخص العادي أن يعيش حياة النابغة : انه يفضل ان يعيش حياة كلب اسكتلندي تربيه احدى العوائل ، اذا كان ذلك هو الامر الوحيد الذي يستطيـع ان يختاره بدلاً من ذلك . بيد أنه يريد المزيد من المال بالفعل . واذا كان حائراً بشأن قضايا أخرى ، فانه ليس حائراً على الاطلاق بشأن موقفه من المال . قد يفضـــل أو قد لا يفضل مسرحية « ميجر بارباره » على مسرحيات درووري لين الصامتة ، ولكنه دائماً يفضل خمسة آلاف جنيه على خمسة آلاف درهم . »

فاذا هاجمت هذا التفضيل وقلت أنه وضيـع ، وعلمت الاطفال انه من الخطيئة أن نشتهي المـــال ، فان ذلك يكون منك منتهى القحة والصلافة

والنفاق . ان اشتهاء المال الذي يشعر به الناس قاطبة هو الحقيقة الوحيدة التي يرجى منهـــا أمل ما في حضارتنا ، والجانب الصحيــح الوحيد في ضميرنا الاجتماعي . فالمال هو أهم شيء في العالم . انه يمثل الصحة والقوة والشرف والكرم والجمال ، كما أن الحاجة اليه تمثل بكل وضوح وجلاء ، المرض والضعف والضعة والحقارة والقذارة . ان اقل ما يمكن ان يقال في المال أنه يدمر الحقيرين ويقوي ويرفع من منزلة النبلاء . ولا يصبــح لعنة إلا حين ترخص قيمته بالنسبة للبعض حتى لا يعود يساوي شيئاً ، وترتفع قيمته بالنسبة للبعض الآخر حتى يكون مستحيلا . فهو ، باختصار ، يصبــح لعنة في تلك الظروف الاجتماعية الحمقاء التي تكون الحياة نفسها لعنة فيها . ذلك لأن الأمرين لا يمكن ان ينفصلا : فالمال هو المقابل الذي يتيــح تقسيم الحياة اجتماعياً : انه هو الحياة ، تماماً كما نجد أن العملات والأوراق النقدية هي مال . والواجب الاول الملقى على عاتق كل مواطن هو الاصرار على الحصول على المال مقابل شروط معقولة ، ولا يتم الاتفاق على هذا الطلب باعطـــاء أربعة رجال ثلاثة شلنات لقاء عشرة او اثنتيعشرة ساعة من تعب كل واحد منهم وباعطاء رجل واحد ألف جنيه لقــاء لا شيء . ان الحاجة التي تلح على الامة ليست الحاجة الى اخلاق افضل وخبز أرخص وصبر وحرية وثقافة وانقاذ للاخوات الخاطئات والاخوان الضالين ولا الى البركة والحب والرفقة المتجلية في « الاب والابن والروح القدس » ، وانما هي الحاجة الى المال . والشر الذي يجب أن نهاجمه هو ليس الخطيئة والعذاب والطمع والشعوذة والملكية والغوغائية والجهل والشراب والحرب والوباء ، كما أنه ليس أي شيء آخر من الاشياء التي يتذرع بها المصلحون ، وانما هو الفاقة .

ارفع عينيك لحظة واحدة عن أطراف الارض وانظر الى هذه الحقيقةالتي أضعها تحت أنفك ، وستجد ان آراء أندرو أندرشافت لن تحيرك أبداً. قد يحيرك فقطادراكه أنهليسغير أداة بيد ارادةاو قوة حياتية تستخدمه لتحقيق أهداف هي أوسع من أهدافه . فاذا كان الامر كذلك فانه يرجع الى انك

اما أن تكون سائراً في ظلام داروينية مزيفة ، او انك أحمق وحسب . ان اولئك المتدينين تديناً صادقاً يدركون هذا . فهم الذين يفهمون اندرشافت المتصوف ، كما يدركون فهمه الكامل لابنته المنتمية الى جيش الانقاذ ولعاشقها الجمهوري على طراز يوريبيدس . وهذا ليس أمراً جديداً حتى ولا على المسرح . أما الجديد في الامر ، كما أفهم أنا ، فهو ما يتجلى في تلك المادة من مواد دين أندرشافت ، التي تجد في المال الحاجة الاولى ، وفي الفاقة الخطيئة الكبرى التي يقترفها الانسان والمجتمع .

الحق انني لم اتوصل الى هذا المفهوم الدراماتيكي بنفسي ، كما انني لم استعره من نيتشه او من أي شخص آخر وراء القنال الانكليزي . لقد كان الكاتب الراحل صاموئيل بتلر الذي كان يعتبر في حقل اختصاصه اكبر كاتب انكليزي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، يحاول بثبات أن يوضح الحاجة الماسة والاخلاقية الكامنة في ، تطوير أشد موافقة للضمير للمبدأ اللاذقي [١] القديم ، وذلك بالنسبة للدين ، وكذلك الحاجة الى ادراك جدي ومستمر لاهمية المال . ان المرء ليصاب باليأس من الادب الانكليزي حين يرى دراسة رائعة للحياة الانكليزية مثل « نهاية الاجساد كلها » ، الكتاب الذي ظهر لبتلر بعد وفاته ، تحظى التأثير الضعيف ، بحيث أنني حين ألفت قبل سنوات بعض المسرحيات التي كانت فيها يد لا تنكر لآراء بتلر الجديدة ذات المدى البعيد في المستقبل بالنسبة لصحتها ونفاذها ، وجدت النقاد يسخرون بغموض مشيرين الى إبسن ونيتشه ، والشيء الوحيد الذي أشكرهم عليه هو انهم لم يرجعوا بتلك الافكار الى الفريد دي موسيه أو

(١) Laodiceanism ـ نسبة الى اللاذقية القديمة وهي مجموعة من المدن القديمة التي كانت تقع على نهر لايكس في فريجيا ،على الطريق بين ايونيا والفرات . والمدينة الرئيسية كانت مشهوره بتجارتها وثرائها وعلومها وفنونها ، خاصة الطب والفلسفة ، وكانت مركز الاسقفيات الاولى للمسيحية ، فبالرغم من ان المسيحية كانت تعتمد على الوحي ، الا أنه تأسس هنا مجلسان دينيان في ٣٦٣ و٤٧٦م بعد المسيح ، وقد قرر المجلس الاول صيغة الانجيل . انتهى تاريخ المدينة بعد الفتوحات الاسلامية وهي الآن خرائب . المترجم

الى جورج صاند . والواقع ان الانكليز لا يستحقون أن يكون لديهم أشخاص عظماء . لقد تركوا بتلر يموت دون أن يعرفه أحد ، في حين أنني أنا الايرلندي التافه بالنسبة لبتلر ، الصحافي فقط ، استطعت أن اقودهم من أنوفهم وأجبرهم على الاعلان عني ، الامر الذي جعل حياتي نفسها عبئاً ثقيلا . ان هنالك تذكاراً لصموئيل بتلر في صقلية ، فاذا مر انكليزي به تساءل : من هو صموئيل بتلر بحق الشيطان ؟ أو انه يستغرب من تذكر الصقليين لمؤلف « هوديبراس » [1] .

حسناً ، لا يمكننا أن ننكر أن الانكليز هم شديدو الحماس بحيث انهم لا يستطيعون ان يميزوا النابغة الا اذا اشار شخص ما اليه . ولما كنت قد أشرت الى نفسي ونجحت في الظفر باعترافهم بي ، فانني الآن أشير الى صموئيل بتلر وأثق بان النتيجة ستكون انني ساسمع في المستقبل كلاماً أقل غن جدة الأفكار وأصولها الأجنبية ، تلك الأفكار التي تأخذ طريقها الى المسرح الانكليزي الآن بأقلام الاشتراكيين . هنالك اشخاص أحياء يتمتعون بقوة ونبوغ واصالة لا تقل عن بتلر ، وستكتشف هذه الحقيقة بعد موتهم . وفي الوقت الحاضر لا املك الا ان أوصيهم بالاهتمام بقيمة هؤلاء الكتاب باعتبارها جزءاً من أعمالهم ذاتها .

جيش الخلاص

حين مثلت مسرحية « ميجر بارباره » في لندن ، ذكرت صحيفة شمالية لها مكانتها عن الفصل الثاني أنه يمثل هجوماً شديداً على جيش الخلاص ، وحملت صحيفة يومية لندنية على عبارات بارباره اليائسة وقالت أنها كفر لا ذوق فيه . في حين ان اشخاصاً مرموقين في عالم الدين والفلسفة ، لا في عالم

(1) Hud bras : مسرحية ساخرة بقلم صاموئيل بتلر عن المحافظين الدينيين نشرت في عام ١٦٦٣ ، وولدتها الظروف التي أعقبت فترة العودة الى الملكية في انكلترة . المترجم

النقاد المسرحيين المحترفين ، وجدوا ذلك صحيحاً ، ومنهم السر اوليفرج والدكتور ستانتون كويت وصحافيون لا ملتزمون جادون من أمثـال وليم ستيد ، الذين لم يفهموا الفصل كما يفهمه اعضاء جيش الخلاص وحسب ، وانما رأوا فيه العلاقة الوثيقة بالحيـــاة الدينية في البلاد ، الحياة التي تكمن ، كما يتضح ، خارج نطاق تعاطف عدد كبير من نقادنا المسرحيين ، بل خارج نطاق معرفتهم بالمجتمع . والحق انه لا يمكن ان يكون هنالك شيء اكثر سخرية وغرابة من هذا الذي فعلته مسرحية ميجر باربارة في أنها جعلت المتحمسين للمسرح يقفون في مواجهـــة المتحمسين للدين . كان هنالك رواد المسرح الذين ينشدون المتعة ويدفعون لقاءها مالاً كثيراً ، ويقاسون المتاعب من أجل ذلك ، دون ان يظفروا بتلك المتعة . وكان هنالك مؤيدو جيش الخلاص الذين حملوا على المتعة وناصروا بذل الجهود والتضحيـات ، في حين انهم لا يفارقون طبيعتهم التي تحملهم على التطرف في الضحك والتنكيت والغناء والطرب ودق الطبول والنفخ في الأبواق . وحياة هؤلاء تنقضي في بريق خاطف من الاستشارة وغالباً ما يكون موتهم ذروة النصر . وتجد رواد المسرح يحتقرون مناصري جيش الخلاص معتقدين انهم لا يميلون الى المرح ، بعيدون عن جنة المسرح ، حكموا على انفسهم بحياة من الكآبة ، وكذلك تجـــد الخلاصيين ينوحون من أجل رواد المسرح ويقولون أنهم مبذرون يضعون أوراق العنب في شعورهم ، ويعملون من أجل الجحيم وسط أصوات فتح قناني الشمبانيا ، والصفير الذي ليس فيه أي حياء . فهل يمكن أن يكون سوء الفهم شد من هذا ، وهل يمكن أن يكون العطف في غير موضعه كما هو واضح في هذا ؟

ولحسن الحظ نجد أن الخلاصيين اكثر ميلاً الى الميزة الدينية في الدراما من ميل رواد المسرح الى النشاط المرح والخصب الفني في الدين . انهم يستطيعون أن يروا ، حين يشير أحـــد اليهم بذلك ، ان المسرح ، كمـكان يجتمع فيه اثنان او ثلاثة ، يستمد من ذلك الحضور المقدس حكمة لا يمكن نكرانها ولا

تستطيـع أشـــد قوى الاستهتار ضراوة ان تسلبه اياها باكثر مما تستطيـع موعظة منافقة يلقيها اسقف مغرور ان تقلل من قدسية كاتدرائية وستمنستر. ولكن يلوح أن رواد المسرح عندنا لا يملكون مثـــل هذا الشعور الأول بالقدسية . انهم يتحدثون عن المقلدين والمهرجين واخشى كذلك أنهم يعتبرون الكتاب المسرحيين كذابين مزيفين لا يهمهم الا ارضاء شهوات رجل الأعمال الذي تتعبه أعمال النهار في المدينة . ان العاطفة ، التي هي حياة الدراما ، لا تعني شيئاً بالنسبة لهم اكثر من الاثارة الجنسية البدائية : وقـــد خرجت عبارات مثل «الشعر العاطفي » أو « التحمس في حب الحقيقة » من قواميس كلماتهم وحلت محلها عبارات مثل « جريمة عاطفية » وما شابه ذلك . وهم يفترضون ، بقدر ما يصل الى علمي ، ان الناس الذين يكون للعاطفة فيهم مدى أوسع هم عديمو العاطفة ولذلك فهم غير ممتعين . وينتج من هذا انهم يعتبرون المتدينين قوماً عديمي الامتـــاع اطلاقاً . وهكذا ، فحين تقاطع بربارة النـكات المألوفة في جيش الخلاص ، وتختطف قبلة من حبيبهـــا عبر طبله ، فان الذين يكرسون انفسهم للمسرح يعتقدون بأنهم يجب ان يبدوا الاستغراب ، وينتهون الى أن المسرحية كلها هي سخرية مزوقة موجهة الى جيش الخلاص . ثم تجدهم اما أن يلوموا الـكاتب بكـل نفاق ومداجاة ، أو أنهم ، بكل حمق ، يشتركون في السخرية التي يفترضون وجودها !

وحتى النقاد الذين يتمتعون بقابليات ذهنية وجدوا انفسهم حائرين في فهم وصفي للمشاكل الاقتصادية التي يجد جيش الخلاص نفسه فيها . واعتقد بعضهم بأن جيش الخلاص . لم يكن ليأخـــذ النقود من مقطر للخمر أو صانع للمدافع ، واعتقد آخرون بأنه كان يجب ألا يأخذ تلك النقود : أي ان الكل اعتقدوا ، ما بين واثق وغير واثق ، بأن جيش الخلاص انهار الى حضيض التفاهة أو النفـــاق باخذه تلك النقود . فأما بالنسبة للنقطة الأولى ، فقد كان جواب جيش الخلاص سريعاً وحـــاسماً ، فقد قال أحد ضباطه : انهم يأخذون المال من الشيطان نفسه ويكونون سعـــداء بانهم

استطاعوا أن يحولوا ذلك المال من قبضة الشيطان الى قبضة الله . واعترفوا شاكرين بأن أصحاب الحانات لا يعطونهم النقود وحسب وانما يسمحون لهم بأن يجمعوا النقود في الحانات -- وفي اغلب الحالات يكون ذلك في الوقت الذي يعقدون فيه اجتماعاً خارج الحانة يدعون فيه الناس الى الامتناع عن شرب الخمر . والحق انهم ناقشوا صحة الحقائق الواردة في المسرحية لا لأن مسز بينز أخذت النقود وإنما لأن باربارة رفضتها .

ويلوح تبرير جيش الخلاص لأخذه المال صحيحاً وواضحاً . فعليه أن يأخذ المال لأنه لا يمكن أن يستمر بدونه ، وليس هنالك مال آخر يمكنه أن يحصل عليه. والحق ان كل مال في البلاد يستطيع أحد الناس أن يستغني عنه هو مال تم الحصول عليه ايجاراً أو ربحاً أو فائدة، وكل فلس منه مرتبط بالجريمة والشراب والبغاء والمرض وكل نتائج الفاقة الشريرة ، كارتباطه بالمشاريع الخاصة والثراء والاستقامة التجارية والرفاه الوطني . ان الفكرة التي تقول بأنك تستطيع أن تضع جانباً بعض النقود وتقول انها لا تفيدك لأنها ملوثة ، هي فكرة فردية غير عملية بل خرافية . وفي الوقت نفسه فان كون أموالنا كلها عديمة الجدوى وملوثة هو أمر يهز نفوس الشبان المتحمسين حين تجعلهم إحدى مظاهر ذلك التلويث يرونه . وحين يدرك أحد رجال الدين الشبان من الكنيسة الانكليزية أن المبعوثين الدينيين يستلمون ايجارات دور الألعاب والمباغي والمواخير ، أو أن أشد المتبرعين كرماً اثناء الموعظة الأخيرة التي القاها داعياً الى التبرع هو رجل يتاجر بمجهودات النساء اللواتي تهبط بهن الدعارة الى الحضيض تماماً كما يتاجر صاحب الفندق بمهنة خدمه التي بها يهبط الى الحضيض عندما يأخذون البقشيش ، أو بمجهودات المندوب السامي التي يقلل من شأنها حصوله على التقاعد ، أو يعرف بأن الشخص الوحيد الذي يستطيع ان يتبرع له بالمال ليبني به كنيسته أو مدارسه أو ليعطي اولاد المدرسة ساحة للألعاب أو مكتبة ، هو من نغول أحد ملوك اللحم في شيكاغو ، وعندئذ يقضي ذلك القس الشاب ، مثل

باربارة ، أسوأ ربـع ساعة في حياته . ولكنه لا يستطيـع أن ينفع نفسه اذا رفض أن يأخذ النقود الا من ايدي السيدات الرقيقات المهذبات المسنات اللواتي يحصلن على دخل خاص واللواتي تكون حياتهن جميلة وشريفة . عليه فقط أن يتبـع مصدر ذلك الدخـــل الخاص الذي تملكه اولئك العجائز اللطيفات ،وسيجد حرفة المسز واررن بكل ما فيها من لحوم معلبة مسمومة وغير ذلك من الامور . بل ان راتبه نفسه يأتي من تلك المصادر ، فعليه اما ان يشترك مع العالم في آثامه أو أن يذهب الى كوكب آخر . عليه أن يخلص شرف العالم اذا أراد أن يخلص شرفه هو . وهـــذا هو بالضبط ما تراه كل الكنائس بالاضافة الى جيش الخلاص وباربارة ، في المسرحية . فاكتشافها انها شريكة والدها وان جيش الانقـــاذ هو شريك مقطر الخمور وصانع الديناميت وانهم لا يستطيعون ان يتخلصوا من بعض بقدر استطاعتهم ان يتجنبوا تنفس هذا الهواء ، وانه لا خلاص لهم عبر صلاحهم الشخصي ، وانما عبر تخليص الشعب كله من فوضـــاه الشريرة الكسول المتصارعة فيما بينها ، هذا الاكتشاف قد توفر للجميـع ادراكه ، الا الفريسيين وكذلك ، كما هو واضح (رواد المسرح) المحترفين الذين ما يزالون يرتدون قمصان توم هود ، ولا يعطون غسالة قمصانهم ما تستحقـه بدون أن يقلل ذلك من شخصياتهم ونقاء أجوائهم وقدرتهم بل حقهم في اتهام ما يتمثل في الاحياء الفقيرة من فاقة وقذارة بأنه غريب عنهم ولا يمت اليهم بصـــلة ما . وليس ذلك لانهم يريدون ان يحدثوا أي ضرر : وانما هم يرغبون فقط ، بطرقهم الخاصـــة الصغيرة ، ان يكونوا ما يسمونه « مهذبين » . وهم لا يفهمون العبرة التي تتجلى في باربارة لانهم لم يتعلموا هذه العبرة مثلهـــا بأن قاموا بدورهم في الحياة الاوسع ، حياة الامة .

عودة باربارة الى الحياة الدنيوية

قد تزود عودة باربارة الى الحيـــاة الدنيوية المؤرخ الدراماتيـكي في

المستقبل بموضوع يتحدث عنه . ان العودة الى جيش الخلاص ، مع معرفة أن المنتمين اليه انفسهم لم يخلصوا أنفسهم بعد ، وان الفاقة ليست مباركة وانما هي أشنع الخطايا ، وانه حين اختار الجنرال بووث الدم والنار شعاراً للخلاص بدلاً من الصليب ، كان اشد الهاماً مما كان يعرفه عن نفسه : مثل هذه المعرفة ، بالنسبة لابنة اندرو اندرشافت ستقود حتماً الى شيء اكثر أملا من مجرد توزيع الخبز والحساء على حساب بوجر .

ان اختيار جيش الخلاص للطبل بدلاً من الارغن أمر ذو مغزى كبير . إذ ألا يدل ذلك على انهم قرروا محاربة الشيطان بالفعل ، بدلاً من أن يلعنوه فقط ؟ فاما في الوقت الحاضر فانهم لم يوجهوا الخطاب اليه بالذات . وحين يفعلون ذلك فانهم يسببون صدمة قوية لشعوره بالاطمئنان ، ذلك الشعور الذي حصل عليه خلال تجاربه التي دلته على ان الكلمات القاسية حتى حين يقولها الخطباء البلغاء والمحاضرون البارعون ، أو حين تهدر بها الجماهير في احد الاجتماعات باشارة من أحد المصلحين ، تلك الكلمات لا تكسر شيئاً من عظامه . لقد قيل ان الثورة الفرنسية هي من عمل فولتير وروسو والانسايكلوبيديين . ولكنها تلوح لي من عمل اشخاص لاحظوا أن ذلك الاستياء الذي عبرت عنه الفضيلة ، والنقد اللاذع والمناقشات الشديدة ونشر الكراريس الموجهة ، حتى حين يتم ذلك على أيدي أمهر الكتاب وابرعهم وأشدهم نبوغاً ، لاحظوا ان ذلك كله عديم الجدوى ، تماماً كالصلاة . كانت الامور تسير من سيء الى اسوأ ، في حين ان العقد الاجتماعي وكراسات فولتير كانت في ذروتها . وبالتالي فان المواطنين المحترمين تماماً والانسانيين الجديين اغمضوا عيونهم عن مذبحة أيلول لان التجارب القاسية علمتهم انهم اذا قنعوا بتوجيه النداءات الى الانسانية والوطنية ، فان الارستقراطيين ، رغم انهم سيقرأون نداءاتهم باستمتاع وتذوق ، ويبدون اعجابهم بالكتاب ، سيستمرون على التآمر مع الملوك الأجانب لهدم الثورة واعادة النظام البائد بكل ما في وسعهم ان يقوموا به من انتقام وحشي وخنق قاس .

للحريات العامة .

وقد رأى القرن التاسع عشر هذا الدرس نفسه معاداً في انكلترد . فقد كانت انكلتره تملك النفعيين والاشتراكيين المسيحيين والفابيين (الموجودين حتى الآن) : كان لها بنتام ومل ودكنز ورسكن وكارلايل وبتلر وهنري جورج وموريس . وكانت نتيجـــة كل جهودهم شيـكاغو التي وصفها مستر سنكلير ولندن التي نجد فيها ان الناس الـذين يدفعون المال ليستمتعوا بعرضي المسرحي لبيتر شيرلي يجوعون في الأربعين لأن هنالـــك الكثيرين من العبيد الشبان الذين يمكن الحصول عليهم بنفس تلك الأجور ، والذين لا يفكرون لحظة واحدة في أن يقوموا بأية خطوة لتنظيم المجتمع بحيث يجعلون وقوع مثل تلك النتائج السيئـــة أمراً مستحيلا . وانا ، الذي بشرت ونشرت الكراريس كأي انسايكلوبيدي ، علي أن أعترف بأن وسائلي لا تجدي ولن يجديني أن اكون فولتير أو روسو او بنتام أو ماركس أو مل أو دكنز أو كارلايل أو رسكن أو بتلر أو موريس في شخص واحد يكمن في داخله مزيج من يوريبيدس وتوماس مور ومونتين وموليير وبومارشيه وسويفت وغوته وإبسن وتولستوي والمسيـح والانبيـاء (فالواقع انني أشبه ذلك ، لأنني أقف على اكتاف هؤلاء جميعاً) . ولما كانت المشكلة هي في كيفية خلق الابطال من الجبناء فقد نجحنا نحن انبيـــاء الأوراق وسحرة الفن فقط في اعطاء الجبناء كل مشاعر الابطـــال في حين انهم يصبرون على المكاره ، ويستسلمون للاغتصاب ويخضعون للاضطهاد . وكانت المسيحية بجعلها هـذا الاستسلام فضيلة قد عينت مقدار العمق في تلك الهاوية التي يضيـع فيها حتى معنى الخجل . فقد كان المسيحي وما يزال مثل دكتور دكنز في سجن المدنيين الذي يقول لكل قادم جديد الى الامن والاطمئنان المتمثلين فيه : لا مطالبة ملحة ، لا جمع للفوائد الظالمة والارباح والضرائب والايجارات ، لا وعود كاذبة ولا فائض ، لا شيء الا الاستقرار والراحـــة ، لأنه ليس هنالك حضيض آخر يمكنك أن تهبط اليه .

ومع ذلك ، ففي أشد الزوايا فاقة من هذه المسيحية المدمرة للروح ، تبدأ فجأة بعض الحمية. فالغبطة ، التي اطاح بها منذ زمن بعيد الضحك الجهنمي ، ضحك التهتك والاستهتار ، تلك الغبطة تنهض فيضاً متدفقاً ينصب باعجوبة من قذارة وجيفة وعفونة الأحياء الفقيرة ، وتنطلق مسيرة مؤثرة ، وأناشيد مرحة غير مكترثة ترتفع الى السماء ، من صدور أناس يعتبر بينهم الصوت الكئيب الذي يدعى « الموسيقى المقدسة » نكتة من النكات ، ويرفرف فوق رؤوسهم علم الدم والنار ، لا لأنهم يريدون القتل ، وانما لأن النار جميلة والدم هو الأحمر الحي الرائع ، ويختفي الخوف ، الذي نجامله ونسميه : النفس . ويحمل الرجال والنساء ، الذين تتغير سحناتهم ، انجيلهم في عالم متغير ، يسمون زعيمهم الجنرال ، وانفسهم رؤساء وزعماء ، وكيانهم مجتمعاً : الجيش : يصلون ، ولكنهم يصلون لعودة الحياة فقط ، للقوة على النضال ، وللمال الذي يحتاجون اليه (وهذا هو من شعاراتهم المهمة) ويعظون ، ولكنهم لا يعظون بالخضوع ، انهم يتحدون اساءة الاستعمال والاهانة ، ولكنهم لا يسمحون الا بالحتمي منها ، ويفعلون ما سيسمح العالم لهم بأن يفعلوا ، بما في ذلك الصابون والماء ، والألوان والموسيقى . هنالك خطر ما في مثل هذا النشاط ، ولكن الأمل يوجد حيث يوجد الخطر . واطمئناننا الحالي لا شيء ، ولا يمكن أن يكون شيئاً غير الشر الذي تم تحويله الى أمر لا يمكن مقاومته .

عيوب جيش الخلاص

ليس من شأني الآن أن امتدح جيش الخلاص . بل ان علي ان اشير الى ان فيه من النقائص بقدر تلك التي تعاني منها الكنيسة الانكليزية . انه يؤسس الآن منظمة أعمال ستضطره في النتيجة الى تغيير اشخاصه الحاليين ، من القادة المتحمسين ، واللجوء الى البيروقراطيين من رجال الاعمال الذين لن يكونوا افضل من الاساقفة ، بل لعلهم سيكونون أقل منهم التفاتاً للضمير .

فهذا هو ما كان يحدث دائمــا للأنظمة التي كان يؤسسها القديسون ، ولا يمكن ان ينجو النظام الذي أسسه سانت وليم بوث من هذا المصير . بل انه اكثر اعتماداً من الكنيسة على الاغنياء الذين سيمنعون عنه المساعدة في اللحظة التي يبدأ فيها بالتبشير الضروري ضد الفاقة ، الأمر الذي يكون بالتالي ثورة على الاغنياء. كما أنه مثقل بمتدينين عجائز ليسوا خلاصيين اطلاقاً ، وانما هم من الطراز الديني القديم . وهو ما يزال يتشبث بموسى ، كما يقول المبعوث هوارد ، وهـذا في نظري سخف في هذا العصر ، اذا كان المبعوث يعني ، وهذا هو ما أخشاه ، ان سفر التكوين يحتوي على وصف علمي يوثق به لاصل الانواع ، وان الاله الذي ضحى له جفته بابنته لا يقل في كونه صنماً قبلياً عن داكون وكيموش .

هنالك أيضاً شيء من الالحاح في جيش الخلاص على الدنيـــا الاخرى ، فالخلاصي ، مثل جندي فريدريك ، يريد أن يعيش الى الابد ، وبالرغم من وضوح دعوة الجنرال بوث وزملائه المدركين الى أنهم يعملون من اجل خلاص البشرية كما هم فاعلون في الوقت الحاضر اذا اعتقدوا بأن الموت سيكون نهايتهم كأفراد ، لكنهم مع اتباعهم يتعلقون بعادة سيئة هي انهم يتحدثون وكأنهم يتحملون ببطولة عذاب العيش على الارض ويدخرون ذلك ليجلب لهم الفوائد في النهاية ، لا على شكل حياة أفضل في العالم الآخر للعالم كله ، وإنما في خلود ينفقه كل فرد منهم بصورة شخصية فيما يشبه البركة والغبطة التي تكفي في اعتقادي اي انسان نشط ليعاني من موت آخر . والحق ان واقع الامر هو ان الخلاصيين هم في الغالب قوم سعداء ، وأليس من خصائص الخلاص الحقيقي انه يقضي على الخوف من الموت ؟ والآن نجد أن الرجل الذي آمن بأنه ليس هنالك شيء اسمه الموت وان هذا التغيير الذي سمي كذلك ما هو الا تحول إلى حياة سعيدة جداً لااهتمامات فيها، لم يتغلب على الخوف من الموت اطلاقاً : بالعكس ، لقد تغلب الخوف من الموت عليه تماماً بحيث أنه يرفض أن يموت بأي شرط مهما كان . انني لا أقول ان الخلاصي قد خلص

حتى اجده مستعداً للاضطجاع في مرح على كومة الحطب بعد أن يكون قد دفع ما عليه واكثر ، ويدع حياته الخالدة تمر لتجدد شبابها في حياة المستقبل .

هنالك ايضاً العادة الكريهة ، عادة الكذب ، التي تسمى الاعتراف الذي يشجع جيش الخلاص عليه لأنه يؤدي الى الخطابة الدراماتيكية ، مع ما يتخلل ذلك من حوادث كثيرة مثيرة ، فأما بالنسبة لي ، فانني حين اسمع شخصاً قد صار خلاصياً ، وراح يعدد ما كان قد فعله قبل ذلك من عنف أو كفر أو الحاد ويبين أنه كان شخصاً سيئاً للغاية ، وانه الآن اشد المسيحيين نقاء وطهراً ، فانني لا أصدقه ، تماماً كما اجد نفسي غير قادر على تصديق المليونير الذي يقول انه جاء الى لندن أو شيكاغو صبياً لا يحمل في جيبه غير ثلاثة انصاف البنسات . لقد قال لي الخلاصيون أن بارباره في مسرحيتي لم تكن لتنخدع بهذا الدعي المكشوف برايس ، وانا ايضاً لا اعتقد حقاً بأن برايس يمكن ان يخدع خلاصياً مجرباً حول مسألة لا يريد الخلاصي أن يُخدع حولها . ولكن ، من ناحية تحويل الناس الى افراد الجيش الخلاص، يجب على كل الخلاصيين ان ينخدعوا ، لأنه كلما اتضحت الخطيئة زادت فرص التحول الى العقيدة الجديدة . وانت حين تعلن عن اجتماع مع لص او سكير تم تحويله عن عاداته ، فان ذلك اللص وذلك السكير ، في حديثهما عن تجاربهما في الاجتماع ، لا يمكن أن يكونا في حياتهما الماضية اكثر لصوصية وسكراً مما يتحدثان به عن نفسيهما . وبقدر ما يمكن الاعتماد على مثل هذه الاجتماعات للدعوة الى العقيدة ، ستجد أولئك المغرورين يدعون بانهم كانوا يضربون امهاتهم ، في حين ان الحقيقة تشير الى أن أمهاتهم كن يضربنهم ، وكذلك هو الأمر مع الذين يدعون بماضٍ سيء مليء بالشرور والآثام . وحتى حين تكون الاعترافات مخلصة تماماً ، يجب علينا ان نحاذر من الاعتقاد بأن الدافع اليها كان التقوى ، أو أن رغبة الحاضرين في الاستماع هي رغبة أصيلة لا شائبة فيها . واذا كان الأمر كذلك فيمكننا اذن أن نؤمن بأن

الفقراء الذين يكشفون لزائريهم في حاراتهم البائسة عن سرطاناتهم المتقيحة هم من رجال الطب والصحة ، او أن الفضول الذي يرحب احياناً بمثل هذا العرض هو فضول ممتع . بل ان المرء ليميل الى القول بأن أولئك الذين يزعجون مفتشي البوليس باعترافاتهم عن ارتكاب جرائم القتل يجب ان يؤخذوا بكلماتهم ويتم اعدامهم ، ما عدا في الحالات القليلة التي يريد فيها قاتل حقيقي أن يخفف من شعوره بالجرم فيعترف ليخلص من تأنيب الضمير . وبالرغم من انني لست شخصاً عديم الرحمة ، كما أرجو ، الا انني لا اعتقد أن التصميم الذي تمت به الجريمة يحتاج الى ان يتخفى بلبوس الطقوس الدينية سواء كان ذلك بالاعتراف أو على المشنقة .

وهنا يزداد الخلاف حقاً بيني وبين جيش الخلاص ، وكذلك بيني وبين كل داعية من دعاة الصليب (الأمر الذي اكرهه كراهيتي للمشنقة !) ان كلمات: الغفران ، الاطلاق من الخطايا ، الخلاص ، كلها من اختراعهم ، والعقاب هو عذر لاخفاء جريمة بجريمة أخرى ، ولا يمكنك ان تحصل على غفران بدون انتقام ، كذلك لا يمكنك ان تحصل على علاج بدون ان يكون لديك مرض. ولن تظفر بأخلاقية عالية من قوم يتصورون أن خطاياهم يمكن ان تُلغى ويُعفى عنها ، أو في مجتمع نجد فيه أن الغرامة لقاء الجرم ، والعفو ، مسموح بهما قانوناً . قد تكون المطالبة حقيقية ، ولكن العرض مزيف . وهكذا فبعد أن يهجم بل ووكر ، في مسرحيتي ، على الفتاة الخلاصية الجميلة ، يجد نفسه غارقاً في شعور بالخطيئة بعد أن يخضع لكلمات باربارة الماهرة . ويبدأ مباشرة بمحاولة للامتناع عن مهاجمة الفتاة ولنقض خروجه على الأخلاق ، أولاً بحصوله على عقاب من نفس نوع الخطيئة ، وحين لا يظفر بذلك الحل ، يغرم نفسه جنيهاً ليعوض الفتاة . وهو مخدوع في الحالتين . انه يجد جيش الخلاص مصراً اصرار الحقيقة نفسها . لن يعاقبه : ولن يأخذ نقوده . ولن يسامح مجرماً دفع ثمن جريمته : ولن يترك له وسيلة للخلاص ، ما عدا أن يكف عن الاجرام . وبهذا يظفر جيش الخلاص

بالحقيقة الفطرية الأساسية في المسيحية ويهمل خرافاتها الأساسية ايضاً ، فالحقيقة الأساسية هي سخف وغرور الانتقام والعقاب ، والخرافة الأساسية هي التي تتمثل في تخليص العالم لقاء الغرامة ، والمشنقة .

لأنه ، علينا ان نلاحظ ، ان بل قد هاجم امرأة مسنة جائعة أيضاً ، وهو لا يشعر بأي تأنيب في ضميره من أجل ذلك ، لانها توضح له أن حقدها وزيفها لا يقلان عن حقده وزيفه . ويقول بل « ليكن لها قانوني كما قالت انها تريد ذلك . انني لم افعل لها ، مما قد تقول انه سيخيم على ضميري ، اكثر مما لو انني ضربت خنزيراً بالعصى » . وهذا يكشف لنا عن حالة ذهنية صحيحة كاملة بالنسبة لبل . فالمرأة العجوز ، كالقانون الذي تهدده به ، مستعدة للرد على ما يقوم به : تسرقه اذا سرقها ، تضربه اذا ضربها ، تقتله اذا قتل . وهكذا ، وبالامثلة ، يعلمه القانون والرأي العام كيف يفرض ارادته على الآخرين عبر الغضب والعنف والقسوة ، وكيف يقضي على الشعور بالذنب الخلقي بواسطة العقاب . وهذه هي عقيدة الصليب الحقيقية ، ولكن عقيدة الصليب هذه قد اشتبكت مع شيء آخر تسميه باربارة المسيحية ، وهذا يجعلها ، بصورة غير متوقعة ، ترفض ان تلعب دور الشيطان الذي يطرد الشيطان . انها ترفض ان تضطهد مجرماً سكيراً ، وهي تتحدث حديث الند للند مع شرير لا يمكن لامرأة أن تتحدث معه في الشارع العام : انها ، باختصار ، تقلد المسيح . ويكون رد فعل ضمير بل نحو هذا غير مختلف عن رد فعله نحو تهديدات المرأة العجوز . انه يجد نفسه في وضع لا يطاق من الانحطاط الخلقي ، ويجاهد بكل الوسائل التي في طاقته ليفر من ذلك ، في حين انه ما يزال مستعداً لمقابلة اهانات المرأة العجوز بأن يحاول أن يلقي بقدح ليهشمه في وجهها . وهذا هو التبرير الظافر لمسيحية باربارة باعتبارها ضد نظامنا ، نظام العقاب القضائي والمحاولات الانتقامية لتعذيب المجرمين و« العدالة الشعرية » التي نجدها في المسرح الرومانتيكي .

يجب علي ان أشير ، من أجل الأدب ، الى ان هذا الموقف ليس جديداً تماماً ، فقد اعطانا فكتور هوغو قبل زمن طويـــل قصة السجين وشمعدانات القسيس ، ورجل الشرطة الذي يدين بعقيدة الصليب ، الذي يقتله فالجان الذي يدين بالمسيحية . ولكن بل ووكر ليس مثل فالجان ، اذ انه لا يتحول رومانتيكياً من عفريت الى ملاك . فهنالـك الملايين من امثال بل ووكر في جميـع طبقات المجتمـــع اليوم . والنقطة التي اريد ان اوضحها ، باعتباري استاذ علم النفس الطبيعي ، هي أن بل ، دون أن يكون هنالك اي تغيير في شخصيته أو ظروفه ، يتصرف بطريقة واحـــدة نحو أسلوب واحد من المعاملة ، وبطريقة أخرى نحو أسلوب آخر .

ولاثبات ذلك يمكنني أن أشير الى الدرس الذي نستخلصه من اصحاب الملايين التجار اليوم . فهم يبدأون لصوصاً ، عديمي الرحمة ، عديمي الضمير ، مسببين الخراب والموت والعبوديـة لمنافسيهم ومستخدميهم ، مواجهين مواجهة يائسة أسوأ ما يستطيـع منافسوهم أن يفعلوه . ان تاريخ المصانـع الانـكليزية ، والترستات الامريكية ، واستغلال ذهب افريقيا واحجارها الكريمة وعاجها ومطاطها ، يفوق في النذالة أسوأ ما يمكن أن نتصوره من أعمال الاجرام والنذالة في التاريـخ ، خاصة في تاريـخ القرصنة الاسبانية . كان الـكابتن كد سينفي في جزيرة منعزلة مدراء أي واحد من الترستات [١] الحديثة بتهمة التصرف المشين الذي لا يناسب رجلاً يحترم نفسه . ويقبض القانون في كل يوم على عدد كبير من هؤلاء الانذال ويعذبهم أسوأ العذاب ، وتكون النتيجة انهم يخرجون أخطر مما كانوا ويجددون جرائمهم (لانه لن يستخدمهم أحد الا في اداء الامور المشينة) حتى يتم القبض عليهم ثانية ، ويعذبون ثانية ، ويطلق سراحهم ثانية وتتكرر النتيجة ذاتها .

ولكن النذل الناجح يلاقي معاملة مختلفة ، معاملة مسيحية جداً . فهو

---

(١) الترست TRUST : ائتلاف مجموعة من الشركات للسيطرة على السوق .

لا يحصل على الغفران وحسب : وانما يصبح معبوداً ، محترماً ، يتحدث الناس عنه ، ويكادون يسجدون له . ويعوضه المجتمع عن الشر الذي فعله باقصى ما في وسعه أن يقدمه له من خير . ويبدأ بعبادة نفسه ، واحترامها ويحاول أن يكون مستحقاً المعاملة التي يلقاهـا . ويلقي المواعظ ويكتب الكتب التي ينصح بها الشبان ، ويقنع نفسه بأنه قد نجح في حياته لأنه فعل ما ينصح به الآخرين ، ويمنح التبرعات للمعاهد التربوية ، ويناصر الجمعيات الخيرية ، وأخيراً يموت وسط عطور البركة ، تاركاً وصية هي مثال الروح الطيبة الاجتماعية . كل هـذا ، دون ان تتغير شخصيته . فان ما يرقطه من علامات الفهـد ، وشرائط النمر ما يزال واضحاً فيه كل الوضوح ، ولكن موقف العالم منه قد تغير ، وتغير موقفه هو بناء على ذلك . عليك فقط ان تعكس موقفك منه – أن تستولي على املاكه، أن تهينه ، وتهاجمه وسيصبح نذلاً مرة أخرى ، في لحظة واحدة ، ويكون مستعداً لسحقك كاستعدادك لسحقه ، وهو لا يخلو من اسباب خلقية يتذرع بها في ذلك .

الامر باختصار هو انه حين تقول ميجر باربارة أنه ليس هنالك انذال فانها محقة في ذلك : ليس هنالك انذال تماماً ، رغم ان هنالك اشخاصاً غير عمليين سأتحدث عنهم الآن . فكل شخص معقول (رجلا كان أو امرأة) هو امكانية للنذالة وامكانية للمواطنة الصالحة . وطبيعة الانسان تتوقف على شخصيته ، ولكن ما يفعله ، ورأينا فيما يفعله ، يتوقفـان على ظروفه . والمزايا التي تدمر شخصاً في طبقة تجعله بارزاً في طبقة أخرى . والشخصيات التي تسلك سلوكاً مختلفاً في ظروف مختلفة ، تسلك المواقف ذاتها في ظروف مماثلة . خذ شخصية انكليزية اعتيادية مثل شخصية بل ووكر . اننا نقابل بل في كل مكان : على مقاعد القضاء ، على مقاعد الاسقفيـات ، في مجلس البلاط ، في وزارة الحرب والامبرالية وكذلك في أرصفة الموانىء ووسط العمال غير الماهرين . واخلاقية شخصية بل تختلف مع هذه الظروف المختلفة. ان أخطاء اللص هي حسنات رجـل المال : وعادات واخلاق الدوق قد

تكلف كاتباً في المدينة منصبه . وباختصار ، بالرغم من ان الشخصية مستقلة عن الظروف ، الا أن السلوك ليس كذلك ، وان احكامنا الخلقية ليست مستقلة عن الظروف أيضاً : كلاهما خاضعان للظروف . خذ اية اوضاع حياتية تكون فيها الظروف متشابهة بالنسبة لعدد من الناس : اوساط المجرمين ، مجلس اللوردات ، المصنع ، الاصطبلات ، مخيمات النَوَرْ ، أو اينما أردت . فبالرغم من اختلاف الشخصية والمزاج ، فان سلوك واخلاق الافراد في كل مجموعة متشابهة ويمكن التنبؤ بها ، وكأن المجموعة هي قطيع من الاغنام ، فالاخلاق هي فقط عادات اجتماعية وضرورات ظرفية . والاقوياء يعرفون هذا ويعتمدون عليه . اذ لا يختلف المفكرون العظام في العالم عن الريفيين الذين يحملون بطاقات الاصطياف باليانصيب الا بادراكهم المباشر ان البشرية هي من الناحية العملية نوع واحد ، وليست مجموعة من النبلاء والوضعاء ، الأنذال والأبطال ، الجبناء والشجعان ، السادة والفلاحين ، البقالين والارستقراطيين ، الفنانين والعمال ، الغسالات والدوقات ، تكون فيها طبقات الدخل والمنزلة ممثلة لحيوانات متمايزة لا يمكن ان يتصل بعضها ببعض ، او تتزاوج فيما بينهما . لقد كوّن نابليون مجموعة من الجنرالات والبلاطيين،وحتى الملوك من مجموعة من النكرات التي كانت تحيط به . وعين يوليوس‌قيصر ابن احد العبيد المحررين حاكماً لمصر-وكان قبل مدة يمكن أن لا يسمح له حتى ولا بالانتماء الى الجيش الروماني كجندي عادي . وجعل لويس الحادي عشر من حلاقه الخاص مستشاراً للبلاط . كان هؤلاء جميعاً يدركون الحقيقة العلمية عن الصفات الانسانية ، تلك الحقيقة التي تعبر عنها باربارة في القاعدة المسيحية القائلة بأن البشر جميعاً هم أطفال أب واحد . والشخص الذي يؤمن بأن البشر ينقسمون بصورة طبيعية الى نبلاء ووضعاء وطبقة وسطى يكون من الناحية المعنوية مرتكباً لنفس الخطأ الذي يرتكبه الشخص الذي يؤمن بانهم ينقسمون بصورة طبيعية الى تلك الطبقات من الناحية الاجتماعية . ولما كانت محاولاتنا المستمرة لتأسيس النظم السياسية على أسس اللامساواة الاجتماعية قد ولدت دائماً فترات طويلة من الخراب ،

تنعشها بين فترة وأخرى انفجارات ثورية عنيفـــة ، فكذلك هي المحاولة -- ارجو من الاميركان ان يلاحظوا ذلـــك – التي تهدف الى تأسيس النظم الاخلاقية على اساس اللامساواة الخلقية ، إذ أنها ستؤدي الى سيطرة القديسين الذين اطلقهم معيـــدو الملكية الفاجرون وحولوهم الى اميركان جعلوا من الطلاق أساســـاً عاماً يخجل أوروبا ويجعلها كلها تبتسم ابتسامة ساخرة واحدة ، وهم مع ذلك يرفضون أن يعيشوا في فندق واحد مع روسي نابغة يغير زوجاته دون أن يذهب الى ساوث داكوتا طلباً للمشورة ، وكذلـك الى نفاق غريب واضطهاد قاسٍ وربكة تامة نهائية في التقاليد والمـكارم وأسس الاحترام . انه لمن غير المجدي أن أعلن ان البشر يولدون احراراً ، هذا اذا رفضت ان توافق على انهم يولدون أخياراً . اضمن خـــير الانسان وستعتني حريته بنفسها . فاذا ضمنت حريته بشرط موافقتك على شخصيته الخلقية فان ذلك يعني الغاء أية حرية ، لأن حرية الانسان هي تحت رحمـة الاتهام الخلقي الذي يستطيع أي أحمق ان يوجهه الى أي فرد يخرق العـادة والتقليد ، سواء كان ذلك لأنه نبي أو لأنه نذل . هـــذا هو الدرس الذي يجب ان تتعلمه الديمقراطية قبل ان تستطيع أن تكون أي شيء غير كونها أشد وسائل الشعوذة اضطهاداً .

لنعد الآن الى بل ووكر وحالتـه ، الضمير أمام جيش الخلاص . إن ميجـــر باربارة ، التي هي ليست بشكل تيتزل حديثـــة ، او محاسبة في مستشفى ، ترفض ان تبيع الغفران لبل مقابل قطعة نقدية . ولسوء الحظ فان ما يستطيع الجيش أن يرفضه في حالة بل ووكر هو أمر لا يستطيع أن يرفضه في حالة بوجر . لأن بوجر سيد الموقف إذ انه يملك مالاً كثيراً . ان بوجر يقول : « جاهدوا ما استطعتم ، فلا يمكنكم ان تفعلوا شيئاً بدوني . انتم لا تستطيعون ان تنقذوا بل ووكر بدون نقودي . » ويجيب جيش الخلاص، وهو محق في هذا بالنسبة للظروف : « سنأخذ النقود من الشيطان نفسه بدلاً من أن نتخلى عن أعمال الخلاص . » وهكذا يدفع بوجر نقود الضمير ويحصل

على الغفران الذي لا يُعطى لبل . وقد لا يعرف بل بهذا في الحياة الحقيقية، بيد انني، الكاتب المسرحي الذي يجد ان من واجبه اظهار الترابط بين الاشياء التي تلوح منفصلة غير مترابطة في نظام الحوادث المضطرب في الحياة الحقيقية، حاولت ان اجعل بل على علم به ، ونتج عن ذلك أن جيش الخلاص فقده في الحال .

ولكن كان من الممكن ان لا يفقد الجيش بل بسبب ذلك . فهو ما يزال في قبضة حقائق ضميره ، وقد يجد أنه بدأ يفقد رغبته في ان يكون نذلاً . إلا انني مع ذلك لا استطيع ان اضمن تلك النهـــاية السعيدة . سر وسط الاحياء الفقيرة في مدننا يوم الأحد حين لا يكون الرجال في المعامل ، وانما يكونون مستريحين يمضغون لبان تأملاتهم . انك ستجد تعبيراً واحـــداً على وجه كل مدرك بينهم : تعبير السخرية . لقد اكتشف كل واحد ما اكتشفه بل في جيش الخلاص . لقد وجدوا ان لكل رجل ثمنه ، وقد تعلموا تعليماً أحمق أو فاسداً ألا يثقوا به وان يحتقروه بسبب ذلـــك الشرط الضروري للوجود الاجتماعي . وحين يعرفون ان للجنرال بوث نفسه ثمنـــاً ، فانهم لا يعجبون به لأن له ثمناً عالياً ، وانما يقرون بالحاجـة الى تنظيم المجتمع بحيث يستطيع ان يحصل على ذلك الثمن بطريقة شريفة : انهم ينتهون الى أن شخصيته غـــير صحيحة وان كل رجـــال الدين منافقون وحلفاء لمعذبيهم ومضطهديهم . انهم يعرفون ان التبرعـات الضخمة التي تعين جيش الخلاص هي هبات ليست دينية وانما تعود الى العقيدة الشريرة ، عقيـــدة الخضوع للفاقة والذلة تحت نير الاضطهاد . انهم يتمزقون أسى بأشد شكوك الروح ايلاماً ، شكوكهم في مجيء خلاصهم من أشد عواطفهم اثارة للكراهية ، من القتل والحسد والجشع والعناد والايذاء والارهاب ، لا من الروحية الجماعية، والتعقل والانسانية والكرم والرفق والرقة والشفقة والعطف . ان اثبات ذلك الشك ، الذي تحاول صحافتنا ان تقوم به منذ سنوات ، هو اخلاقية البغض والعداء ، وتبرير هذا هو في أن الظروف قد تجعل منه في أية لحظة اخلاقية الساعة . ونحن بالاتيان بمثل هذه الاوقات ، نسبب الثورات العنيفة

كتلك التي تحدث الآن في روسيا ، والثورات التي تحرض عليها الرأسمالية في انكلترا واميركا يومياً ، وباصرار .

في مثل هذه الاوقات يكون من واجب الكنائس أن تطلق عنان كل قوى التدمير ضد النظام الحالي . ولكنها اذا فعلت ذلك يجب على النظام الحالي أن يمنعها بالقوة . فالنظام الحالي لا يسمح للكنائس بالبقاء إلا لتبشر بالخضوع للدولة بنظامها الرأسمالي الحالي . وعلى كنيسة انكلترا نفسها ان تضيف الى المواد الست والثلاثين التي وضعت فيها أسسها الدينية ثلاث مواد اخرى تحتج فيها على انه في اللحظة التي تتعارض فيها اية مادة من المواد الست والثلاثين مع الدولة فيجب الغاؤها والتخلي عنها وخرقها واتلافها ونقضها وكرهها ، لأن الشرطي هو أهم من الآب أو الابن أو الروح القدس. ولهذا السبب لا تستطيع أية كنيسة او جيش للخلاص أن ينالا ثقة الفقراء ، لأنهما يجب ان يكونا مع الشرطة والجيش بصرف النظر عن معتقداتهما . ولما كان الجيش والشرطة الوسائل التي يستطيع الاغنياء بها ان يسلبوا الفقراء ويضطهدوهم (وفقاً لأسس شرعية أخلاقية موضوعة لهذا الغرض) فانه من المستحيل التزام جانب الفقراء والشرطة في وقت واحد . بل ان المؤسسات الدينية ، باعتبارها تحمي الاغنياء ، تصبح شرطة مساعدة ، نازعة جوانب العصيان عن الفاقة بواسطة توزيع البطانيات والفحم والخبز والحساء ، وبذل الوعود للضحايا عن سعادة هائلة لا تكلف شيئاً في العالم الآخر ، حين يكمل قتلهم نهائياً في خدمة الاغنياء ، قبل انتهاء امكانياتهم الحياتية بالفعل .

المسيحية والفوضوية

ذلك هو الموقف الزائف الذي لا يستطيع جيش الخلاص ، ولا الكنيسة الانكليزية ، ولا أية منظمة دينية أخرى ، أن تتخلص منه الا باعادة تشكيل المجتمع . كما انها لا تستطيع أن تحتمل الدولة احتمالاً سلبياً ، غاسلة ايديها من خطاياها . ان الدولة تفرض باستمرار على ضمائر

البشر ما تريد بواسطة العنف والقسوة . وهي لا تقنع بان تأخذ النقود منا لتشكيل جيشها وشرطتها وسجانيها ومنفذي الاعدام ، وانما هي تفرض علينا ان نقوم بدور شخصي فعال في ما تقوم به والا فاننا نكون ضحايا عنفها . وفي الوقت الذي اكتب فيه هذه السطور يشاهد العالم مثلاً حياً على ما أقول . لقد تم الاحتفال بزواج ملكي ، اولاً في الكاتدرائية بمنح اعلى درجات السمو الديني ، وثانيـاً في حلبة لمصارعة الثيران حيث استمتع الزوجان الملكيان برؤية الخيول تبقر بطونها الثيران وتخرج امعاءها ، وبعد ذلك ، حين يكون الثور متعباً لا يقوى على النزال ، يقتله مصارع محاط بالحماية . ولكن التعارض المثير للسخرية بين مصارعـة الثيران ، وحفلة الزواج في الكنيسة لا يؤثر في أي أحـد . وهنالك تعارض آخر ، بين الروعة والسعادة وجو الاعجاب المحيط بالزوجين الشابين ، والثمن المدفوع لقاء ذلك ، بموجب نظمنا الاجتماعية الكريهة ، الثمن الذي تدفعه ملايين أخرى من الازواج الشبان الذين يعانون من البؤس والفاقة والادقاع والضعة. ان القاص مستر ابتون سنكلير يجتذب الأنظار الى هذا التعارض ، اذ أنه يزيل جانباً من البريق الذي يغطي صناعات تعليب اللحوم ، الكبيرة في شيكاغو ، ويرينا ذلك كنموذج على ما يحدث في العالم تحت أعلى طبقات البلوتوقراطية الغنية . ان شخصاً واحداً على الأقل يتأثر بذلك فيدفع حياته ثمناً لضربة يسددها الى المسؤولين عن ذلك . كانت الفاقة قد تركته جاهلا بحيث سهل خداعه بادعاء أن العروس والعريس الشابين البريئين ، اللذين تضعهما البلوتوقراطية على رأس الدولة وتتوجهما الدولة التي لا يملكان فيها السلطة التي يملكها رجل الشرطة ، والنفوذ الذي يتمتع به أي واحد من اعضاء الترست ، أن هذين البريئين هما المسؤولان ، لقد ظن انهما هما المسؤولان ، فاذا به يلقي بمتفجراته عليهما ، ولكنه أخطأهما ونثر بدلاً منهما امعاء خيول اخرى بقدر الخيول التي نثرت الثيران امعاءها ، وقتل عشرين شخصاً وجرح تسعة وتسعين . والحقيقة ان الخيول هي وحدهـا البريئة من الجريمة التي أراد أن ينتقم لها : لو كان قد حول مدريد كلها الى رماد بكل

فرد فيها ، لما استطاع واحد أن يتخلص من تهمة الاشتراك في تلك الجريمة ، والتسبب ، سواء كان ذلك قبل أو عند أو بعد وقوع الفقر والبغاء ، وذلك القتل الجماعي للاطفال ، الذي لم يكن هيرودس ليحلم به ، وفي الطاعون والوباء والجاعة والحرب والقتل والموت البطيء — لم يكن ليظـل واحد لم يكن قد ساعد سواء بضربه مثلا ، أو بمعرفته أو بتعاميه وحتى بجهره ، في تعليم قاذف الديناميت ما كان يشعر به من حقد وانتقام ، وذلك بموافقته في كل يوم على أحكام بالسجن لسنوات من الحماقة والتعذيب المريـع ، بحيث أن أولئك الذين يناصرون اصدار مثل تلك الأحكام لا يستطيعون أن يتبرأوا من الخنجر ولا من القنبلة بدون ان يتبرأوا منه ، ويخلعوا قنـاع العدالة والانسانية من وجوههم .

لنلاحظ ان في هذه اللحظة بالذات قد ظهرت قصة حياة أحـد دوقاتنا الذي كان يستطيع ان يناقش في السياسة ولذلك برز باعتبـاره من العظماء بين ارستقراطيينا . ولكن ، ماذا كانت افضل حادثة تاريخية في نظر سعادته رجاء ؟ الحادثة التي أعلن انه كان كلما قرأ عنها شعر بأشد درجات الاستمتاع تركيزاً ؟ كانت تلك الحادثة تمزيق الجنرال الشاب نابليون بونابرت للجماهير في باريس عام ١٧٩٥ ، تلك الحادثة التي تثير اغتباط طبقاتنا العالية فتسميها « رائحة الرصاص المتناثر » هزءاً بالجماهير ، رغم اننا اذا أنصفنا نابليون فعلينا ان نذكر أنه كان ينظر الى الأمر نظرة أعمق من ذلك ، وكان يود لو نسيها التاريخ . ولما لم يكن دوق آرجيل عفريتاً ، بل رجلا ذا مشاعر مثلنا، ليس حقوداً ولا لئيماً كالآخرين ، فمن يستطيع أن يشك في أن البروليتاريا في جميع انحاء العالم ، التي لا يختلف مزاجهـا البشري عن مزاج الدوق ، تغتبط الآن « برائحة الديناميت » (لا بد أن طعم النكتة قد قل قليلا ، أليس كذلك ؟) لأن الديناميت كان موجهاً ضد الطبقة التي تكرهها كما يكره دوقنا المحترم ما سماه « الرعاع » .

في مثل هذه الظروف كان سيكون هنالك أثر واحد لانفجار مدريد .

اوروبا كلهـــا تحترق لتقلد ذلك . الانتقام ! مزيـــد من الدماء ! مزقوا « الوحش الفوضوي » مزقاً ، واسحلوه الى المشنقة . اسجنوه مدى الحياة . دعوا كل الدول المتحضرة تتحد لتقضي على امثاله وتزيلهم من الوجود ، واذا رفضت ذلك دولة من الدول فاعلنوا الحرب عليها . وفي هذه الحالة لا تقول صحيفة كبرى في لندن ضد الاحرار ، ولذلك فهي ضد روسيا في السياسة ، لا تقول : « هـــذا هو جزاؤكم » للضحايا ، كما قالت حـــين تناثرت أشلاء بوبريكوف ودوبليف والدوق الكبير سرجيوس بنفس الطريقة . كلا ، وانما ستقول : مزقوا أشلاء منافسينا في آسيا ، اولئك الروس الثورويين الشجعان. اما ان توجهوا ذلك الى اميرة انكليزية ! بشع ! شنيع ! اقتلوا الشقي ! ، ولاحظ ، رجاء ، اننا قوم متحضرون رحماء ، مهما نبلغ في أسفنا للحادث، فاننا يجب ألا نعامله كما عومل رافاياك وداميان . والآن ، ما دمنا لم نقبض عليه بعد ، دعنا نهدىء اعصابنا المرتعشة بمصارعة الثيران ، ونعلق بطريقة نبيلة على حذق وجمال ذوق سيدات بلاطاتنـــا اللواتي ، بالرغم من رقتهن الطبيعية الاعتيادية ، يمكنهن أن يشاهدن احتفالاً تبقر فيه بطون الخيل ، بل يمكنهن أن يشاهدن احتفالاً يصارع فيـــه الانسان الوحوش ، اذا صار ذلك من عادات العصر .

والغرابة هي أنه وسط هذه النار الملتهبة من الحقد والنفاق ، نجد ان الإنسان الوحيد الذي ما يزال يؤمن برقة الطبيعة البشرية وذكائها هو الذي ألقى القنبلة ، وهو الآن شقي مطارد ، لا يحميه من حقد أوروبا كلها عليه ، وسجونها ومشانقها الا المسدس الذي يضعه في حزامه ، والذي يجد نفسه مستعداً لاطلاقه على رأســه أو رأس كل من يتصدى له . فكر به وهو منطلق للبحث عن سيد مهذب أو مسيحي وسط ملايين البشر الذين يعوون طلباً لدمه . فكر أيضاً في هذا : انه في المقالة الأولى يجد ما يبحث عنه ، رجل اسباني طيب القلب حقاً ، نبيل ، عالي التفكير ، لا يخاف ، وليس في روحه شيء من الزيف أو النفاق ، رجل يتلبس بلبوس – بدلاً من كل

الأقنعة التي يحفل بها العـالم ! — محرر حديث . ويلقي الذئب الفوضوي الهارب من ذئاب البلوتوقراطية بنفسه في عهدة شرف الرجل . ولما لم يكن الرجل ذئباً (ولا محرراً لندنياً) فلذلك لا يهتم اهتماماً كبيراً بصيده ، ليظمأ الى دمه ، ولا يلقي به الى الكلاب التي تطارده — وانما ، بدلاً من ذلك ، يعطيه ما يستطيع من العون ليهرب — ويرسله بعد ان يتيح له على الأقـل ان يتعرف على قوة أشد عمقـــاً من الديناميت ، رغم أنك لا تشتريها لقاء المال . وهذه المأثرة الانسانية العالية الشريفة ، العادلة ، لا تضيع هباء على أوروبا ، دعنا نأمل ، بالرغم من أنها تنفـع الذئب الهارب في هذه اللحظة فقط . فان الذئاب البلوتوقراطية سرعان ما تشم رائحته ، فيصيب الهارب أقرب الذئاب أنفاً اليه ويرديه ، ثم يقتل نفسه ، ويقنع العالم ، بصورته الفوتوغرافية ، بأنه لم يكن حيواناً خرافياً أو عفريتاً يعود بالانسان الى النمر ، وانما هو شاب جميل الطلعة ليس فيـــه شيء غير اعتيادي ما عدا شجاعته الخارقة وعزمه (ولهذا السبب يصرخ المرتعبون وراءه : جبان) ، رجل كان بالنسبة له قتل زوجين شابين في صباح يوم عرسهما أمراً كريهـــاً غير طبيعي الى درجة بعيدة ، فقـــط لو كان ذلك في ظروف معقولة انسانية حقاً .

ثم تحدث ذروة الحماقة والسخرية . فحين تحرم الذئاب من التهام زميلها الذئب المطارد ، تنقلب الى الرجل وتشرع في تعذيبه ، على طريقها ، بالسجن لأنه رفض أن ينشب اسنانه في رقبة قاذف الديناميت ، ويقبض عليه حتى يصلوا ليقتلوه .

وهكذا ، ترون ، قد لا يكون الرجل رجلاً مهذباً في يومنا هذا حتى اذا رغب في أن يكون كذلك . أما إذا أراد أن يكون مسيحياً فانهم يسمحون له ببعض ذلك وذلك لأن للمسيحية ، واكرر ذلـــك ، وجهين . المسيحية العامة الشائعة شعارها المشنقة ، وهي تعد للاستمتاع مشهد اعدام بعد التعذيب ، وأساسها انتقام مجنون مشترى بمبلغ موهوب لا قيمة له الا

بالمظهر الفارغ . ولكن هنالـك مسيحية أخرى أشد عمقاً وهي تؤكد على اساس المساواة المقدسة وتمنع سخافـــة وحماقة الانتقام الذي يسمونه تأدباً العدالة أو العقاب . ان جانب المشنقة من المسيحية أمر يصبر عليه النـاس ، وأما جانبها الثاني فهو مجموعة من المجرمين . وهواة السخرية يدركون ان المحرر الوحيد في انكلتره الذي يشجب العقاب باعتباره خطأ جذرياً يشجب المسيحية أيضاً ، انه يسمي صحيفته « المفكر الحر » وقد سجن « لذوقه السيء » بموجب القانون الذي يعاقب على الالحاد .

استنتاجات معقولة

والآن يجب علي أن اطلب من القاريء المتحمس ألا يفقد عقله وينضم الى هذا الجانب أو ذاك ، وانما ان يخرج بعظة عاقلة من هذه التفاهات الكئيبة . فليس من الذوق الصالح اقتراح تطبيق القوانـــين الموضوعة ضد الجريمة على المسؤولين الرئيسيين فقط ، وليس على الصغار الذين قـــد توفر موافقتهم أو مشورتهم أو صمتهم الأمان للمسؤول الأول . فاذا وضعت العقاب باعتبـاره جزءاً من القانون فعليك أن تعاقب الناس الذين يرفضون أن يطبقوا العقاب . واذا كانت لديك شرطة فان بعض واجبها يكون في أن تفرض على كل واحد ان يساعد الشرطة . ولا شك في انه اذا كانت قوانينك غـــير عادلة واذا كانت شرطتك من عملاء الاضطهاد فان النتيجة تكون خرقاً لا يحتمل لضمائر المواطنين الخاصة . ولكن هذا أمر لا يمكن رده : والعلاج هو عدم السماح لكل فرد بمعارضة القانون اذا شاء وانما بوضع القانون الذي يخطيء بموافقـة الناس وبعدم معاقبة الذين يخرقون القانون بقسوة وطيش . فالناس جميعـــاً لا يقرون اللصوصيّة ، ولكن حين يقبض صاحب الدار على اللص الحديث ، فانه يسترحم ويطلب ، دعنا نأمل انه ينجح غالباً في طلبه من آسره ، ألا يسلم الى العقـاب ، العبودية والعذاب اللذين لا جدوى فيهما . وفي الحالات الاخرى يهرب اللص لأن اولئـــك الذين يستطيعون ان يسلموه لا يعتبرون

خرقه للقانون جريمة . وفي بعض الاحيان تؤلف محاكم خاصة بدلا من المحاكم الرسمية وهذه المحاكم الخاصة تستخدم القتلة ليقوموا بتنفيذ احكام الاعدام ، كما فعل الايرلنديون اثناء نضالهم ضد الاقطاعيين . ففي مثل هذه الظروف يطلق سراح القاتل رغم أن كل من في المنطقة يعرف من هو وماذا فعل . وهم لا يخونونه ويرجع بعض ذلك الى انهم يبررون سلوكه تماماً كما تبرر الحكومة النظامية سلوك موظفها المختص لتنفيذ الاعدام ، والبعض الآخر الى انهم انفسهم سيذهبون ضحية القتل لو أنهم فضحوا الجلاد . وهذه هي طريقة اخرى يتعلمونها من الحكومة الرسمية . فاذا توفرت هنالك محكمة ، وتم استخدام جلاد ليس هنالك خلاف ما بينه وبين المعدوم ، فليس هنالك أي فرق معنوي بين القتل الرسمي والقتل غير الرسمي .

وباختصار ، الناس كلهم فوضويون بالنسبة للقوانين التي هي ضد ضمائرهم ، سواء كان ذلك في أساس القانون او في العقوبة التي يفرضها . وأسوأ فوضويي لندن هم القضاة لأن الكثيرين منهم هم من الشيوخ والجهلة بحيث انه حين يطلب منهم تطبيق أي قانون مرتكز على أفكار او معارف تعود الى خمسين سنة في الماضي ، تجدهم يختلفون معها ، ولما كانوا افراداً من الانكليز العاديين، لا يحترمون القانون احتراماً مجرداً ، فانهم يضربون مثلا ساذجاً في خرقه . وهكذا نجد ان الانسان يتخلف عن القانون ، ولكن حين يتخلف القانون عن الانسان ، يصبح الانسان فوضوياً ايضاً . حيث يحدث تغيير هائل في الظروف الاجتماعية ، كالثورة الصناعية في القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، تغيير يجعل أسسنا التشريعية والصناعية قديمة بالية ، تصبح الفوضوية ديناً . وتتركز قوى نوابغ العصر في الفلسفة والاقتصاد والفن في توضيحات وتذكيرات بأن الاخلاق والقانون هما تقاليد وحسب ، يمكن ان تخطيء ، وان تستبدل لعدم جدواها . وتظهر التراجيديات التي يكون فيها الابطال من رجال العصابات والكوميديات التي يضطر فيها الذين يلتزمون بالقانون والذين هم متخلقون بأخلاقهم التقليدية الى السخرية من أنفسهم بأن يهاجموا

ضمائر المشاهدين كلما قاموا بأداء واجبهم ، تظهر تلك الامور كلها الى جانب مقالات بعنوان : « ما هي الملكيـــة ؟ » أو « اللصوصية » وتواريخ عن « الصراع بين الدين والعلم » .

هذه طبعاً ليست حالة صحيحة . ان فوائد العيش في مجتمع ما نسبية ، وهي لا تحرر الفرد من الشريعة ، وانما تعقّد الشريعة التي لا يجد الفرد نفسه مستعداً لقبولها وحسب ، وانما للتمسك بها باعتبارها شديدة الأهمية بحيث لا يمكن العفو عن خارق القانون مطلقاً وبأي عذر كان . ويصبح مثل هذا الموقف مستحيلاً حين نجد أن الناس الوحيدين الذين يستطيعون أن يجعلوا الناس يستمعون اليهم ويتذكروهم ، ينفقون كل طاقاتهم في شحذ هممنا ضد القانون ، ضـــد الأخلاقية السائدة ، ضد الاحترام الجاري ، ضد الملكية المشروعة . والشخص العادي الذي لم يقرأ شيئاً عن النظرية الاجتماعية حتى اذا كان قد قرأ الشعر باللاتينية لا يمكن ان يقف ضد كل قوانين بلاده ثم يغرى بالنظر الى القانون نظرة تجريدية باعتباره ضرورياً للمجتمع . فهو اذا نقض القوانين مرة واحدة فانه ينقض مفهوم القانون ذاتـــه وركيزة الأسس الاجتماعية بما في ذلك حقوق الانسان ، ويمتدح الوسائل الغبية ويقول انهـــا « تاريخية » ، ولا يوافق الا على التجريبية في السلوك ، ويكون الديناميت أساس السياسة ، وتشريح الأحياء أساس العلم . هـذا شرير . ولكن ما العمل ؟ انا مثـــلاً ، شخص محترم بالنسبة لطبقتي ، مدرك وكاره للتبذير والفوضى ، أفهم الأحوال الشخصية ودستورها فهماً يـكاد يصل حد التحذلق ، ذو مزاج مفتوح ، ومقتصد الى حـد الافراط ، وأكاد في ذلك أشبه العجائز ، ومع ذلك فانني ، وقد كنت دائماً ، وسأكون دائماً ذلك الـكاتب الثوري ، لأن قوانيننا تجعـل القانون مستحيلا ولأن حرياتنا تدمر الحرية كلها ، وملكيتنا لصوصية منظمـــة واخلاقنا نفاق لا خجل فيه ، وحكمتنا تتقرر على أيدي اغبياء غير مجربين أو انهم مجربون تجربة خاطئة ، وقوتنا قد أضعفها الجبناء والضعاف ، وشرفنا مزيف في كل نواحيه . انني

أعادي النظام الحالي والاسباب قوية . ولكن ذلك لا يجعل عدائي أقل تشجيعاً أو مساعدة لأولئك الذين يعادونه لاسباب ضعيفة سيئة . وقد يصرخ النظام الحالي قائلا انني اذا كنت أقول الحق فان شخصاً أحمق قد يجعله أسوأ بأن يحاول أن يقضي عليه ، ولكنني لا استطيع ان امنع ذلك حتى اذا كنت ادرك درجة السوء التي سيكون عليها أكثر مما هو عليها الآن . وان سيئات تلك الدرجة السيئة حتى بالنسبة لها هي ، تكون أن المجتمع ، بكل سجونه وحرابه وعقوبات النفي والتجويع ، هو ضعيف أمام الفوضوي الذي هو مستعد لتضحية حياته في المعركة ضده . ان سلامتنا من المتفجرات الرخيصة المدمرة التي يستطيع كل تلميذ أن يقذف بها تكون في أن الرجال الشجعان المصممين ، حين يكونون أنذالاً ، لا يجازفون بجلودهم من أجل خير البشرية ، وحين لا يكونون أنذالا فانهم يعطفون على الانسانية ويكرهون القتل ولا يرتكبونه إلا اذا هوجمت ضمائرهم وجرحت فوق احتمالهم . العلاج اذن يكون في عدم جرح ضمائرهم وايلامها .

ولا تخف من انهم لن يتنازلوا عن اشياء كثيرة . فالواقع ان البشر جميعاً يتنازلون عن اشياء كثيرة قبل ان يعرضوا حياتهم للخطر في حرب تهدف الى القضاء على المجتمع . ولا يطالب أحد أو يتوقع أن يعيش مجتمعه ألف سنة ليرى المسيح . ولكن هنالك أمرين يجب أن نصلحهما ، او أن نفنى مثل روما ضحية تضييع الروح تحت قناع الامبراطورية .

الأول هو ان الطقوس اليومية : توزيع ثروة البلد بين سكانه يجب ان يتم بحيث لا تذهب لقمة واحدة ، ما عدا اذا كانت تعييناً يعطى لمسجون ، الى جيوب القادرين البالغين الذين لا ينتجون بجهودهم الخاصة ، لا ما يعادل ما يأخذونه وحسب ، وانما فائضاً لتغطية تقاعدهم في المستقبل وما صرف على تربيتهم في الماضي .

والثاني هو ان ايقـــاع الضرر الحقود المتعمد الذي يتم الآن تحت ستار العقاب يجب ان يترك ، بحيث ان اللص والمشرد والمقامر والشحاذ يمكن ان يسلموا الى القانون دون ان تصاحب ذلك وحشية ، ويتم افهامهم بأن الدولة التي هي اكثر انسانية من أن تعاقبهم ستكون أيضاً مقتصدة جداً في حياة الناس الطيبين لئلا تضيـع في مراقبة أو كبـح جماح الاشرار . وهـذا هو السبب الذي يوضح لمـاذا لا نسجن الكلاب . بل اننا نحن الذين نصاب بعضاتهم . ولكن اذا وجد كلب متعته في النباح والعض فانه يموت ويلوح هذا معقولاً . ان السماح للـكلب بان يعوض عن عضته بقضاء فترة في السجن والعذاب ، ثم اطلاق سراحه وهو بحالة أشـد وحشية (لأن القيد يزيد من ضراوة الكلب) ليعض ثانية ويعوض عن ذلك بالسجن ثانية ، بعد ان نكون قد بذّرنا جانباً كبيراً من الحياة والسعادة الانسانية في تقييده واطعامه وتعذيبه ، ذلك كله يلوح لي طائشاً وخرافياً وسخيفاً . ولكن هذا هو ما نفعله لاولئك الذين ينبحون ويعضون ويسرقون . الأفضل هو الصبر على شرورهم ، تماماً كما نصبر على أمراض البشر ، حتى تصل المتاعب التي يسببونها حداً يكون اكثر من قيمتهم وهنا يجب علينا ، معبرين عن اعتذارنا وعطفنا ، وكرمنا في السماح لهم ببيان آخر رغباتهم ، أن نضعهم في غرفة الاعدام ونتخلص منهم . ويجب ألا يسمح لهم بالتعويض عن جرائمهم بعقوبة مصطنعـة ، بالتبرع لجمعية خيرية ، أو بتعويض الضحايا . اذا لم يكن هنالك عقاب فلا يمكن ان يكون هنالك غفران . ولن تكون لنا مسؤولية خلقية حقيقيـة حتى يعرف كل واحد أن أعماله لا تنقض وان حياته تعتمد على درجة فائدته والى حد الآن ، يا للتعاسة ! لم تجرؤ الانسانية على مواجهـة هذه الحقائق . اننا ننثر نقود الضمير . بجنون ونخترع انظمة لمصارف الضمير ، مع عقوبات معوضة ، وغفران ، وتخليص ، وانقاذ ، وقوائم بالتبرع للمستشفيات ، وغير ذلك ، وكل هذا لـكي نتهرب من الشريعة الاخلاقية . ونحن لا نقنع بالضحية الماضية والخروف المنحور وانما نتحدى المخلصين البشر ونصلي من أجل شفاعة العذراوات صاحبات المعجزات . اننا نصف الصارم بالرحمـــة ، ونلطف

ضمائرنا بعـــد أن نرتكب القتل بأن نلقي بانفسنا في صدر الحب المقدس ، ونرتعش من مشانقنا لأننا نضطر الى الاعتراف بأنها على الأقل ، لا تقبـــل النقض . وكأن لحظة واحـدة من السجن هي ليست غير قابلة للنقض تماماً كالاعدام !

اذا لم يستطع المرء ان يواجه الشر إلا بالوهم فانه لن يعرف ما هو الشر أو كيف يحاربه محاربة فعـــالة . والقلائل الذين استطاعوا (نسبياً) ان يفعلوا هذا يُسمون الآن ساخرين وكانوا في بعض الاحايين قد ساهموا في الشر مساهمة غير اعتيادية في صميم انفسهم ، بما يناسب قوة اذهانهم غير العادية ، ولكنهم لم يفعلوا الشر الا اذا تقصدوا ان يفعلوه . وهـــذا هو سبب كون الانذال العظام حكاماً طيبين في حين ان الملوك اللطيفين الذين لا يؤذون احداً قد دمروا بلدانهم لاعتمادهم على الاحكام الخاطئة في التفريق بـــين البراءة والذنب ، والمكافأة والعقاب ، والاستياء الخلقي والعفو ، بدلاً من أن يقفوا على الحقائق دون ان يحقدوا او يرحموا . وتقف ميجر بارباره من بـل ووكر هذا الموقف ، بحيث ان هذا الوضيع حين لا يستطيع ان يحملها على كراهيته ، يكره نفسه . ولكي يخفف عن نفسه هذا العذاب فانه يحاول ان يحصل على العقاب ، ولكن الخلاصي الذي يحاول ان يحرضه ضد نفسه هو عديم الرحمـة مثل بارباره ، ولذلك فهو يصلي له فقط . ثم يحاول ان يدفـــع ، ولكنه لا يستطيع ان يجد من يقبل منه النقود . ان مصيره هو مصير قابيل الذي فشل في العثور على مخلّص او شرطي او جامع للتبرعات ليساعده في الشعور بأن دم أخيه لم يعد يصرخ على الارض ، وكان عليـــه ان يعيش او يموت قاتلاً . ولكن قابيل لم يقتـــل احداً آخر ، بعكس حاملي اسهم السكك الحديدية (الذين أنا منهم) فهم يقتلون ويقطعون اوصال عمال السكك بالمئات مفضلين ذلك على دفـــع ثمن جعل العربات تربط ببعضها أوتوماتيكياً ، ويخلصون انفسهم من الاثم بدفع مبالغ معينة لبعض الجمعيات الخيرية في كل عام . ولو كان قد سمح لقابيل بأن يدفع حصته فانـه كان سيقتل آدم وحواء لمجرد أن

ذلك سيتيح له متعة صلح آخر مع الله فيما بعـــد . ولك ان تثق بأن بوجر سيستمر طول حياته في تسميم الناس بالوسكي الرديء لانه يستطيع ان يعتمد دائماً على جيش الخلاص وكنيسة انكلترا ليفاوضا من أجـل خلاصه لقاء نسبة تافهة من ارباحه .

وهنالك شرط ثالث ايضاً ، يجب ان يتحقق قبل ان يكف اساتذة العالم العظام عـن السخرية بالدين . اذ يجب ان تصبح العقائد شريفة شرفاً عقلياً . اما في الوقت الحاضر فليس هنالك دين واحد مؤسس يمكن تصديقه في العالم . وهذه هي اشد الحقائق ادهاشاً في العالم الآن . ان مسرحيتي هـــذه « ميجر بارباره » هي ، كما آمل ، صحيحة وملهمة ، ولكن كل من يقول انها حدثت وان الايمان بها وفهمها يتألفان من الاعتقاد بأنها سجل لحوادث فعلية ، هو ، ولنستخدم لغة الانجيل ، أحمق كاذب ، وهو هنا موضع الاستنكار من قبلي ، انا المؤلف ، الى احفاد احفاده .

لندن – حزيران ١٩٠٦ **برناردشو**

المسرحيـــة

الفصل الاول

(بعد وجبـــة العشاء في كانون الثاني عام ١٩٠٦ في مكتبة بيت ليـــدي بريتومارت أندرشافت في ولتن كريسنت . في وسط الغرفة مقعد طويل مريح مغلف بجـــلد قاتم ، اذا جلس عليه المرء (الآن هو خـــالٍ) فتكون على يمينه منضدة كتابة ليدي بريتومارت التي نجد الليدي مشغولة بالكتابة عليها ، وتكون خلفه الى اليسار منضدة للكتابة أصغر من الاولى ، اما البـاب فخلفه من ناحية ليـــدي بريتومارت ، والى يســاره مباشرة نافذة أمامها كرسي . وهنالك كرسي كبير قرب النافذة .

الليدي بريتومارت سيدة في الخمسين أو حول ذلك ، ذات تربية حسنة ، بيد انها لا تكترث لتربيتها تلك ، وسلوك لائق ، رغم انها لا تعير رأي محدثها أي اهتمام ، وهي لطيفة ، ولكنها تعتبر رأيهـــا نهائياً ولا تقبـــل بغيره ، ذات مزاج عنيف الى آخر درجات الاحتمال ، وامرأة متزوجة نموذجية من نساء الطبقة العالية ، عوملت في البداية باعتبارها طفلة مشاكسة ، وترعرعت لتكون أماً تنهال بالتأنيب الشديد على اطفالها ، واستقرت اخيراً بمـا توفر لديها من مقدرة عملية وتجارب دنيوية تحدهما بصورة شاذة القيود البيتيـــة والطبقية . ومضت تفهم الكون وكأنه بيت كبير في ولتن كريسنت ، رغم انها تدير شؤون زاويتهـــا

الخاصة بها في ذلك الكون بتدبير ودراية بناء على تلك الفرضية، وهي مثقفة ثقافـة متحررة بالكتب التي تضمها المكتبـات والصور المعلقة على الجدران والموسيقى المكتوبة في الكراريس والمقالات التي تنشرها الصحف .

يدخل ولدها ، ستيفن ، وهو شاب يقل عمره عن الخامسة والعشرين ، شديد الاعتناء بمظهره وسلوكه ، يأخذ الامور على محمل الجـد بصورة شديدة ، ولكنه مع ذلك ما يزال يشعر ببعض الرهبة أمام أمه، ويرجع ذلك الى عادات الطفولة وخجل الشباب اكثر من رجوعه الى أي ضعف في شخصيته .)

ستيفن : ما الأمر ؟

ليدي بريتومارت : حالاً يا ستيفن .

(ستيفن يسير بخضوع نحو المقعد الطويل ويجلس عليه . ويتناول صحيفة أسبوعية حرة تدعى « المتحدث »)

ليدي بريتومارت : لا تقرأ يا ستيفن ، اذ انني بحاجة الى انتباهك .

ستيفن : انني انما انتظرك .

ليدي بريتومارت : لا تعتذر يا ستيفن .
(يضع صحيفة المتحدث جانباً)
والآن !
(تنهي الكتابة وتنهض وتقترب من المقعد)
لا اعتقد انني جملتك تنتظر طويلاً .

ستيفن : أبداً يا أماه .

ليدي بريتومارت : ناولني وسادتي .

(يحمل الوسادة من الكرسي الموضوع أمام منضدتها ويضعها تحتهـا

بينما تجلس على المقعد الطويل)
إجلس .
(يجلس ويعبث بربطة عنقه بعصبية)
لا تعبث بربطة عنقك يا ستيفن ، فلا شيء ينقصها .

ستيفن : المعذرة .
(يعبث بسلسلة ساعته بدلا من ذلك)

ليدي بريتومارت : هل انت منتبه لي يا ستيفن ؟

ستيفن : بالطبع يا أماه .

ليدي بريتومارت : كلا ، ليس بالطبع ، انني بحاجة الى اهتمام اشد من اهتمامك الطبيعي . اريد ان اتحدث اليك حديثاً جدياً جداً ، وارجو ان تترك تلك السلسلة .

ستيفن : (تاركاً السلسلة بسرعة)
هل فعلت شيئاً ضايقك يا أماه ؟ اذا كان الأمر كذلك فانه لم يكن عن قصد أبداً .

ليدي بريتومارت : (مندهشة) سخف ! (مع بعض اللوم) يا ولدي المسكين ، هل ظننت اني غاضبة عليك ؟

ستيفن : ما الامر اذن يا أماه ؟ انك تقلقينني جداً .

ليدي بريتومارت : (موجهة الحديث اليه بشيء من العنف) هل لي ان ان أسألك يا ستيفن متى ستدرك انك رجل بالغ وانني لست غير امرأة فقط ؟

ستيفن : (باستغراب) لست غير .. ؟

ليدي بريتومارت : ارجوك ألا تكرر كلماتي ، انها عادة تثير أشد

استيائي . عليك ان تتعلم كيف تواجه الحياة مواجهة جدية يا ستيفن . الحق انني لم أعد استطيع ان احتمل عبء شؤون العائلة كلها . عليك ان ترشدني ، عليك ان تتحمل المسؤولية .

ستيفن : أنا ؟

ليدي بريتومارت : أجل أنت بالطبع . لقد كنت في الرابعة والعشرين في حزيران الماضي ، ودرست في هارو وكيمبرج وذهبت الى الهند واليابان . لا بد انك تعرف اشياء كثيرة الآن ، اذا لم تكن قد اضعت وقتك بصورة شنيعة . حسناً ، ما هي مشورتك لي ؟

ستيفن : (وهو شديد الحيرة) انت تعرفين انني لم اتدخل يوماً في شؤون البيت .

ليدي بريتومارت : كلا ، لا أظن ذلك ، فلا أريد منك أن تأمر باعداد طعام العشاء .

ستيفن : اعني في شؤوننا العائلية .

ليدي بريتومارت : حسناً ، عليك أن تتدخل الآن ، لأن الأمور بدأت تخرج عن نطاق قدرتي .

ستيفن : (قلقاً) كنت أظن احياناً أن عليّ أن أتدخل ، والواقع يا أماه انني لا اعرف عن تلك الامور إلا القليل ، وما أعرفه مؤلم جداً . بل انه من المستحيل ان يكون في وسعي ان اذكر لك بعض الامور (يكف عن الحديث خجلاً) .

ليدي بريتومارت : أحسب انك تتحدث عن والدك ؟

ستيفن : (بصوت يكاد يكون غير مسموع) أجل .

ليدي بريتومارت : يا عزيزي : لا يمكننا ان نقضي حياتنا كلها دون ان

يكون في وسعنا ان نتطرق اليه . انت محق بالطبع في انـــك لم تتحدث عن الأمر الا حين طلبت منك ذلك ، بيد أنك الآن قد بلغت مبلغاً تستحق معه ان تكون موضع ثقتي ، لتساعدني عليـــه بشأن الفتيات .

ستيفن : ولكن الفتيات بخير ، انهن مخطوبات .

ليدي بريتومارت : (موافقة) أجل ، لقد حصلت على خطيب ممتاز لساره، وسيكون تشارلز لوماكس مليونيراً في الخامسة والثلاثين . ولكن ذلك يستغرق عشر سنوات . ولا يستطيع اوصياؤه بموجب شروط وصية والده أن يسمحوا له باكثر من ثمانمائة جنيه في العام .

ستيفن : ولكن الوصية تقول أيضـــاً انه اذا زاد دخله بجهوده الخاص فيمكنهم ان يضاعفوا ذلك له .

ليدي بريتومارت : ان جهـود تشارلز لوماكس جديرة بأن تخفض مدخوله بدلا من أن تزيده . وسيكون على سارة ان تدفع ثمانمائة جنيـــه في العام خلال السنوات العشر القادمة ، وحتى في ذلك الحين سيكونون اشد فقراً من فئران الكنيسة . وماذا عن بارباره ؟ لقد كنت أظن أن بارباره ستكون أشدكم توفيقاً ، فماذا فعلت ؟ انها تلتحق بجيش الخلاص وتطرد وصيفتهـــا وتعيش على جنيه واحد في الأسبوع ، وتسير في احدى الأمسيات مع استـــاذ للغة اليونانية التقت به في الشارع ؛ وادعى بأنه من جيش الخلاص والحق أنه يشيد بذلك بين الناس لسبب واحد ، هو أنه قد وقع في غرامها .

ستيفن : لقد دهشت حقاً حين سمعت بخطوبتها . ان كاسنز رجـل طيب بلا شك ، ولا يمكن أن يظن أحـــد أنه قد ولد في استراليا ، ولكن .

ليدي بريتومارت : أوه ، سيكون ادولفوس كاسنز زوجاً ممتازاً جـداً .

وبالاضافة الى ذلك فلن يقول أحد شيئاً ضد لغته اليونانية ، لأنها تطبع المرء بطابع الثقافة . شكراً لله على ان عائلتي ليست من المحافظين المتعصبين ذوي أدمغة الخنازير . اننا من حزب الأحرار ونؤمن بالحرية . دع المتحذلقين يقولون ما يشاؤون . ستتزوج بارباره من الرجل الذي اريده انا ، لا من الرجل الذي يريدونه هم .

ستيفن : بالطبع ، كنت افكر في دخله فقط . وعلى كل حال لا يحتمل ان يكون مبذراً .

ليدي بريتومارت : لا تكن واثقاً من ذلك اكثر مما يجب يا ستيفن . انني اعرف اولئك الهادئين البسطاء المثقفين الشعراء ، امثال ادولفوس : انهم يقنعون تماماً بافضل الأشياء كلها ! انهم يكلفون اكثر مما يكلفه المبذرون الذين هم دائماً وضعاء ضعة منزلتهم . كلا ، ستحتاج باربارة الى الفي جنيه في العام على الأقل . وهذا كما ترى يعني اعالة بيتين اضافيين ، فضلا عن انك انت ايضاً يجب ان تتزوج عاجلا . انني لا أميل الى ما أجده حولي في هذه الايام من شبان يغوون النساء وزيجات متأخرة، وانني احاول أن ارتب لك شيئاً .

ستيفن : انه لامر حسن منك أن تفعلي هذا يا أماه ، بيد انه ربما يكون افضل لو رتبت هذا الامر بنفسي .

ليدي بريتومارت : هراء ! انك ما تزال صغيراً على مثل هذه الامور : ستظفر بك نكرة من هؤلاء النكرات الجميلات الشابات . انا بالطبع لا اعني انك لست جديراً بان يستشيرك أحد . انت تعرف هذا بقدر معرفتي له . (يزم ستيفن شفتيه ويصمت) . لا تعبس يا ستيفن .

ستيفن : انني لست عابساً يا أماه . ولكن ما علاقة هذا كله بـ .. بـ .. بوالدي ؟

ليدي بويتومارت : يا عزيزي ستيفن : من أين النقود اذن ؟ من السهل لك وللأطفال الآخرين ان تعيشوا على مدخولي ما دمنا في بيت واحد ، ولكنني لا استطيع ان أعيل أربع عائلات في أربعة بيوت منفصلة . انت تعرف كم هو فقير والدي : فليس لديه غير سبعة آلاف في العام الآن . والواقع انه لو لم يكن ايرل ستيفنيج لكان عليه ان يختفي من المجتمع . انه لا يستطيع ان يفعل شيئاً من اجلك ، وهو يقول ، وله الحق في ذلك ، انه من السخف ان يُطلب منه ان يعيل أطفـــال رجل يتمرغ في المال . وهكذا ترى يا ستيفن ان والدك لا بد أن يكون ثرياً ثراء لا يصدق ، لأنه لا يمضي وقت الا وتندلـــع حرب هنا أو هنالك .

ستيفن : لا داعي لتذكيري بذلك يا أماه ، فلم افتح صحيفة في حيـاتي الا ورأيت فيها اسمنـــا . طوربيد اندرشافت ! كبسولات اندرشافت للانطلاق السريع ! عشر بوصات اندرشافت ! مدفـــع أندرشافت الخفي للدفـــاع ! غواصة اندرشافت ! والآن مقاتلة اندرشافت الطائرة ! لقد كانوا يسمونني في هارو طفل وولويج . ولم يختلف الأمر في كيمبرج . ولكنه زاد وحشية عند كنك الذي كان يحاول دائماً ان يثير الامور في وجهي ، لقد دمر الجيلي - الذي كان اول هدية منك لعيد ميلادي - وذلـك بأن كتب تحت اسمي : « ابن ووريث اندرشافت ولازاروس اللذين يتعاملان بالموت والدمـار : العنوان : يوم الحساب وجهنم . ولكن ذلك كله لا يعادل الطريقة المهينـة التي كنت أعامل بها دائماً لان والدي يربح الملايين ببيع المدافع .

ليدي بويتومارت : ليس المدافع وحسب ، ولكن قروض الحرب التي يعدها لازاروس تحت ستار اعطاء اعتمادات من اجل المدافع . انك تعرف يا ستيفن ان الامر هو فضيحة تماماً . ان هذين الرجلـــين ، أندرو اندرشافت ولازاروس يملكان اوروبا بين اصابعهما حقاً . ولهذا تجـد

والدك قادراً على التصرف كما يفعل . انه فوق القانون . هل تظن انه كان في وسع بسمارك او غلادستون او دزرائيلي ان يتحدوا كل التزام اجتماعي واخلاقي تحدياً مفضوحاً طول حياتهم كما فعـل والدك ؟ لم يكن هؤلاء ، ببساطة ، ليجرؤوا على فعـل ذلك . لقد طلبت من غلادستون والتايمس ولورد تشمبرلن ايقافه عند حده ، ولكن ذلك كان يشبه طلبي منهم ان يعلنوا الحرب ضد السلطان . فلن يفعلوا ذلك . لقد قالوا انهم لا يستطيعون ان يلمسوه . واعتقد انهم كانوا خائفين .

ستيفن : وماذا كان في وسعهم ان يفعلوا ؟ انه لا يخرق القانون بالفعل .

ليدي بريتومارت : لا يخرق القانون ! انه يخرق القانون دائماً . لقد خرق القانون حين ولد : فلم يكن ابوه وامه متزوجين .

ستيفن : أماه ، هل هذا صحيح ؟

ليدي بريتومارت : بالطبع صحيح ، بل ان هذا هو سبب انفصالنا .

ستيفن : وهل تزوجك دون ان يدعك تعرفي ذلك ؟

ليدي بريتومارت : (يلوح عليها شيء من الاحراج بسبب هذا الاستنتاج) أوه ، كلا ، علي أن أنصف أندرو ، اذ انه لم يفعل ذلـك . فضلاً عن انك تعرف شعار اندرشافت : لا حياء ! كان الجميع يعرفون ذلك .

ستيفن : ولكنك قلت ان هذا هو سبب فراقكما .

ليدي بريتومارت : أجل ، لأنه لم يكن قانعاً بنغولته هو فأراد ان يسلبك الميراث من اجل نغل آخر . وهذا هو ما لم أستطع الصبر عليه .

ستيفن : (خجلا) أتعنين لـ .. لـ .. لـ ..

ليدي بريتومارت : لا تتلعثم يا ستيفن وتكلم بوضوح .

ستيفن : ولكن هـــذا مرعب يا اماه . ان اضطر الى الحديث معك عن هذه الامور !

ليدي بريتومارت : انا ايضاً لا أجده امراً ممتعاً ، خاصة اذا كنت ما تزال طفلا ، لا تجعل الموضوع يلوح أسوأ بما تعبر عنه من حرج . الطبقات المتوسطة فقط ، يا ستيفن ، هي التي تجد فيها الناس يصابون بالذعر الاخرس حين يكتشفون أن في العالم اشراراً . أما في طبقتنا فعلينا أن نقرر ما يجب ان نفعله مـــع الأشرار ويجب ألا يؤثر شيء على امتلاكنا لمداركنا . الآن يمكنك أن تسأل سؤالك بصورة صحيحة .

ستيفن : ألا تحسبين لي حساباً يا أماه ؟ بحق السماء، إما أن تعامليني كطفل كما تفعلين دائماً ، ولا تخبريني بأي شيء على الاطلاق ، او ان تخبريني بكل شيء وتدعيني احاول ان ابذل كل جهدي .

ليدي بريتومارت : أعاملك كطفل ! ماذا تعني ؟ انه لأمر خال من اللطف وعرفان الجميل ان تقول مثل هذا . أنت تعرف انني لم اعامل أي واحد منكم معاملة الطفل . لقد جعلت منكم دائماً زملائي واصدقائي وسمحت لكم بالحرية الكاملة لتقولوا وتفعلوا كلما تشاؤون ، ما دمتم تريدون الأمور التي استطيع أن أوافق عليها .

ستيفن : (بيأس) أجرؤ على القول باننا كنا اطفالاً ناقصين لام كامـــلة ولكنني ارجوك أن تتركيني جانباً الآن ، وتخبريني بهذا الشأن الفظيـــع من شؤون والدي الذي يريد أن يتخلى عني الى ولد آخر .

ليدي بريتومارت : (مندهشة) ولد آخر ! لم أقل شيئاً من هذا . بل لم أحلم بمثل هذا . هذا هو ما يحدث حين تقاطعني .

ستيفن : ولكنك قلت ...

ليدي بريتومارت : (مقاطعة اياه) والآن كن ولداً طيبـــاً يا ستيفن ، واستمع اليّ بصبر . إن آ ل اندرشافت ينحدرون من نغـل كان في كنيسة سانت اندرو اندرشافت في المدينة . كان هـذا منذ زمن بعيد ، في عهد جيمس الاول . وقد تبنى هذا النغـل اللقيط صانع دروع ومدافع . واستطاع اللقيط بمرور الايام أن ينجح في ذلـك العمل ، ولعله بدافع عرفان الجميل ، أو لسبب آخر ، تبنى لقيطا آخر وترك العمل له . وفعل ذلك اللقيط الامر نفسه . وكانت صناعة المدافع منذ ذلك الحين تترك للقطـاء ، لكـل لقيط اسمه اندرو اندرشافت .

ستيفن : ولكن ، ألم يتزوجوا ؟ ألم يكن هنالك أبناء شرعيون ؟

ليدي بريتومارت : أوه ، أجل . لقد تزوجوا تماماً كما فعل والدك ، وكانوا من الـثراء بحيث استطاعوا أن يشتروا الاراضي لابنائهم ويتركوهم مزودين بالمال الـكافي . ولكنهم كانوا دائماً يتبنون ويدربون لقيطاً ليخلفهم في العمـل ، وكانوا دائماً يتشاجرون مع زوجاتهم حول ذلك . لقـد تم تبني والدك بهذه الطريقة ، وهو يعتبر نفسه ملزماً بالحفاظ على ذلك التقليد وتبني ولد ليترك له العمل . ولم أكن لاصبر على ذلك بالطبـع . قد يكون هنالك عذر لآ ل أندرشافت السابقين الذين كانوا يتزوجون زوجات من طبقاتهم ، لا يكون ابناؤهن قادرين على ادارة ملكية ضخمة . ولكن ليس هنالك عذر يبرر تخطي ولدي .

ستيفن : (في شك) أخشى انني سأسيء ادارة معمل المدافع .

ليدي بريتومارت : هراء ! يمكنك بسهولة ان تحصل على مدير تدفع له راتباً .

ستيفن : الواضح أن أبي لا يؤمن بقابلياتي ..

ليدي بريتومارت : سخف، يا طفلي ! لقد كنت طفلا فقط : الأمر لا يتعلق بقابلياتك . ان اندرو يفعل ذلك لأنه من صميم مبـــادئه ، تماماً كا يفعل الأمور الشريرة والشاذة لأنها من صميم مبادئه . وحين احتج والدي ، أخـــبره اندرو بالفعل ، في وجهه ، بأن التاريخ يتحدث عن أساسين ناجحـين فقط : الأول هو مؤسسة اندرشافت والثاني هو الامبراطورية الرومانية في عهد الأنطونيين ، وذلك لأن الاباطرة الانطونيين كلهم تبنوا من خلفوهم . مثل هذا الهراء ! ان الستيفنيين لا يقـــلون عن الانطونيين ، وانت ستيفنيٌ . ولكن ماذا تقول لاندرو ، فهذا هو معدنه ! ذكي بارع جداً ، لا يستطيع أحد أن يحاججه حين يدافع عن السخف والشر : دائماً متراجع وضعيف حين يكون عليه أن يتصرف بتعقل وشرف !

ستيفن : اذن فقد تحطمت حياتك العائلية بسببي يا أماه ! انني متأسف .

ليدي بريتومارت : حسناً ، يا عزيزي . كانت هنالـــك خلافات اخرى . الحق انني لا استطيع ان أحتمل رجـــلاً لا أخلاق له . لست من الفريسيين ، على كل حـــال ، وكان علي ألا اكترث لأفعـــاله السيئة : فليس فينا من هو كامـــل . ولكن أباك لم يفعل الاشـياء الشريرة بالضبط : لقد قالها وفكر بها : وكان هذا هو المخيف فيه . بل ان له ديناً من الضلال . وتماماً كا لا يعير المرء اهتماماً للذين يزاولون سوء الخلق ما داموا يعترفون بأنهم يفعلون ذلك ، بتبشيرهم للاخـلاق ، فكذلك أنا ، اذ انني لم استطع أن أغتفـــر لأندرو ان يبشر بسوء الاخلاق ، في حين انه يمارس الاخلاق . كنتم ستترعرعون جميعـاً بلا مبادىء ، دون أن تعرفوا الحق من الباطل ، لو كان في البيت . وانت تعرف يا عزيزي أن أباك كان رجلاً جذاباً من بعض الوجوه . لم يكرهه الاطفال ، ولذلك اغتنم تلـك الفرصة ليضع في رؤوسهم أشد الافكار شراً ويجعلهم فوق الاحتمال تمامـــاً . أنا شخصيـاً لم

أكرهه ، بالعكس ، ولكن لا شيء يمكن أن يوفق بين المختلفين بشأن الاخلاق .

ستيفن : كل هذا يحيرني يا أماه . قد يختلف الناس حول الآراء بل حتى حول الدين ، ولكن كيف يختلفون حول الحق والباطل ؟ فالحق هو الحق ، والباطل هو الباطل ، واذا لم يستطع الانسان أن يميز بينهما فانه إما ان يكون أحمق أو نذلاً ، هذا هو كل ما في الأمر .

ليدي بريتومارت : (متأثرة) هوذا ولدي (تربّت على خده) لم يكن والدك ليستطيع أن يجيب هكذا : لقد كان يضحك ويتخلص من ذلك تحت ستار أقاويل عاطفية سخيفة . ولكن ما دمت تفهم الموقف ، فبماذا تشير علي ؟

ستيفن : حسناً ، ماذا يمكنك أن تفعلي ؟

ليدي بريتومارت : علي أن أحصل على النقود بأية طريقة .

ستيفن : اننا لا نستطيع أن نأخذ النقود منه . انني أفضل ان أعيش في مكان رخيص مثل ساحة بيدفورد أو حتى هامبستيد على أن آخذ منه فلساً واحداً .

ليدي بريتومارت : ولكن دخلنا الحالي يأتينا من أندرو يا ستيفن !

ستيفن : (مصدوماً) لم أعرف ذلك مطلقاً .

ليدي بريتومارت : حسناً ، لا شك في انك لم تفترض أن جدك يستطيع أن يعطيك أي شيء . فلم يستطع آل ستيفن أن يفعلوا كل شيء من أجلك . لقد أعطيناك المكانة الاجتماعية . وكان على أندرو أن يساهم بشيء . وصفقته ممتازة فيما أعتقد .

ستيفن : (بمرارة) نحن اذن معتمدون تماماً عليه وعلى مدافعه ؟

ليدي بريتومارت : كلا بالتأكيد : لقد تمت تسوية قضية النقود ، ولكنه

هو الذي قدمها . ولهذا ترى أن المسألة ليست مسألة أن نأخذ منه النقود أم لا : انها مسألة كم . أنا لا أريد مزيداً لنفسي .

ستيفن : ولا أنا .

ليدي بريتومارت : ولكن ساره تريد . وبارباره تريـــد . أي أن تشارلز لوماكس وادولفوس كاسنز سيكلفانها المزيد . ولهذا يجب علي أن أضع كبريائي في جيبي وأطلب النقود ،ألا تستشيرني بذلك يا ستيفن؟

ستيفن : كلا .

ليدي بريتومارت : (بحدة) ستيفن !

ستيفن : بالطبـع ، اذا كنت مصممة .

ليدي بريتومارت : لست مصممة : انني أسألك النصح وانني لمنتظرة ذلك. لن تكون المسؤولية كلها ملقاة على عاتقي وحدي .

ستيفن : (بعناد) أفضل أن أموت الآن على أن اطلب منه فلساً آخر .

ليدي بريتومارت : (باستسلام) أتعني أنني التي يجب أن أطلب منه ذلك ؟ حسناً يا ستيفن : سيكون الأمر كما تشاء . سيسرك أن تعرف أن جدك يوافق على ذلك . ولكنه يريد أن يحضر أندرو الى البيت ليرى البنات . على كل حال يجب أن يكون في قلبـــه بعض الحب الطبيعي لهما .

ستيفن : يحضر هنا !!!

ليدي بريتومارت : لا تكرر كلماتي يا ستيفن . أين تريد مني أن أطلب منه ذلك إذن ؟

ستيفن : لم أتوقع منك أن تطلبي ذلك منه اطلاقاً .

ليدي بريتومارت : لا تحاول مضايقتي يا ستيفن . لا بد انك ترى أن من

الضروري أن يزورنا ، أليس كذلك ؟

ستيفن : (كارهاً أظن ذلك ، اذا لم تستطع البنات أن يتخلين عن نقوده

ليدي ر تومارت : شكراً يا ستيفن . كنت أعرف أنك ستقدم لي المشورة الصحيحة حين أشرح لك الأمور . لقد طلبت من والدك أن يحضر هـــذا المساء . (يقفز ستيفن من المقعد) لا تقفز يا ستيفن : إن ذلك يرعبني .

ستيفن : (شديد اليأس) هل تعنين أن والدي سيحضر هنا في هذه الليلة ؟ وأنه قد يكون هنا في أية لحظة ؟

ليدي بريتومارت : (ناظرة الى ساعتها) قلت في الساعة التاسعة . (ستيفن يتنفس بصعوبة ، وهي تنهض) دق الجرس رجـاء (يذهب ستيفن الى منضدة الكتابة الصغيرة ويضغط على زر فوقهـا ، ثم يجلس على المنضدة ، متكئاً بمرفقيه عليها ، ومسنداً رأسه بـين يديه ، وهو مدحور خاسر) الساعة الآن هي التاسعة إلا عشر دقائق فقـط ، وعلي أن أجهز البنات . لقد دعوت تشارلز لوماكس وأدولفوس الى العشاء متقصدة ليكونوا هنا . يجب على أندرو أن يراهما ، هذا اذا كان يريد أن يتأكد من أنهما يستطيعان أن يعيلا الفتاتين . (يدخل رئيس الخدم : تذهب ليدي بريتومارت خلف المقعد الطويل لتتحدث اليه) اذهب يا موريس الى غرفة الاستقبال واطلب من الجميع أن يهبطوا هنا في الحال . (ينسحب موريس ، وتلتفت هي الى ستيفن) تذكر الآن يا ستيفن : ساحتاج الى كل مـــا لديك من قوة وشخصية (ينهض ويحاول أن يضع على وجهه تعبيراً يشبه ذلك .) ناولني مقعداً يا عزيزي . (يدفع مقعداً من الجـــدار الى حيث تقف ، قرب منضدة الكتابة الصغيرة ، ويذهب هو الى الكرسي الكبير ويلقي بنفسه عليه) لست أعرف كيف ستنظر باربارة الى الأمر ، فمنذ أن

جعلوها برتبة ميجر في جيش الخلاص بدأت تحاول أن تكون مسؤولة عن نفسها وتأمر الاخرين الأمر الذي كان يشعرني بالضعف أمامها في بعض الأحيان . ولكن ذلك ليس من ميزات الليدي . لست أعرف من أين حصلت على هذه الميزة . وعلى كل حال فلن تضايقني بارباره ، ولكن والدك يجب أن يكون هنا قبل ان يتوفر لها الوقت لكي ترفض مقابلته وتثير ضجة حول الأمر . لا تكن عصبياً يا ستيفن : فذلك سيشجع بارباره على اثارة المتاعب . ان عصبيتي تكفي ولكنني لا أظهرها .

(تدخل ساره وبرباره مع شابيهما تشارلز لوماكس وادولفوس كاسنز . ساره نحيفة يلوح على وجهها السأم والدنيوية . أما بارباره فهي أشد امتلاء منها ، ومرحاً ، ونشاطاً . ترتدي ساره احدث الملابس : أما بارباره فهي في ملابس جيش الخلاص الرسمية . ولوماكس ، شاب من شبان المدينة يلوح كغيره من أمثاله ، وهو مصاب بمرح عنيف يجعله يغرق في الأوقات غير المناسبة في نوبات من الضحك المكتوم الى حد ما . أما كاسنز فهو تلميذ يضع على عينيه النظارات ، نحيف نوعاً ، خفيف الشعر ، عذب الصوت ، مصاب بنوع من المرح أشد تعقيداً من مرح لوماكس . ذلك لأن دعابته ذهنية بارعة يزيدها تعقيداً مزاجه العنيف . كان الصراع الذي عانى منه طول حياته ،بين طبعه الرقيق وضميره الحاد ضد دوافع السخرية اللاانسانية وعنف نفاد الصبر قد ترك فيه توتراً دائماً دمر ملامحه بصورة ملحوظة . وهو شديد العناد والتصميم والتزمت ، غير متسامح يفرض شخصيته باعتباره – بالفعل – يولي مشاعر الآخرين عنايته ، رقيقاً ، واضحاً ، بل لطيفاً ومعتذراً ، قادراً حتى على القتل ، ولكن ليس بقسوة أو خشونة . انه مدفوع بقوة فطرية ، ليست رحيمة الى حد يكفي ليجعله يندفع اندفاعاً أعمى في وهم

الحب ، الى الزواج من بارباره . أما لوماكس فهو يميل الى سارة ويظن ان زواجه منها سيكون ممتعاً . ولهذا فانه لم يحاول أن يعارض محاولات الليدي بريتومارت الرامية الى ذلك .
يلوح على الأربعة انهم كانوا قد قضوا وقتاً ممتعـــاً جداً في غرفة الاستقبـال . تدخل الفتاتان أولاً وتتركان الشابين في الخارج . وتقترب ساره من المقعـد الطويل ، وتأتي بارباره بعدها وتقف بالباب) .

بارباره : هل يدخل جولي ودولي ؟

ليدي بريتومارت : (بقوة) بارباره : لا أحب أن تسمي تشارلز جولي ، ان ما في ذلك من ضعة يمرضني .

بارباره : لا شيء في ذلك يا أماه : وان كلمة جولي صحيحة تماماً في هـــذه الأيام . هل يدخلان ؟

ليدي بريتومارت : أجل ، اذا كانا سيتصرفان تصرفاً حسنا .

بارباره : (عبر الباب) أدخل يا دولي واسلك سلوكاً حسناً . (تقترب بارباره من منضدة كتابة امها . يدخل كاسنز باسماً ، ويسير بـــلا هدف ، نحو الليدي بريتومارت .)

ساره : (منادية) أدخل يا جولي . (يدخل لوماكس محـاولاً أن يضبط ملامحه بصورة غير كاملة ويقف وقفة غامضة بين ساره وبارباره .)

ليدي بريتومارت : (بسيطرة) اجلسوا ، جميعـــاً . (يجلسون . يعبر كاسنز نحو النافذة ويجلس هناك ، ويتناول لوماكس مقعداً ، وتجلس بارباره على منضدة الكتـابة وساره على المقعـد الطويل .) لست أعرف مطلقاً ما الذي تضحك منه يا أدولفوس . انك تدهشني رغم انني لم اتوقع افضل من ذلك من تشارلز لوماكس .

كاسنز : (بصوت رقيق ملحوظ) كانت بارباره تحـاول أن تعلمني مسيرة ويست هام لجيش الخلاص .

ليدي بريتومارت : لست أجد في هذا ما يضحك ، ويجب ألا يضحكك هذا ايضاً اذا كنت حقاً قد انضممت الى جيش الخلاص .

كاسنز : (بعذوبة) لم تكوني حاضرة معنا . اعتقد أن الأمر كان مثيراً للمرح حقاً .

لوماكس : شديد الاثارة .

ليدي بريتومارت : اهدأ يا تشارلز . استمعوا اليّ أيها الأطفال . سيحضر والدكم هنا هذا المساء .

(جمود عـــام . ينهض لوماكس وساره وبارباره : يلوح الذعر على ساره ، أما بارباره فيلوح عليها الاستمتاع والتوقع .)

لوماكس : (محتجاً) أوه ! أقول !

ليدي بريتومارت : لم يطلب أحد منك أن تقول شيئاً يا تشارلز .

ساره : هل أنت جادة يا أماه ؟

ليدي بريتومارت : بالطبع جادة . ان ذلك هو من أجلـــك يا ساره ، وكذلك من أجـل تشارلز . (صمت . تجلس ساره وتهز كتفيها . تلوح على تشارلز تفاهة مؤلمة .) ما أظنك ستعترضين يا بارباره .

بارباره : انا ! لماذا ؟ ان لوالدي روحاً تستحق الخلاص كأرواح الآخرين . أهلاً به ، بقدر مـا يخصني الأمر . (تجلس على المنضدة ، وتصفر بخفوت : « الى الامام أيها الجنود المسيحيون ») .

لوماكس : (محتجاً ايضاً) ولكن ، ألا تعلمين ، أوه ! أقول !

ليدي بريتومارت : (بجفاف) ماذا تريد أن تقول يا تشارلز ؟

لوماكس : حسناً . يجب أن تعترفي بأن هذا شديد نوعاً ما .

ليدي بريتومارت : (ملتفتة ، بنظرة ناعمـــة ، فيها بعض الوعيد الى كاسنز) أدولفوس . انـــك استاذ لليونانية . أتستطيع ان تترجم ملاحظات تشارلز لوماكس الى لغة مفهومة ؟

كاسنز : (بحذر) اذا كان ذلك في وسعي يا ليدي بريت . لقـــد تحدث هوميروس عن أوتوليكوس فاستخدم هذه العبارة التي تعني انه شديد نوعاً ما .

لوماكس : (بلطف) انت تعرفين أنني لا أعارض اذا لم تفعل ساره ذلك. (يجلس) .

ليدي بريتومارت : (باستهجان) شكراً . هل تسمح لي يا أدولفوس بأن أدعو زوجي الى بيتي ؟

كاسنز : (بأدب) لك تأييدي الحاسم في كل ما تفعلينه .

ليدي بريتومارت : ششش ! ساره ، أليس لديك ما تقولينه ؟

ساره : أتعنين أنه سيأتي دائماً ليعيش هنا . ؟

ليدي بريتومارت : كلا بالتأكيد . الغرفة الاحتياطية جاهزة له اذا أراد أن يظل يوماً أو يومين ويرى أولاده اكثر . ولكن هنالك حدوداً .

ساره : حسناً ، لا أعتقد أنه يستطيع أن يأكلنا . لا يهمني .

لوماكس : (خانقاً ضحكة) أعجب كيف سينظر العجوز الى الأمر .

ليدي بريتومارت : بالضبط مثلما تنظر المرأة العجوز الى الأمر يا تشارلز .

لوماكس : (خجلا) لم أكن أعني – على الاقل –

ليدي بريتومارت : لم تفكر يا تشارلز . انك لا تفكر اطلاقاً ، والنتيجة

هي أنك لا تعني شيئاً . والآن استمعوا الي . سيكون والدكم غريباً عنا تماماً .

لوماكس : اعتقد انه لم ير سارة منذ أن كانت طفلة صغيرة .

ليدي بريتومارت : ليس منذ أن كانت طفلة صغيرة يا تشارلز ، كما تعبر عن ذلك بانتقائك الرائع للكلمات الأنيقة التي لا يلوح انهـــا تمتعك . ولهذا ، ايه – (بصبر نافد) لقد نسيت ما كنت اريد أن اقول . كل هذا بسبب اثارتك لسخريتي يا تشارلز . أتستطيع ان تقول لي يا أدولفوس ماذا كنت أقول ؟

كاسنز : (بعذوبة) كنت تقولين أنه لمـــا كان مستر اندرشافت لم ير الأطفال منذ أن كانوا صغاراً ، فانه سيحاول أن يكوّن لنفســه رأياً عن طريقة تربيتك لهم ، من تصرفهم في هذه الليلة ، وان هذا ، لذلك ، يجعلك تطلبين منا أن نكون جميعاً حريصين على التصرف بصورة لائقة ، خاصة تشارلز .

ليدي بريتومارت : (مؤكدة بقوة) بالضبط .

لوماكس : انظر يا دوللي : لم تقل ليدي بريت ذلك .

ليدي بريتومارت : (بشدة) لقد فعلت يا تشارلز . ان ذاكرة أدولفوس صحيحة تمامــاً . فالمهم أن تكونوا طيبين ، وأرجوكم ألا تتكتلوا في الزوايا متضاحكين هامسين بينما أتحدث الى والدكم .

باربارة : حسناً يا أماه . سنفعل كما تشائين . (تنهض من المنضدة وتجلس على الكرسي بما يشبه ترفع السيدات) .

ليدي بريتومارت : تذكر يا تشارلز ان ساره تريد ان تفخر بك بدلاً من ن تخجل منك .

لوماكس : أوه ، أقول ! ليس هنالـــك بالضبط ما يمكن الفخر به ،

ألا تعلمين ؟

ليدي بريتومارت : حاول اذن أن تظهر وكأن هنالك ما يمكن الفخر به.

(موريسن يجتاح الغرفة شاحباً قلقاً ، لا يخفي اضطرابه)

موريسن : هل يمكنني ان اتحدث بكلمة اليك يا سيدتي ؟

ليدي بريتومارت : هراء ! قده الى الأعلى .

موريسن : نعم يا سيدتي (يخرج)

لوماكس : هل يعرف موريسن من هو ؟

ليدي بريتومارت : بالطبع . كان موريسن معنا دائماً ؟

لوماكس : لا بد أنه يعتبر زائراً اعتيادياً بالنسبة اليه ، اليس كذلك ؟

ليدي بريتومارت : هل هـذا هو وقت اثارة أعصابي يا تشارلز بتعابيرك الفظيعة ؟

لوماكس : ولكن هذا أمر غير اعتيادي حقاً .

موريسن : (بالباب) الـ .. أ .. مستر أندرشافت . (يتراجع بارتباك .)

يدخل أندرو أندرشافت . ينهض الجميع . تقابله ليدي بريتومارت في منتصف الغرفة وراء المقعد الطويل . اندرو رجل كبير السن نوعاً ما ، هادىء ، ممتلىء قليلاً ، تميزه تصرفات صبورة لطيفة ، وبساطة محببة في شخصيته . ولكن له وجهاً ملاحظاً عامداً منتظراً مستمعاً ، وقوى هائلة ، جسمية وذهنية في صدره الواسع ورأسه الطويلة . ان لطفه هو لطف رجل قوي تعلم بالتجربة أن قبضته الطبيعية ستؤلم الناس العاديين ما لم يدارهم بعناية ، وله كذلك طراوة كبر السن والنجاح في الاعمال . وهو كذلك خجول قليلا في موقفه الحاضر الدقيق .)

ليدي بريتومارت : مساء الخير ، اندرو .

اندرشافت : كيف حالك يا عزيزتي ؟

ليدي بريتومارت : تلوح اكبر سناً .

اندرشافت : (معتذراً) لقد كبرت قليلا (يمسك بيدها بلمسة رقيقـــة) لقد توقف الزمن معك .

ليدي بريتومارت : (ملقية بيده جانباً) هراء ! هذه عائلتك .

اندرشافت : (بدهشة) أهي كبيرة هكذا ! يؤسفني أن أقول أن ذاكرتي تخونني في بعض الأمور . (يقدم يده بعطف أبوي الى لوماكس) .

لوماكس : (يصافح يده بتقطع) آه دي دو ...

اندرشافت : استطيع أن أرى انك اكبر ابنائي . يسرني أن أقابلك ثانية يا ولدي .

لوماكس : (محتجاً) كلا ، أنظر ، ألا تعرف ، - أوه ، أقول !

ليدي بريتومارت : (تستعيد نفسها بعد صمت مفاجيء) أندرو : أتريد أن تقول انك لا تتذكر كم ولداً لديك ؟

اندرشافت : حسناً ، أخشى أنني - لقد كبروا كثيراً - ايه . هل أخطأت خطأ مضحكاً ؟ يجب علي أن اعترف : انني اتذكر ولداً واحداً ، ولكن اشياء كثيرة حدثت منذ ، بالطبــع ، ايه .

ليدي بريتومارت : (بصورة حاسمة) أندرو : انـــك تهذي . بالطبــع لديك ولد واحد فقط .

ندرشافت : انه لطف منك ان تقدميني اليه ، يا عزيزتي .

ليدي بريتومارت : هذا هو تشارلز لوماكس ، خطيب ساره .

اندرشافت : يا عزيزي،أرجو المعذرة .

لوماكس : لا شيء أبداً . ذلك ممتع ، أؤكد لك .

ليدي بريتومارت : وهذا ستيفن .

اندرشافت : (منحنيـــاً) يسرني أن أتعرف بك ، مستر ستيفن . ثم (ذاهباً الى كاسنز) لا بد أن تكون أنت ولدي . (آخذاً يدي كاسنز في يديه) كيف أنت يا صديقي العزيز الصغير ؟ (قائـــلاً لليدي بريتومارت) انه يشبهك جداً يا حبيبتي .

كاسنز : انك تمتدحني يا مستر اندرشافت . اسمي كاسنز : خطيب بارباره . (موضحاً) اعني ميجر بارباره اندرشافت من جيش الخلاص . تلك هي ساره ابنتك الثانية . وهذا هو ستيفن اندرشافت ، ابنك .

اندرشافت : يا عزيزي ستيفن ، استمحيك العذر .

ستيفن :أبداً .

اندرشافت : مستر كاسنز : انني مدين لك لتوضيحك الأمور هكـــذا (ملتفتاً الى ساره) يا عزيزتي بارباره .

ساره : (ملقنة اياه) ساره .

اندرشافت : ساره طبعاً . (يتصافحان ، ثم يذهب الى بارباره)

بارباره : انني على حق في هذه المرة ، اليس كذلك ؟

باربارة : تماماً . (يتصافحان)

ليدي بريتومارت : (مستعيدة سيطرتهـــا) اجلسوا ، جميعاً . اجلس يا أندرو . (تتقدم وتجلس على المقعد الطويل . ويأتي كاسنز أيضاً بكرسيه الى يسارها . ويعود ستيفن وبارباره الى كرسييهما . ويقدم لوماكس كرسيه الى ساره ويذهب ليحضر آخر .)

اندرشافت : اشكرك يا حبيبتي .

لوماكس : (متحدثاً ، في الوقت الذي يحضر فيه كرسياً بـــين منضدة الكتابة والمقعد الطويل ، ويقدمـــه لأندرشافت) يستغرقك الأمر وقتاً لتعرف أين أنت ، اليس كذلك ؟

اندرشافت : (يقبل الكرسي ولكنه يظل واقفاً) ليس هذا ما يربكني يا مستر لوماكس . المشكلة هي انه اذا لعبت دور الأب فستكون نتيجة ذلك ما يتركه الغريب المتطفل من أثر ، واذا لعبت دور الغريب المؤدب فقد ألوح والداً قاسياً .

ليدي بريتومارت : لا حاجـــة بك الى لعب أي دور . فقط كن مخلصاً وطبيعياً .

اندرشافت : (بخضوع) اجل يا عزيزتي : اجرؤ ان اقول ان ذلك أفضل . (يجلس مرتاحاً) حسناً ، ها أنا هنا . ما الذي أستطيع أن أفعله لكم جميعاً ؟

ليدي بريتومارت : لا حاجة بك الى ان تفعل شيئاً يا أندرو . انك واحد من العائلة . يمكنك أن تجلس معنا وتستمع . (صمت مؤلم . برباره تسخر من لوماكس بوجهها ، فينفجر مرح لوماكس المكتوم في ضحكات كالصهيل .)

ليدي بريتومارت : (غاضبة) تشارلز لوماكس : اذا كنت تستطيع أن تتصرف تصرفاً حسناً فافعل . وإلا فسأغادر الغرفة .

لوماكس : انني لشديد الأسف يا ليدي بريت ، ولكن لا بد انك تعرفين أن .. بشرفي ! (يجلس على المقعـد الطويل بين ليدي بريتومارت واندرشافت ، مدحوراً تماماً) .

بارباره : لماذا لا تضحك اذا كنت تريد ذلك ؟ انه افضل لما في داخلك .

ليدي بريتومارت : بارباره : لقد تربيت تربية سيدة . أرجوك أن تدعي

والدك يرى ذلك ، ولا تتحدثي كفتاة الشارع .

اندرشافت : لا تكترثي لي يا عزيزتي . انــك تعرفــين انني لست سيداً مهذباً ، ولم أر تربية في حياتي .

لوماكس : (مشجعاً) لن يعرف ذلك أحد ، اؤكد لك ، انــك تلوح ممتازاً ، انت تعرف ذلك .

كاسنز : دعني انصحك بدراسة اليونانية يا مستر اندرشافت . ان لأساتـذة اليونانية كثيراً من الامتيازات . فقليل منهم يعرفون اليونانية ، ولا احــد منهم يعرف أي شيء آخر ، ولكن مركزهم قوي . اما اللغات الاخرى فيتصف بها الخدم والبائعون الجوالون : اليونانيــة بالنسبة للشخصيات البارزة هي كعلامة مقيــاس القراريط بالنسبة للفضة .

بارباره : لا تكن غير مخلص يا دولي . أحضر الاكورديون يا جولي واعزف لنا شيئاً .

لوماكس : (يقفز متلهفــاً ، ولكنه يضبط نفسه ويقول لأندرشافت في شك) لعل مثل ذلك لا يروق لك ، ايه ؟

اندرشافت : بل انني مولع بالموسيقى على الأخص .

لوماكس : (مسروراً) هل أنت كذلك ؟ سأحضرها اذن . (يصعد الى الطابق العلوي ليحضر الآلة) .

اندرشافت : أتعزفين يا باربارە ؟

بارباره : على الطمبور فقط .ولكن جولي يعلمني العزف على الأكورديون.

اندرشافت : هل ان جولي ايضاً من اعضاء جيش الخلاص ؟

بارباره : كلا : انه يقول انه لأمر سيء أن يكونالانسان عاصيا . ولكنني

لست يائسة من جولي . لقـــد جعلته يحضر بالامس الى اجتماع في بوابات الارصفة ، ويجمع النقود في قبعته !

اندرشافت : (ينظر في حيرة الى زوجته) !!

ليدي بريتومارت : انا التي فعلت ذلك يا أندرو . لقـــد كبرت باربارة ويمكنها أن تفعل ما تشاء . ليس لها والد ينصحها .

باربارة : أوه ، كلا ، لديها . ليس هنالك أيتام في جيش الخلاص .

اندرشافت : لابيك هناك اطفال كثيرون وتجارب كثيرة ، ها ؟

باربارة : (ناظرة اليه برضى مفاجىء ، مؤيدة) أجل ، كذلك . كيف استطعت أن تدرك ذلـــك ؟ (يسمع صوت لوماكس بالباب وهو يحاول أن يجرب الاكورديون) .

ليدي بريتومارت : ادخل يا تشارلز . اعزف لنا شيئا في الحال .

لوماكس : حالا ! (يجلس في مكانه السابق ويبدأ)

اندرشافت : لحظة واحدة يا مستر لوماكس . انني مولع بجيش الخلاص . قد يكون شعاره شعاري : الدم والنار .

لوماكس : (مصدوماً) ولكن ذلك لا يشبه دمك ونارك كما تعلم .

اندرشافت : ان الدم الذي اقصده ينظف : وناري تطهر .

باربارة : وكذلـــك دمنا ونارنا . تعال غداً الى ملجئي — ملجأ ويست هام - وانظر ماذا سنفعل . سنذهب في مسيرة الى اجتماع كبير في أسيمبلي هول في مايل ايند . تعال لترى الملجأ ثم تسير معنا : سينفعك ذلك كثيراً . أتستطيـع أن تعزف شيئاً ؟

اندرشافت : كنت في شبابي أحصل على البنسات ، وحتى الشلنات في بعض الاحيان ، في الشوارع والحانات وذلك بموهبتي الطبيعية في الرقص .

وبعد ذلك اصبحت عضواً في جمعية اندرشافت الموسيقية ، وكنت اعزف بصورة مقبولة بالبوق المتوسط .

لوماكس : (يشعر بالاستياء ، ويضع الاكورديون جانباً) أوه ، أقول !

باورباره : كم من الخاطئين عزفوا على البوق المتوسط ودخلوا السماء بفضل جيش الخلاص !

لوماكس : (الى باربارة ، وهو ما يزال يعاني من الصدمة) اجل ، ولكن ماذا عـن صناعة المدافع ، الا تعرفين ؟ (الى أندرشافت) الذهاب الى السماء ليس من هواياتك ، اليس كذلك ؟

ليدي بريتومارت : تشارلز !!!

لوماكس : حسناً ، ولكن ذلك معقول ، أليس كذلك ؟ قد تكون صناعة المدافع ضرورية : اننا نستطيع أن نعيش بدون مدافع ، ولكن هذا غير صحيح كما تعلم . ومن الناحية الأخرى ، قد يكون هنالك بعض السخف بشأن جيش الخلاص – انا شخصيـــاً منضم الى الكنيسة ــ ومع هذا فانك لا تستطيع أن تنكر أنه دين ، وأنت لا تستطيع أن تقف ضـــد الدين ، أتستطيع ؟ الا اذا كنت عديم الاخلاق تماماً ، اليس كذلك ؟

اندرشافت : انك لا تقدر موقفي يا مستر لوماكس .

لوماكس : (بسرعة) انني لا أقول شيئاً ضدك بالذات .

اندرشافت : أجل ، أجل . ولكن فكر لحظة ها انا هنا ، استفيـد من التشويه والقتل . انني أجد نفسي في موضع فكه ظريف الآن ، لأننا ، في هـــذا الصباح ، استطعنا أن نمزق ، في المصنع ، سبعة وعشرين جنـــدياً اصطناعياً بمدفع كان في السابق يدمر ثـــلاثة عشر فقط .

لوماكس : (بصبر) حسنا ، كلما زادت الحرب تدميراً ، اقترب موعد الغائها ، ايه ؟

اندرشافت : كلا ابداً . كلما ازداد دمار الحرب زاد اعجابنا بها . كلا ، يا مستر لوماكس : اشكرك لأنك تقول ما يقوله الآخرون عن تجارتي . ولكنني لست خجلا منها . انني لست واحداً من هؤلاء الذين يحتفظون بأخلاقهم واعمالهم في علب ضد البلل . كل النقود التي ينفقها من ينافسونني في صناعتي على بناء المستشفيات والكاتدرائيات والأمور الاخرى التي تذهب اليها أموال التبرعات المنفقة لاراحة الضمائر ، أنفقها أنا على التجارب والبحوث لتحسين وسائل تدمير الحياة والملكية . وقد فعلت ذلك دائماً وسأفعل ذلك دائماً . ولهذا لا تنفعني بطاقات عيد الميلاد واخلاقها التي تتحدث عن السلام على الارض والطيبة بين البشر . ان مسيحيتك التي تدفعك الى عدم مقاومة الشر والى ادارة خدك الأيسر تفلسني . أما أخلاقيتي - اي ديني - فيجب أن يكون فيها مكان للمدافع والطوربيدات .

ستيفن : (ببرود ، وبعض الكآبة) انك تتحدث وكأن هنالك ست اخلاقيات وأديان لتختار منها ما تشاء بدلا من دين واحد صحيح واخلاقية واحدة صحيحة .

اندرشافت : هنالك اخلاقية واحدة صحيحة بالنسبة لي ، ولكنها قد لا تناسبك ، لانك لا تصنع سفن قتال هوائية . هنالك اخلاقية واحدة صحيحة لكل شخص ، ولكن ليس لكل شخص الاخلاقية الصحيحة نفسها .

لوماكس : (حائراً) أتمانع في تكرار ذلك ؟ لم أفهمك تماماً .

كاسنز : الأمر بسيط للغاية . فكما يقول يوريبيدس ، ما يجده فرد غذاء يجده فرد آخر سماً ، معنوياً ومادياً .

اندرشافت : بالضبط .

اوماكس : أوه ، ذلك ، أجل ، أجل ، أجل ، صحيح ، صحيح .

ستيفن : بعبارة اخرى ، بعض الناس شرفاء وبعضهم أنذال .

باربارة : سخف ! ليس هنالك أنذال .

اندرشافت : حقاً ? وهل هنالك أخيار ?

باربارة : كلا ، لا يوجد واحد . ليس هنالك أخيار أو أنذال : هنالك فقط اطفال أب واحد ، واذا كفوا الآن عن شتم بعضهم بعضاً فهذا أفضل . لا حاجة بك الى أن تحدثني عن ذلك . انني أعرفهم . لقد مر على يدي عشرات منهم : أنذال ، مجرمون ، كفار ، انسانيون ، مبشرون ، مستشارون ، كل الانواع . كلهم خطاة من نوع واحد . وكلهم يستطيعون أن ينالوا خلاصاً واحداً .

اندرشافت : هل لي أن أسأل : هل سبق لك ان خلصت صانع أسلحة ?

باربارة : كلا . أتسمح لي بأن أجرب ?

اندرشافت : حسناً ، سأعقد معك صفقة . لو زرتك غداً في ملجأ جيش الخلاص ، فهل ستزورينني بعد غد في مصنع الاسلحة ?

باربارة : خذ حذرك . قد ينتهي بك الأمر الى التخلي عن صناعة المدافع والانضمام الى جيش الخلاص .

اندرشافت : هل أنت واثقة من أن ذلك لن ينتهي بك الى التخلي عن جيش الخلاص من أجل صناعة المدافع ?

باربارة : سأجرب حظي في ذلك .

اندرشافت : وسأجرب حظي في ذلك. (يتصافحان على ذلك) اين هو الملجأ.

باربارة : في ويست هام ، قرب علامة الصليب . إسأل أي شخص في كاننك تاون . وأين هو مصنعك ?

اندرشافت : في بيريفال سانت اندروز . قرب علامة السيف . اسألي كل من تشائين في أوروبا .

لوماكس : أليس الافضل أن اعزف شيئاً ؟

باربارة : اجل ، اعزف : الى الامام ايها الجنود المسيحيون .

لوماكس: حسناً ، أعتقد أن هذا شديد في البداية ، ألا تعتقدين ؟ ماذا لو عزفت : أنت تمر يا أخي . فالنغمة متشابهة ؟

باربارة : انه كئيب جداً . ستتخلص يا جولي ، وستمر يا أخي دون أن تحدث كل هذه الضجة حول ذلك .

ليدي بريتومارت : الحق يا باربارة انك تتحدثين وكأن الدين موضوع ملذ . ليكن لديك بعض الذوق .

اندرشافت : لست أجده موضوعاً غير ملذ يا عزيزتي . انه الأمر الوحيد الذي يكترث له القادرون حقاً .

ليدي بريتومارت : (ناظرة الى ساعتها) حسناً ، اذا كنتم تصرون على ذلك فانني أصر أيضاً على ان يكون ذلك بطريقة معقولة ومناسبة . تشارلز : دق الجرس للصلاة . (ذهول عام . ينهض ستيفن بكآبة) .

لوماكس : أوه ، أقول ! (ينهض)

اندرشافت : (ينهض) أخشى انني يجب أن أذهب .

ليدي بريتومارت : لا تستطيع أن تذهب الآن يا أندرو : ليس ذلك لائقاً أبداً . اجلس . ماذا سيعتقد الخدم ؟

اندرشافت : يا عزيزتي : لدي ضمير حي . هل لي أن اقترح حلاً ؟ اذا قامت باربارة بصلاة قصيرة في غرفة الاستقبال ، على عزف لوماكس

فانني سأحضر ذلك راغباً . بل قد آخذ دوراً ، لو كان هنالك بوق متوسط .

ليدي بريتومارت : لا تسخر يا أندرو .

اندرشافت : (مصدوماً – الى بارباره) ما اظنك تعتقدين أنني أسخر يا حبيبتي ، أليس كذلك ؟

بارباره : كلا ، بالطبع لا ، ولن يهم اذا كنت كذلك : لقد جاء نصف جيش الخلاص الى الاجتماع الأول طلباً للسخرية . (تنهض) تعال . (تضع يدها على كتف والدها وتسحبه منادية الآخرين من وراء الحاجز) تعال يا دولي . هيا يا جولي . (ينهض كاسنز)

ليدي بريتومارت : لن يعصيني الجميع . اجلس يا أدولفوس . (لا يجلس) تشارلز ، يمكنك أن تذهب . انك غير لائق للصلاة انك لا تستطيع ان تمتنع عن الضحك .

لوماكس : أوه ، أقول ! (يخرج)

ليدي بريتومارت : (مستمرة) ولكن انت ، يا أدولفوس ، تستطيع أن تتصرف بعناية إذا أردت . انني أصر على أن تبقى .

كاسنز : يا عزيزتي الليدي بريت : هنالك أمور في كتاب صلاة العائلة لا استطيع ان أراك تتلفظين بها .

ليدي بريتومارت : أية أمور رجاء ؟

كاسنز : حسناً ، عليك ان تقولي امام الخدم جميعاً أننا قد فعلنا أموراً لم يكن علينا أن نفعلها ، ولم نفعل أموراً كان علينا أن نفعلها ، وأنه لا صحة فينا . لا استطيع ان احتمل ما في هذا من ظلم لك ولباربارة. اما بالنسبة لي فانني أنكر ذلك صراحة : لقد فعلت كل ما في وسعي . لم أكن لأجرؤ على الزواج من بارباره ، أو النظر الى وجهك

– لو كان ذلــك صحيحاً . ولهذا يجب أن أذهب الى غرفــة الاستقبال .

ليدي بريتومارت : (مستاءة) حسناً ، إذهب . (يتجه نحو البـاب) . وتذكر هذا يا ادولفوس (يلتفت ليستمع) : انني اشك انــك ذهبت الى جيش الخلاص لتعبــد بارباره وليس شيئاً آخر . وانني لأمتدح الطريقة البارعة التي كنت تخدعني بها . لقد اكتشفتك . لا تدع بارباره تكتشفك . هذا هو كل ما في الأمر .

كاسنز : (بعذوبة لم تتأثر) لا تخبريها عني . (ينسل خارجاً) .

ليدي بريتومارت : ساره ، اذا أردت أن تذهبي فاذهبي . كل شيء تفعلينه هو أفضل من أن تجلسي هكذا وكأنك كنت تتمنين ان تكوني على بعد ألف ميل .

ساره : (ببؤس) حسناً يا أماه . (تخرج)

(تنفجر ليدي بريتومارت باكية فجأة)

ستيفن : (ذاهباً اليها) أماه ، ما الأمر ؟

ليدي بريتومارت : (تمسح دموعها بمنديلها) لا شيء . حماقة . تستطيـع أن تذهب معه ايضاً ، اذا أردت ، وتتركني مع الخدم .

ستيفن : أوه ، لا تتصوري ذلك يا أماه . انني – انني لا أميل اليه .

ليدي بريتومارت : الآخرون يميلون اليه . هذا هو سوء حظي . على المرأة أن تربي أطفالها ، وهذا يعني ان تكبح جماحهم ، وأن تمنـع عنهم الاشياء التي يريدونها ، وأن تعهد اليهم بالمسؤوليات ، وأن تعاقبهم اذا اخطأوا ، وأن تفعل كل الاشياء غير السارة . ثم يأتي الأب ، الذي لا يفعل شيئاً غير أن يداعبهم ويفسدهم ، بعد أن تنتهي هي من أعمالها ، ليسلبهم منها ، يسلب حبهم منها .

ستيفن : لم يسلب حبنا لك . انه الفضول فقط .

ليدي بويتومارت : (بعنف) لن تستطيع أن تعزيني يا ستيفن . فلست أشكو من شيء : (تنهض وتتجه الى الباب) .

ستيفن : أين أنت ذاهبة يا أماه ؟

ليدي بويتومارت : الى غرفة الاستقبال طبعاً . (تخرج .يُسمع صوت نشيد الى الامام ايها الجنود المسيحيون ، على انغام الاكورديون والطمبور ، حين يُفتح الباب) . هل أنت آتٍ يا ستيفن ؟

ستيفن : كلا ، بالتأكيد لا . (تذهب . يجلس على المقعد الطويل ويزم شفتيه ويرتسم تعبير شديد الكراهية على وجهه .)

الفصل الثاني

« ساحة ملجأ جيش الخلاص في ويست هام مكان بارد في صباح يوم من أيام كانون الثاني . البناء نفسه ، الذي كان مخزناً قديماً ، قد جدد تبييضه . تبرز نهايته الراسية المثلثة الى الساحة في الوسط ، باب يؤدي الى الطابق الأرضي ، وآخر في الغرفة العليا ، دون ان تكون أمامه شرفة أو سلم ، ولكن عليه دولاباً اذا أدير تسلقت عليه حبال تحمل الأكياس من الأسفل اليه . فاذا أقبل المرء من ناحية طرف الحبل على الأرض متجهاً الى وسط الساحة ، فستكون البوابة المؤدية الى الشارع على يساره ،ووراءها مباشرة معلف حجري للخيل ، وعلى اليمين سقف مستند الى الجدار يستعمل لحماية منضدة تحته من تقلبات الجو . حول المنضدة مصاطب جلس عليها رجل وامرأة ، بائسان يلتهمان وجبة من الخبز (لكل منهما قطعة سميكة ، مع زبد اصطناعي وشراب ذهبي) وحليب مخفف .

الرجل ، وهو عامل عاطل ، شاب نشط ، متحدث ، ذو مظاهر ، عنيف الى درجة أنه يستطيع أن يفعل أي شيء ، ما عدا أن يكون أميناً أو مفكراً بمصالح الاخرين . والمرأة هي مجموعة عادية من البؤس والانسانية المعذبة . يلوح عليها انها في الستين ، وربما كانت في الخامسة والأربعين . لو كانا من الاغنياء الذين يضعون

أيديهم في القفازات الأنيقـة وتدفئهم انواع الفراء والمعاطف ، لـكانا مع ذلك متخدرين بالبرد يشكوان منه ، لأنه يوم قارس جداً من أيام كانون الثاني ، ونظرة واحدة الى المناظر الخلفية ، المخازن الوسخة والسماء الثقيلة الرصاصية فوق الجدران المصبوغة بالابيض في الساحـة ، تكفي لتجعل أي غني كسول يذهب مباشرة الى البحر الابيض المتوسط . ولكن هـذين ، اللذين لا تقلقها الافـكار عن زيارة البحر الابيض المتوسـط باكثر من تفكيرهما في زيارة القمر مثلا ، ولما كانا مضطرين الى وضع مزيد من ملابسهما في دكان الرهون ، والقليل على جسميهما ، ملابس هي أقل في الشتاء منها في الصيف ، لا يهمها البرد : بل انه يسبب لهما شيئاً من المرح الذي تزيد منه هذه الوجبـة التي يتناولانها . يشرب الرجل شيئـاً من قدحه ، ثم ينهض ويسير في الساحـة واضعاً يديه في أعمـاق جيوبه ، وبين حين وآخر يقفز على قدميه راقصاً .

المرأة : أتشعر أفضل بعد وجبتك يا سيدي ؟

الرجل : كلا . أتسمين ذلك وجبة ! ربما تكفيك ، ولكن ما هي بالنسبة لي ، الرجل العامل الذكي .

المرأة : رجل عامل ! وماذا أنت ؟

الرجل : صباغ .

المرأة : (بشك) أجل ، أجرؤ أن أقول ذلك .

الرجل : أجل ، تجرئين أن تقولي ذلـــك ، انني أعرف . كل مشرد لا

(١) عبارات الرجل والمرأة موضوعة في المسرحيـــة بالعامية الدارجة ، ويمكن ، لاستعادتها ، اسباغ بعض اللكنة الغريبة ، والتلفظ المعوج عليها لتعطي شيئاً من مغزى الاصل ـــ المترجم .

يعرف أن يفعـــل أي شيء يدعو نفسه صباغاً . حسناً ، انني صباغ حقيقي . أصبغ وألمع وأصقل واتقاضى على ذلـــك ثمانية وثلاثين شلناً في الاسبوع حين أحصل على العمل .

المرأة : اذن لماذا لا تذهب وتحصل عليه ؟

الرجل : سأخبرك لماذا . أولاً : انا ذكي – اففففف! ان البرد شديد جداً هنا (يرقص خطوة أو خطوتين) – اجل : ذكي وراء حدود المهنة التي يحلو للرأسماليين أن يصفوني بها ، وهم لا يميـلون الى من يخترقهم ببصره النفاذ . ثانياً ، يحتـاج الذكي الى ما يستحقه من السعادة ، ولهذا فانني اشرب بعنف حين تحين لي الفرصة . ثالثاً : انني ألتزم طبقتي وأفعل اقل ما يمكنني فعله لكي اترك نصف عمـلي لزملائي العمال . رابعاً : انني اعرف مداخل القانون ومخارجه . ففي داخله سراً ، افعل كل ما يفعله الرأسماليون وأضع يدي على كل ما يمكنني أن احصل عليه . وفي حالة المجتمع الطبيعية اكون صاحياً ، شغولاً، اميناً : وكما يقولون ، أفعل في روما ما يفعله الرومان . وما هي النتيجة ؟ حين تكسد الأعمال – وهي كاسدة فاسدة الان – ويفصل اصحاب الاعمال نصف رجالهم ، فانهم يبدأون بي عادة .

المرأة : ما اسمك ؟

الرجل : برايس . برونتير اوبراين برايس . غالباً ما يسمونني سنوبي[1] برايس ، للاختصار .

المرأة : سنوبي تعني نجاراً ، أليس كذلك ؟ قلت انك صباغ .

الرجل : ليس ذلك النوع من الكلمة ، ولكن المعنى الفصيح . انني متعالٍ نوعاً ما ، بسبب ذكائي . كان والدي من دعاة الاصلاح الاجتماعي ،

---

(١) « سنوبي » تعني المتحـذلق المغرور الذي يهتم بالطبقـات لا بالقيم . وتعني بالدارجة الاسكافي .

وكان يقرأ ويفكر : كان يبيع القرطاسية ايضاً . انني لست من امثالك ، ناشري الخشب وناقلي الماء ، لا تنسي ذلك . (يعود الى مكانه على المصطبة قرب المنضدة ويتناول قدحه) ما اسمك ؟

المرأة : رومي متشنز يا سيدي .

برايس : (يرفع بقايا الحليب أمامها) في صحتك يا آنسة متشنز .

رومي : (مصححة اياه) مسز[1] متشنز .

برايس : ماذا ! أوه ، رومي ، رومي ! امرأة متزوجة محترمة ، رومي ، انقذك جيش الخلاص بعد ان ادعيت بانك امرأة سيئة . نفس اللعبة القديمة !

رومي : وماذا أفعل ؟ لا أستطيع أن أموت جوعاً . ان فتيات الخلاص طيبات . ولكن كلما كنت أفضل زادوا ميلاً الى الاعتقاد بانك كنت شريراً قبل ان يخلصوك . لماذا لا تكون عندهن بعض الثقة ، المسكينات المحبوبات ؟ ان هذا العمل يدمرهن تماماً . وكيف يستطعن الحصول على المال لتخليصنا اذا لم نكن أسوأ الاخرين ؟ انت تعرف من هن السيدات والسادة المهذبون .

برايس : خنازير لصوص ! وددت لو كانت لي أعمالهم ، ترى ما هو معنى رومي[2] ؟ اسم تدليل ربما ؟

رومي : مختصر رومولا .

برايس : مختصر ماذا ؟

رومي : رومولا . كان ذلك في كتاب جديد . ارادت والدتي أن تراني أصبح مثل احدى الفتيات .

---

(١) مسز ـ سيدة متزوجة .

(٢) « رومي » تعني بالدارجة الشاذ الغريب .

برايس : نحن زملاء في التعاسة يا رومي . حتى اسماءنا لا يستطيع أحد أن يلفظها . وهكذا فانا سنوبي وأنت رومي ، لأن بل وسالي لم تكن من الاسماء التي يميل اليها آباؤنا . هكذا هي الحياة !

رومي : من خلصك يا مستر برايس ؟ هل كانت ميجر بارباره ؟

برايس : كلا . جئت هنا بنفسي . سأصبح برونتير أوبراين برايس ، الصباغ الذي آمن بمبدأ جديد . انني اعرف ماذا يريدون . سأخبرهم كيف كفرت وقامرت وضربت أمي المسكينة البائسة العجوز .

رومي : (مصدومة) هل كنت تضرب أمك ؟

برايس : لا يمكن . كانت هي تضربني . على كل حال : تعالي واستمعي الى الصباغ المؤمن ، وستعرفين انها كانت امرأة تقية وكانت تعلمني الصلاة راكعة على ركبتيها ، وكيف كنت احضر الى البيت سكراناً واسحبها من فراشها من اذنيها البيضاوين كالثلج واهجم عليها بكماشة النار .

رومي : هذا هو الظلم الواقع علينا نحن النساء . ان اعترافاتك لا تقل كذباً عن اعترافاتنا . انك مثلنا لا تقول ما كنت تفعله بالفعل . ولكنكم ايها الرجال تستطيعون ان تتحدثوا باكاذيبكم في الاجتماع وتكسبوا من ورائها ، في حين أن الاعترافات التي نقولها نهمس بها في اذن سيدة ، في لحظة من اللحظات . وهذا كله غير صحيح ، رغم كل تقواهن .

برايس : بالضبط . هل تعتقدين ان الجيش كان سيستمر اذا كان يفعل الامور الصحيحة . ليس كثيراً . انهم يمشطون شعورنا ويجعلون منا اشخاصاً طيبين لكي يسلبونا ويستخدمونا . ولكنني سألعب اللعبة مثلهم . سأقول انني رأيت رجلاً يصعقه البرق ، أو انني سمعت صوتاً يقول لي : سنوبي برايس : أين ستقضي الخلود ؟ سأقضي وقتاً

ممتعاً ، سترين .

رومي : ولكنهم لن يسمحوا لك بشرب الخمر رغم ذلك .

برايس : سأقضي الوقت في العبـــادة اذن . لا اريد ان اشرب الخمر اذا استطعت ان اجد وسيلة أخرى للمتعة .

(تدخل جيني هل ، فتاة من جيش الخلاص ، جميلة شاحبـــة متحمسة ، في الثامنــة عشرة ، عبر بوابة الساحة وهي تقود بيتر شيرلي ، رجــل متقدم في السن ، نصف متعب ، نصف بائس ، ضعيف بسبب الجوع) .

جيني : (تساعده) هيا ! تحرك ! سأحضر لك شيئاً تأكله . وستتحسن حالتك بعد ذلك .

برايس : (ينهض ويهرع بصورة متطفلة ليأخذ الرجل المسن من يدي جيني) ايها العجوز المسكين ! امرح ! يا أخي : ستجد الراحة والسلام والسعادة هنا . اسرعي بالطعام يا آنسة ، انه يكاد ينتهي . (تهرع جيني الى الملجأ) هيه ، لا تكتئب يا أبي ! ستحضر لك قطعـــة سميكة من الخبز والزبد الصناعي ، وحليباً بلون السماء (يجلسه الى زاوية المنضدة) .

رومي : (بغبطة) احتفظ بفنك القديم ! لا تقل أموت أبداً !

شيرلي : لست رجـــلا عجوزاً . انني في السادسة والاربعين فقط . انني قوي كما كنت دائماً . لقد ظهر البياض في شعري قبل أن أبلـــغ الثلاثين . كل ما احتاج اليه هو قليل من صبغة الشعر بثلاثة بنسات : فهل أدور في الشوارع حتى اموت من الجوع من اجل ذلك ؟ يا الهي ! كنت اعمل عشر ساعات الى اثنتي عشرة ساعة في اليوم منذ ان كنت في الثالثة عشرة . وكنت اؤدي عملا جيداً . والان يطردونني ويعطون العمل لشاب لا يستطيع ان يؤديه افضل مني

وكل ذلك لأن لي شعراً اسود يبيض لأول تغيير !

برايس : (مرحاً) لا فائدة في ان تتذمر من ذلك . لست غـــير ناشىء مبتدىء مطرود من عملك : فمن يكترث لك ؟ ايه ؟ دع الخنازير اللصوص يعطونكطعاماً : لقد سرقوا منك وجبات كثيرة ، فاحصل على شيء قليل مما تستحقه . (تعود جيني حاملة الوجبة المعتادة) ها انت ايها الأخ . اطلب البركة ، وازدرد هذا فيك .

شيرلي : (ناظراً الى الطعام باشتهاء ، رغم انه لا يمسه ، وصارخاً كالطفل) لم آكل اي شيء قبل هذا ، من الشحذ .

جيني : (مداعبة اياه) هيا ، هيا ! الله هو الذي أرسـله اليك : انه ليس فوق ليأخذ الخبز من اصدقائه ، ولماذا تكون شحاذاً ؟ وفضـلا عن ذلك ، فحين نجد لك عملا يمكنك أن تدفع لنا ثمنه اذا شئت .

شيرلي : (بلهفة) أجل ، أجل ، هذا صحيـح . استطيـع أن أعيد ذلـك لـكم : انه قرض فقط . (يرتعد) أوه ، يا إلهي ! (يستدير الى المنضدة ويلتهم الطعام التهاماً) .

جيني : حسناً يا رومي ، هل أنت مرتاحة الان ؟

رومي : باركك الله يا حبيبتي . لقـد اطعمت جسدي وخلصت روحي ، أليس كذلك ؟ (جيني تقبلها بتأثر) . اجلسي واستريحي . لا بد أنك قد انتهيت الان .

جيني : لقد اشتغلت بجد منذ الصباح . ولكن هنالك عملا اكثر من طاقتنا . يجب علي ألا أكف .

رومي : حاولي ان تصلي دقيقتين فقط . ستشتغلين بنشاط أشد بعد ذلك .

جيني : (تضيء عيناها ببريق) أوه ، أليس رائعاً ان تنعشك دقائق قليلة من الصلاة ! لقد كنت منهوكة تمامـاً في الساعة الثانية عشرة ،

كنت شديدة التعب ، ولكن ميجر باربارە ارسلتني للصلاة مـدة خمس دقائق ، وقد استطعت أن استمر وكأنني كنت قد بدأت بالعمل لتوي . (الى برايس) هل حصلت على قطعة [1] من الخبز ؟

برايس : (بحماسة مصطنعة) اجـل يا آنسة ، ولكنني حصلت على السلام [2] الذي اميل اليه أكثر ، السلام الذي يتغلغل الى القلب .

رومي : (بانفعال) يا عظمة المسيح !

(بل ووكر ، زبون خشن في الخامسة والعشرين ، يلوح في بوابـــة الساحة وينظر باشتهاء الى جيني .)

جيني : ان هذا ليجعلني سعيدة . حين تقول ذلـــك أشعر بخطيئتي لأنني أتكاسل هنا . يجب أن أعود الى العمل ثانية .

(تنهض وتهرع الى الملجـــأ ، فيتحرك القادم بسرعة نحو البـــاب ويقاطعها . طريقته تحفل بالوعيد بحيث انهـا تعود الى الوراء بينما هو يقترب منها بصورة وحشية ، وهي تعود أمامه عبر الساحة .)

بل : انني اعرفك . انت التي أخذت مني فتاتي . انت التي تعملين ضدي . حسناً ، سألقنهـــا درساً ، انني لا اكترث لها او لك ، أرأيت ؟ ولكنني سأعلمها ، وأعلمك . سألقنها درساً يعلمها كيف تهرب مني . والان اذهبي واطلبي منها ان تعود قبل ان أحضر وأضربها . اخبريها بأن بل ووكر يريدها . ستعرف ماذا يعني ذلك ، واذا تركتني انتظر فسيكون الآمر اسوأ . لا تتراجعي عني وإلا بدأت بك : أتسمعين . هيا ، ادخلي . (يقبض على يدها ويدفعها الى باب الملجأ تسقط على يدها وركبتها . رومي تساعدها على النهوض ثانية .)

برايس : (ينهض ويتجه بدون تصميم نحو بل) اهدأ ايها الزميل . انهـا

---

(١) و(٢) هنا ترابط بديع ، فقطعة « Piece » تلفظ تماماً مثل السلام « Peace » .

لاتضرك في شيء .

بل : من الذي تسميه زميلاً ؟ (يهدده ويتوعده) أتريد ان تدافع عنهـا ؟ ارفع يديك .

رومي : (تندفع اليه باستياء لتشتمه) أوه ، انت ايها الوحش الكبير — (يحرك يده اليسرى الى الخلف بسرعة ويلطمها على وجهها . تصرخ وتسقط الى الوراء على المعلف وتتكوم في داخله . تغطي وجههـا المجروح بيديها وتتلوى وتصرخ ألماً) .

جيني : (ذاهبـة اليهـا) أوه ، سامحـك الله ! كيف تضرب امرأة عجوزاً كهذه ؟

بل : (يقبض على شعرها بعنف فتصرخ هي ايضاً ويبعدهـا بقسوة عن المرأة العجوز) سامحيني مرة اخرى وسأسامحك بواحدة على الفك تنسيك الصلاة لمـدة اسبوع . (يمسك بهـا ويلتفت الى برايس بخشونة) ألديك ما تريد ان تقوله ضد هذا ؟

برايس : (يجبن) كلا ، يا زميلي ، لا علاقة لها بي .

بـل : هـذا افضل لـك ! كنت سأضع وجبتين فيـك واسحقك باصبع واحد ، ايها الكلب الجائع . (الى جيني) والان هل ستحضرين موك ايبيجيم ، ام تريـدين ان امزق وجهـك واذهب لاحضارهـا بنفسي ؟

جيني : (ترتعـد في قبضته) أوه ، ألا يذهب احدكم رجـاء الى الداخـل ويخبر ميجر برباره — (تصرخ ثانية بينما يدفع برأسها الى الارض ، ويهرب برايس ورومي الى الملجأ) .

بـــل : تريدين ان تدخلي وتخبري الميجر عني ، أليس كذلك ؟

جيني : أوه ، ارجوك ، لا تسحب شعري . دعني اذهب .

بـــل : هل ستفعلين ذلك ام لا ؟ (تخنق صرخة) نعم أم لا ؟

جيني : امنحني القوة يا رب .

بـــل : (يضربها على وجهها بقبضته) اذهبي ودعيها ترى ذلك ، واخبريها بانهـا اذا كانت تريد واحدة مثلهـا فلتحضر وتتدخل في شؤوني . (تصرخ جيني الماً وتدخل ويذهب هو نحو المصطبة ويوجه الحديث الى الرجـل العجوز) إيـه : انهِ طعامـك الوسخ وابتعـد عن طريقي .

شيرلي : (ينهض ويواجهه بضراوة وكوب الحليب في يده) لاتدخل في شؤوني سوف اضربك بالقـدح على وجهك واقلع عينك . ألم تكتف – الكلاب الشبان امثالك – بأن تسلب الخبز من أفواه الكبار الذين ربوك وعانوا العبودية من أجلك ، حتى تأتي هنـا وتستشرس وتتنمر وتتدخـل ، بينما يفيض خبز الشحاذة في بطوننا غثياناً ؟

بـــل : (باحتقار ، ولكنه يتراجع قليـلا) وماذا تنفع ، أيها العجوز الاجرب الثرثار ؟

شيرلي : مثلك ، بل أفضل . انني استطيـع ان اؤدي عمل نهار افضل منك أو من امثالك الشبان الممتلئين السكيرين . اذهب واستول على عملي في هوروكسس حيث اشتغلت عشر سنوات . انهم يريـدون شباناً هنالك : انهم لا يستطيعون الاحتفاظ برجال يزيدون على الخامسة والاربعين انهم آسفون – يقولون ذلك ليعطوك شخصية وهم مستعدون لاسعادك بكل ما يستطيعون قوله في أذنيك – حقاً ، لا يمكن أن يظل الرجـل الامين بلا عمل طويلا . حسنـاً ، دعهم يجربوك . سيجدون الفرق . ماذا تعرف ؟ ليس اكثر مما تعرفه عن كيفية التصرف بمثل هذا السلوك – تضـع قبضتك القذرة على فم امرأة محترمة !

بـــل : لا تحرضني على ضربك ، أتسمع ؟

شيرلي : (باحتقار شديد) نعم : انك تحب ان تضرب رجلا عجوزاً ، اليس كذلك ؟ بعد ان انتهيت من المرأة ، لم ارك تضرب شاباً بعد .

بل : (ملسوعاً) ايها القذر ، يا مزدرد حساء المطابخ العجوز . كان هنا شاب الان . ألم احاول ان اضربه ؟

شيرلي : الم يكن جائعاً ، أم لا ؟ هل كان رجلاً ؟ ام انـــه كان لصاً مغلق العينين ، ومتسكعاً ؟ اتستطيـع ان تضرب شقيق ابن زوجتي ؟

بل : من هو ؟

شيرلي : توجر فيرمايل من بولز بوند . لقد كسب عشرين جنيهاً من المصارع الياباني في قاعة الموسيقى بان وقف ضده مدة سبـع عشرة دقيقة واربـع ثوان .

بـــل : (بكآبة) انني لست مصارعاً في قاعة الموسيقى . ايستطيـع ان يلاكم ؟

شيرلي : اجل ، وانت لا تستطيـع .

بل : ماذا ! لا استطيـع ، اليس كذلك ؟ ماذا تقول (مهدداً اياه) ؟

شيرلي : (لا يتحرك قدماً واحداً) هل تلاكم توجر فيرمايل اذا احضرته لك ؟ قل .

بل : (منسحباً بانحناء واضح) سأقف ضد اي رجل حتى لو كان عشرة امثال توجر فيرمايل . ولكنني لا اريد ان اكون محترفاً .

شيرلي : (ناظراً اليه باحتقار عميق) انت تلاكم ! تضرب امرأة عجوزاً بظهر يدك ! بل انك لا تستطيـع حتى ان تضربها حيث لا يستطيـع ان يرى اثر الضربة حاكم تحقيق ، انت ايها الدعي الجاهل الأحمق . تضرب فتاة على فكها وتجعلها تبكي ! لو كان توجر فيرمايل قـــد

ضربها لما نهضت الا بعد عشر دقائق ، كما تفعل أنت لو ضربك . ياه ! كنت سأضربك بنفسي لو لم اكن جائعاً مدة شهرين . (يدير له ظهره ويجلس الى المنضدة مكتئباً) .

بل : (يتبعه وينحني عليه ويقول العبارة في وجهه) ايها المشرد ! انك ممتلىء بالخبز والمرق الذي جئت هنا لتشحذه .

شيرلي : (منفجراً بالبكاء) يا إلهي ! هذا صحيح : انني فقط عجوز شحاذ ابحث في اكوام الزبل . (بعنف) ولكنك ستفعل ذلك ايضاً وحينئذ ستعرف ، ستأتي الى هنا بأسرع مما فعلت لانني لا أشرب الخمر ، ولانك ملأت نفسك بالجن في هذا الصباح !

بل : انني لا أشرب الجن ايها الكاذب العجوز ولكنني حين اريد ان ألقن فتاتي درساً يعجبني أن يكون فيّ شيء من الشيطان : هل رأيت ؟ وها انا اتحدث مع احمق عجوز مثلك بدلاً من ان اضربها . (يغضب نفسه) سأذهب الى هناك لاحضرها (يذهب بصورة انتقامية نحو باب الملجأ) .

شيرلي : بل من المحتمل ان يأخذوك الى الشرطة على نقالة ، وسيخرجون منك الجن والشيطان هناك حين يدخلونك الى المركز . فكر فيما انت فاعل : ان الميجر هنا هي حفيدة إيرل ستيفنج .

بل : (ممتنعاً) اوه !

شيرلي : سترى .

بل : (يتخاذل تصميمه) حسناً ، لن افعل لها شيئاً .

شيرلي : لنفرض انها قالت انك فعلت ! من سيصدقك ؟

بل : (قلق جداً ، يعود متخاذلاً الى السقيفة) يا إلهي ! ليست هنالك عدالة في هذا البلد . كلما فكرت فيما يستطيع هؤلاء القوم ان

يفعلوه ! انني مثلها بالضبط .

شيرلي : قل لها ذلك . هذا هو ما سيفعله أحمق مثلك .

(بارباره ، يلوح عليها الاقتضاب والانشغال ، تخرج من الملجأ وبيدها دفتر . وتخاطب شيرلي . بل يجـبن ويجلس في الزاوية على احدى المصاطب ويدير ظهره اليهم .)

بارباره : صباح الخير .

شيرلي : (ينهض ويخلع قبعته) صباح الخير يا آنسة .

بارباره : اجلس : اشعر وكأنك في بيتـك (يتردد : ولكنها تضع يـداً عطوفة على كتفه وتجعله يطيع) والان ! طالما انك صرت صديقنا ، يهمنا ان نعرف كل شيء عنك . الاسماء والعناوين والحرف .

شيرلي : بيتر شيرلي . مصلّح . فصلوني قبل شهرين لانني عجوز .

بارباره : (غير مندهشة ابداً) مع ذلـك ستجد عمـلا . لـماذا لم تصبـغ شعرك ؟

شيرلي : فعلت . ولكن احد المفتشين عرف عمري من سؤال وجهه الى ابنتي.

بارباره : لم ُتفصل قبل ذلك ؟

شيرلي : انا لا أشرب الخمر ، ولم أُفصل قبل ذلك . عامل ممتاز . ولكنهم فصلوني وكأني حصان عجوز !

بارباره : لا يهم : اذا فعلت ما عليك فعل الله ما عليه .

شيرلي : (بعتاد مفاجىء) ان ديني يخصني انا وحدي .

بارباره : (مخمنة) أعرف . دنيوي ؟

شيرلي : (بحرارة) هل أنكرت ذلك ؟

بارباره : ولماذا تفعل ؟ ان ابي هو دنيوي كما أعتقد وانا استطيع ان اقول لك ان أبانا ـ اباك وابي ـ يكمل نفسه بطرق عديدة ، وكان يعرف ماذا كان يفعل حين جعل منك دنيوياً . اغتبط يا بيتر ! يمكننا دائماً ان نجد عملاً للأمناء امثالك . (شيرلي يلمس قبعته ، وهو مرتبك مستسلم . تلتفت عنه الى بل) ما اسمك ؟

بــــل : (بحدة) . وماذا يهمك ذلك ؟

بارباره : (تسجل شيئاً بهدوء) يخاف ان يعطي اسمه . حرفتك ؟

بــــل : من هو الذي يخاف ان يعطي اسمه ؟ (بذلة ، مع شيء من البطولة وكأنه يتحدى مجلس اللوردات في شخص لورد ستيفنج) اذا اردت ان ترفعي قضية ضدي فافعلي . (تنتظر غير مكترثة) اسمي هو بل ووكر .

بارباره : (وكأن الاسم مألوف ، تحاول ان تتذكر كيف) بل ووكر ؟ (متذكرة) أوه ، انني اعرف : انت الرجل الذي كانت جيني هل تصلي له في الداخل الآن . (تضع اسمه في الدفتر) .

بــــل : من هي جيني إل ، ولماذا تصلي لي ؟

بارباره : لا أعرف . ربما كنت انت الذي قطعت شفتها .

بــــل : (بتحدٍ) أجل ، أنا الذي قطعت شفتها . انني لا أخاف منك .

بارباره : كيف تخاف مني اذا لم تكن تخاف الله ؟ انت رجل شجاع يا مستر ووكر . ان الأمر يحتاج الى شجاعة لكي يعمل المرء هنا ، ولكننا جميعاً لا نجرؤ ان نرفع يدنا ضد فتاة مثلها ، خوفاً من أبيها في السماء .

بــــل : (مكتئباً) لا أريد شيئاً من حسناتك . اعتقد انك تظنينني مستجدياً منكم هنا كهؤلاء البؤساء هيه ؟ لست انا الذي يفعل ذلك .

لا أريد خبزكم وانجيلكم وصلاتكم . انني لا أؤمن بربكم ، لا أكثر مما تفعلين أنت .

بارباره : (يشرق في وجهها الاعتذار ، وتتصرف كسيدة مهذبة ، وكأنها معه في منزلة واحدة) استميحك العذر لانني وضعت اسمك هنا يا مستر ووكر . لم اكن أفهم . ولكنني سأمحوه .

بــل : (يعتبر ذلك اهانة ، تؤلمه ألماً عميقاً) ايه ! اتركي اسمي وشأنه . الا يستحق ان يكون في دفترك ؟

بارباره : (متأملة) حسناً ، انك ترى انه لا فائدة ترجى من وضع اسمك ما لم اكن قادرة على أن افعل شيئاً من أجلك، فهل شيء هنالك يمكنني أن أفعله ، ما هي حرفتك ؟

بــل : (ما يزال يصر) ليس هذا من شأنك .

بارباره : هكذا فقط (مشغولة) ساسجلك باعتبارك (تكتب) الرجل الذي ضرب المسكينة جيني هل على فمها .

بــل : (ينهض مهدداً) انظري . لقد حصلت على الكفاية من هذا .

بارباره : (ما تزال مشرقة لا تخشى شيئاً) لماذا جئت الينا .

بــل : لقد جئت من اجل فتاتي ، هـــاه ؟ أتيت لآخذها ولاكسر لها فكها .

بارباره : (بصبر) انت ترى انني كنت محقة بشأن حرفتك . (بل يجد نفسه ، في اللحظة التي يريد فيها أن يصرخ في وجهها بعنف ، يكاد يبكي ، الأمر الذي يثير خجله ورعبه . يجلس فجأة) ما هو اسمها .

بــل : (بانخذال) اسمها موك هابيجام : هذا هو اسمها .

باربارة : موك هابيجام ! أو ، لقـــد ذهبت الى كاننك تاون ، الى

تكناتنا هناك .

بـــل : (مسلحـــاً بكراهيته واستيائه لخداع موك له) هل فعلت ؟ (بانتقام) اذن سأذهب الى كيننتان [1] وراءها . (يعبر الساحة متجهاً الى البوابة ، يتردد ، وأخيراً يعود الى بارباره) هل تكذبين علي لتسكتيني ؟ حتى اذهب ؟

بارباره : لا اريد أن اتخلص منك . اريد أن تبقى هنا وتخلص روحك . الافضل ان تبقى : سيكون يومك سيئاً يا بل .

بل : ومن سيعطيني الخلاص ؟ ربما انت ؟

بارباره : من لا تؤمن به ، ولكنك ستكون سعيداً بعد ذلك .

بل : (يبتعد) سأذهب الى كيننتان لاتبعد عن لسانك . (يلتفت اليها بحقد مركز) واذا لم اجـــد موك هناك فسأعود وأخسر سنتين من أجلك ، ويشهد الله على ما أقول !

بارباره : (بصورة أرق ، اذا كان ذلك ممكناً) لا فائدة يا بل . لقـد وجدت شخصاً آخر .

بل : ماذا !

بارباره : وجدت واحداً من زملائها المؤمنين . لقد أحبها حين رآها قـــد خلصت روحها وصار وجهها نظيفاً وشعرها مغسولاً .

بل : (مندهشاً) ولماذا تغسله ، تلك القذرة ، ان شعرها أحمر .

بارباره : انه جميل الآن ، لأن في عينيها نظرة مختلفة . مما يؤسف له أنك تأخرت . لقد تغلب عليك الحبيب الجديد يا بل ، وجدع انفك .

بل : سأجدع له أنفه لا لأنني اكترث لها ، ولكنني سألقنها درساً ، كيف

---

(١) يكاد بل يغير اللغة التي يتحدثها بالطريقة التي يغير بها تلفظه للاسماء في الاصل ــ المترجم .

تتركني وكأنني زبـــل ! وسألقنه درساً كيف يتدخل في شؤون فتاتي . ما هو اسمه اللعين ؟

باوباوه : السارجنت توجر فيرمايل .

شيرلي : (ينهض وهو شديد الغبطة) سأذهب معه يا آنسة . يعجبني أن ارى الاثنين يتقابلان . وسآخذه الى المستشفى بعد ذلك .

بل : (الى شيرلي ، وهو لا يخفي شكه) أهو الذي كنت تتحدث عنه ؟

شيرلي : أجل هو .

بل : ذلك الذي صارع في قاعة الموسيقى ؟

شيرلي : كانت المسابقات التي جرت في نادي الرياضة الاهلي لتجعله يستحق مائة في العام . لقد تخلى عنها للدين ولهذا فانه بحاجة الآن الى بعض التمرين لانه لم يصارع منذ زمن . سيكون مسروراً بلقائك . هيا .

بل : كم هو وزنه ؟

شيرلي : مائة واربعة وثلاثون . (تتلاشى آخر آمال بل) .

باوباوه : اذهب وتحدث معه يا بل . سيجعلك تؤمن .

شيرلي : سيحول رأسك الى بطاطا مفرومة .

بل : (باكتئاب) انني لا أخاف احداً قط . ولكنه يستطيع ان يتغلب علي . لقد دمرتني موك . (يجلس مكتئباً على حافة المعلف) .

شيرلي : انك لن تذهب . هذا ما كنت اعتقده . (يعود الى المصطبة) .

باوباوه : (منادية) جيني !

جيني : (تظهر في باب الملجأ وقد وضعت شريطاً في زاوية فمها) نعم ميجر .

باوباوه : ارسلي رومي متشنز لترفع الصحون من هنا .

جيني : اعتقد انها خائفة .

بارباره : (يلوح عليها الشبه بأمهـــا لحظة) هراء ! يجب أن تفعل كما يقال لها :

جيني : (منادية داخل الملجأ) رومي ، تقول الميجر انـــك يجب ان تحضري .

(تقترب جيني من بارباره ، متعمدة المجيء من جانب بل لئلا يعتقد أنها تخاف منه او تحقد عليه .)

بارباره : يا جيني المسكينة الصغيرة ! هل انت متعبة ؟ (ناظرة الى الخـد المجروح) هل يؤلمك ؟

جيني : كلا : انه بخير الآن . لم يكن ذلك شيئاً مذكوراً .

بارباره : (منتقدة) كان ذلك أشد ما يستطيـع أن يفعل في اعتقادي . مسكين يا بل ! انك لست غاضبة عليه !

جيني : اوه كلا ، كلا ، كلا ، لست غاضبة أبداً ، بارك الله قلبه المسكين !
(تقبلها بارباره فتذهب مغتبطـــة الى الملجأ . يرتعد بل بعذاب مشاعره الجديدة المقلقة ولكنه لا يقول شيئـــاً . تأتي رومي متشنز من الملجأ) .

بارباره : (تذهب لملاقـــاة رومي) والآن يا رومي ، اسرعي . خذي هـــذه الأشياء والصحون لغسلها في الداخـــل والقي بالفتات للطيور .
(تأخذ رومي الصحون الثلاثة والاكواب الثلاثة ، ولكن شيرلي يسترجع كوبه منها لأن فيه بعض الحليب) .

رومي : ليس هنالك أي فتات . ليس هذا وقت تبذير الخبز الجيـــد على الطيور .

برايس : (يظهر في باب الملجـأ) جاء رجل ليرى الملجأ . انه يقول انه والدك يا ميجر .

باربارة : حسناً . إنني آتية . (يعود سنوبي الى الملجأ تتبعه باربارة) .

رومي : (تقترب من بل وتخاطبه بخضوع ولكن بثقـــة شديدة) كنت سأدحرك ، باذنيك العريضتين ، وانفك الخنزيري ، أيهـــا الغبي لو كانت قد سمحت لي بذلك . انـــك لست رجلاً ، اذ كيف تضرب آنسة على وجهها ؟ (بل ، الذي تثور أمور أعظم في اعماقـــه ، لا يكترث لها) .

شيرلي : (يتبعها) هنا ! هيـــا لندخل ، ولا تضعي نفسك في المشاكل بحديثك .

رومي : (بترفع) لم أتشرف بالتعرف عليك كما يبدو . (تدخل الملجـــأ حاملة الصحون) .

شيرلي : هذا هو الـ .

بـــل : (بوحشية) لا تتحدث معي ، أتسمع ؟ اتركني وشـــأني ، والا آذيتك . انني لست زبلاً تحت قدميك على كل حال .

شيرلي : (بهدوء) لا تخف . انك لا تمثل صحبة ممتازة لـكي يبحث عنـك الناس . (يكاد يدخل الملجأ ، حين تخرج باربارة واندرشافت الى يمينها) .

باربارة : أوه ، ها أنت هنا يا مستر شيرلي ! (بينهما) هذا هو والدي . لقد اخبرتك بانه دنيوي ، أليس كذلك ؟ ربما تكونان قادرين على التخفيف عن بعضكما البعض .

اندرشافت : (مندهشاً) دنيوي ! مطلقاً ! بل بالعكس ، متصوف واثق من تصوفه .

بارباره : آسفة . وعلى فكرة يا بابا ، ما هو دينك ، في حالة اضطراري الى تقديمك له ثانية ؟

اندرشافت : ديني ؟ حسناً يا عزيزتي ، أنا مليونير . هذا هو ديني .

بارباره : اذن أخشى انه لن يستطيع احدكما أن يواسي الآخر ، انت ومستر شيرلي . انت لست مليونيراً يا بيتر ، أليس كذلك ؟

شيرلي : كلا . وأنا فخور بذلك .

اندرشافت : (بجد) الفاقة يا صديقي ليس شيئاً يفخر به المرء .

شيرلي : (بغضب) من الذي صنع لك ملايينك ؟ أنا وأمثالي . والأمر الذي يجعلنا فقراء هو الذي يجعلك غنياً . لن أرضى بأن يكون لي ضميرك ، حتى ولا لقاء كل دخلك .

اندرشافت : لن أرضى بأن يكون لي دخلك ، حتى ولا لقاء كل ضميرك ، يا مستر شيرلي . (يذهب الى السقيفة ويجلس على احدى المصطبات) .

بارباره : (تمنع شيرلي عن الكلام بينما كان يحاول ان يجيب) لن تعتقد بأنه أبي ، أليس كذلك يا بيتر ؟ أتذهب الى الملجأ وتساعد البنات قليلاً ؟ لقد أنهكهن العمل .

شيرلي : (بمرارة) نعم : انني مدين لهن بوجبة ، أليس كذلك ؟

بارباره : أوه ، ليس لأنك مدين لهن ، بل لأنك تحبهن ، يا بيتر ، لانك تحبهن . (لا يفهم ، ويلوح عليه انه فهم العكس وشعر بأنها تشهر به) هيـــا ! لا تحملق فيّ . أدخل ، واعط ضميرك هذا اجازة (تدفعه الى الملجأ)

شيرلي : (بينما يدخل) آه مما يؤسف له انه لم يدربك احد على استعمال

عقلك يا آنسة . كنت ستصبحين محاضرة ممتازة عن الدنيوية .
(تلتفت باربارة الى والدها)

اندرشافت : لا تكترثي لي يا عزيزتي ، انصرفي الى اعمـــالك ، ودعيني اراقب ذلك فترة من الزمن .

باربارة : حسناً .

اندرشافت : مثلاً ، ما هو الأمر مع هذا المريض الجالس هنالك ؟

باربارة : (ناظرة الى بل الذي لم يتغير سلوكه ، والذي ازداد تعبيره عن التأمل الغاضب عمقـاً) أوه ، سنشفيه بسرعة . أنظر فقط .
(تذهب الى بـل وتنتظر . ينظر اليها ثم يغض بصره ثانية ، وهو قلق ، وانما ازداد عبوسه) . سيكون من الأفضل لو سحقت وجه موك هابيجام سحقاً ، أليس كذلك يا بل ؟

بـــل : (ينهض من المعلف مستاء) انهـــا اكذوبة : لم أقل ذلك أبداً .
(يهز رأسه) من أخبرك بما كان يدور في ذهني ؟

باربارة : صديقك الجديد .

بـل : أي صديق جديد ؟

باربارة : الشيطان يا بل . انه حين يدور حول الناس يصبحون بؤســـاء مثلك الآن .

بـل : (محاولاً محاولة شديدة أن يلوح مغتبطاً غير مكترث) لست بائساً .
(يجلس ثانية ، ويمد ساقيه في محاولة ليلوح غير مكترث) .

باربارة : حسناً ، اذا كنت سعيداً فلماذا لا تلوح سعيداً مثلنا ؟

بـل : (تعود ساقاه الى الوراء برغمه) انني سعيد سعادة كافية ، لماذا لاتتركيني وشأني ؟ ماذا فعلت لك ؟ لم أهشم وجهك . هل فعلت ذلك ؟

باربارة : (بنعومة : تحاول أن تجتذب روحه) لست أنا التي تغضبك يا بل.

بـل : من اذن ؟

بارباره : شخص لا يريدك أن تهشم وجوه النساء ، كما اعتقد . شخص أو شيء يريد أن يجعل منك رجلا .

بـل : (منحنياً بعنف) يجعل مني رجـلا ! ألست رجلا ؟ ايه ؟ من قال انني لست رجلا ؟

بارباره : هنالك رجل في مكان ما فيك ، ولكن لماذا سمح لك بأن تضرب جيني هل المسكينة ؟ لم يكن ذلك رجولة منه ، اليس كذلك ؟

بل : (معذباً) لقد انتهينا من ذلك . كفى . لقد سئمت من ترديدك لجيني إل هذه ووجهها الأحمق .

بارباره : اذن لماذا تفكر في ذلك ؟ لماذا تصر تلك الفكرة على مناوأة ذهنك ؟ انك لا تتحول الى الايمان الآن ، ماذا تقول ؟

بل : (بثقة) لست أنا . ذلك غير محتمل .

بارباره : هذا صحيح يا بل . حاول ان تصمد ضده . استخدم كل قوتك . لا تدعنا ننظر اليك على انك سهل المنال . قال توجر فيرمايل أنه صارع ثلاث ليال من أجل خلاصه وضد خلاصه ، بأشد مما صارع ضد الياباني في قاعة الموسيقى . وقد تخلى عن الموقف للياباني حين كادت ذراعه تكسر ، ولكنه لم يضعف أمام خلاصه حتى كاد قلبه ينكسر . ربما سيكون في وسعك ان تنجو من ذلك . ليس لك أي قلب ، هل لك ؟

بل : ماذا تعنين ؟ لماذا لا يكون لي قلب كالاخرين ؟

بارباره : رجل له قلب لم يكن ليضرب جيني المسكينة الصغيرة على وجهها ، اليس كذلك ؟

بل : (يكاد يبكي) لماذا لا تتركيني وشأني ، هل تدخلت في شؤونك يوماً لكي تتدخلي في أموري وتحرضيني كما تفعلين الآن ؟ (يرتعش بعنف من عينيه الى قدميه)

بارباره : (واضعة يداً حنوناً على ذراعه ، وبصوت رقيق جداً) ان روحك هي التي تؤلمك يا بل ولست أنا . لقد جربنا ذلك بانفسنا ، جميعاً . تعال معنا يا بل . (ينظر حوله بوحشية) الى الرجولة والشجاعة فوق الأرض والخلود والعظمة في السماء . (يكاد ينفجر ويستسلم) هيا . (يسمع صوت طبل في الملجأ ، وينجو بـــل من سحرها حين تلتفت بسرعة . يدخل أدولفوس من الملجأ مع طبل كبير) أوه ! ها أنت يا دولي . دعني أقدم لك صديقاً جديداً : مستر بل ووكر . هذا هو حبيبي يا بـــل : مستر كاسنز (يحييه كاسنز بالمضرب) .

بل : هل ستتزوجينه ؟

بارباره : أجل ؟

بل : (بحماسة) ليساعده الله ! اللـ.......ه يساعده !

بارباره : لماذا ؟ أتظن أنه لن يكون سعيداً معي ؟

بل : لم استطع أن احتمل ذلك خلال صباح ، وعليه أن يحتمله خلال الحياة بطولها .

كاسنز : هذا تفكير مرعب يا مستر ووكر . ولكنني لا استطيع أن ابتعد عنها .

بل : حسناً ، انا أستطيع (الى بارباره) ايه ! هل تعرفين أين سأذهب ؟ وماذا سأفعل ؟

بارباره : أجل : انك ذاهب الى السماء وستعود هنا قبل أن ينقضي الاسبوع

لتخبرني بذلك .

بل : تكذبين . انني ذاهب الى كينتان لأبصق في عين توجر فيرمايل . لقد هشمت وجه جيني إل ، والآن سأهشم وجهي . سيضربني ويهشم وجهي وأعود وأريه لها حتى نتعادل . (الى ادولفوس) اليس هذا عدلاً ، أم لا ؟ انت سيد مهذب ولا بد أن تعرف .

باربارة : عينان سوداوان لن تعوضا عن عين بيضاء واحدة يا بل .

بل : لم أسألك أنت . الا تستطيعين قط أن تغلقي فمك ؟ لقد سألت السيد .

كاسنز : (بتأمل) أجل : أظن انك محق يا مستر ووكر . أجل يمكنني أنا ايضاً أن افعل ذلك . لأمر غريب : انه بالضبط الأمر الذي كان سيفعله يوناني من القدماء .

باربارة : ولكن أي خير سيكون في ذلك ؟

كاسنز : حسناً ، سيوفر ذلك على مستر فيرمايل بعض التمرين ، وسيرضي روح مستر ووكر .

بل : سخف ! ليس هنالك شيء اسمه الروح . كيف تستطيع ان تقول اذا كانت عندي روح أم لا ؟ لم ترها أبداً .

باربارة : رأيتها تؤلمك حين وقفت ضدها .

بل : (باستياء مضغوط) لو كنت فتاتي وسلبت الكلمة من فمي كما تفعلين الآن ، كنت سأعطيك شيئاً تشعرين بألمه ، كنت سأفعل ذلك . (الى ادولفوس) اسمع نصيحتي ، أيها الزميل . اوقفها عند حدها أو أنك ستموت قبل انتهاء عمرك . (بتعيين مركز) ستكون هالكاً . هذا ما ستكونه . ستكون هالكاً . (يذهب عبر البوابة)

كاسنز : (ينظر خلفه) انني لأتساءل !

بارباره : دولي ! (مستاءة ، في وضع من أوضاع أمها)

كاسنز : أجل يا عزيزتي ، انـه لأمر مهلك أن يحبك المرء . اعتقد انني سأموت في شبابي .

بارباره : وهل تكترث لذلك ؟

كاسنز : كلا أبداً . (يرق فجأة ، ويقبلها من فوق الطبل ، ويتضح ان ذلك ليس للمرة الأولى ، لأن النـــاس لا يستطيعون ان يقبلوا للمرة الأولى من فوق طبل بدون تجربة سابقة . يسعل اندرشافت)

بارباره : حسناً يا بابا ، لم ننسك . دولي : اشرح المكان لبـابا فليس لدي وقت . (تدخل الملجأ وهي مشغولة)

(يبقى اندرشافت وادولفوس وحدهما في الساحـــة . اندرشافت جالس على مصطبة وهو ما يزال محتفظاً باهتمامه وانتباهـــه ، ينظر بامعان الى ادولفوس . أدولفوس ينظر اليه بامعان).

اندرشافت : اعتقد انك تخمن ماذا يدور في ذهني يا مستر كاسنز . (يحرك كاسنز مضربي الطبـل وكأنه يريد أن يضرب عليه أغنية حماسية ، ولكن لا صوت يظهر) بالضبط . ولكن لنفرض أن بارباره تكتشفك !

كاسنز : انت تعرف انني لا أقر بانني أؤثر على بارباره . انني فقط مولع بافـكار جيش الخلاص . الحق انني مولع بجمع الأديان . والغريب هو انني أجد أن في وسعي الايمان بها جميعاً . وعلى فكرة ، ألديك أي دين ؟

اندرشافت : أجل .

كاسنز : هل تستطيع ان تخبرني بشيء من تعاليمه .

اندرشافت : فقط ان هنالك شيئين ضروريين للخلاص .

كاسنز : (خائباً ، ولكن باحترام) آه، وساطة الكنيسة.تشارلز لوماكس منضم الى الكنيسة أيضاً .

اندرشافت : الشيئان هما ــ

كاسنز : التعميد و ــ

اندرشافت : كلا . المال والبارود .

كاسنز : (مندهشاً ولكنه مهتم) هذا رأي طبقاتنا الحاكمة عامـــة . الجديد في الأمر هو أن اسمع رجلا يعترف بذلك .

اندرشافت : بالضبط .

كاسنز : المعذرة ، اهنالك مكان في دينك للشرف والعدالة والحق والحب والشفقة وما الى ذلك ؟

اندرشافت : أجل . انها مزايا ومتارف الحياة الغنية القوية الآمنة .

كاسنز : لنفرض ان على المرء أن يختار بينها وبين المال أو البارود .

اندرشافت : اختر المال والبارود ، لانـــه اذا لم يكن لديك من الاثنين ما يكفي فانك لن تستطيع ان تحصل على تلك الأمور .

كاسنز : أهذا هو دينك ؟

اندرشافت : أجل .

(يضع وقع هذا الجواب نهاية للحديث ، يلوي كاسنز وجهه في شك ويتأمل في اندرشافت . أندرشافت يتأمله)

كاسنز : لن تصبر بارباره على ذلك . عليك ان تختار بين دينك وبين بارباره .

اندرشافت : ستفعل ذلك أنت أيضاً يا صديقي . ستجد هي أن طلبك هذا أجوف .

كاسنز : ايها الوالد اندرشافت : انت مخطىء : انني خلاصي أمين . انك لا تفهم جيش الخلاص . انه جيش الغبطة والحب والشجاعة : لقد تغلب على الخوف والقلق واليأس الذي كان يسيطر على رجال الدين القدماء : انـــه يسير لمحاربة الشيطان بالبوق والطبل ، بالموسيقى والرقص ، بالراية وعلامة النصر . تماماً كما يندفع جنود السماء المغتبطون . انه يخرج المبذر من الحانة ويجعل منه رجلا : انه يعثر على دودة تتلوى في مطبخ خلفي ، ثم: امرأة ! وكذلك رجال ونساء الطبقة العالية وابناء وبنات الشخصيات . انه يأخذ استاذ اللغة اليونانية المسكين ، أشد البشر اصطناعاً وكبحاً للنفس ، من وجبة طعامه المؤلفة من الجذور ، ويطلق سراح المغني فيه ، ويكشف له عن عبادة ديونيسوس [1] الحقيقية ويرسله الى الشوارع العامة ليضرب على الطبل أغاني باخوس . (يضرب على الطبل بعنف) .

اندرشافت : ستزعج الملجأ .

كاسنز : انهم معتادون على هذه النشوة المفاجئة . على كل حال ، اذا كان الطبل يزعجك (يضع المضربين في جيبه ويرفع الطبل ويضعه على الأرض قرب البوابة) .

اندرشافت : شكراً .

كاسنز : هل تذكر ما يقوله يوريبيدس عن مالك وبارودك ؟

اندرشافت : كلا .

كاسنز : (منشداً)
هذا وذاك

---

(١) ديونيسوس — اله الخمر اليوناني ، كان الناس يعبدونه ثملين راقصين منتشين . المترجم

بالمال ، بالمدافع ، قد يتفوق على أخيه ،
والبشر ، بملايينهم ، يعومون ويتدفقون
ويفورون بمليون من الآمال ، كالخميرة ،
ويفوزون بارادتهم ، أو يضيعون ارادتهم ،
وتموت آمالهم ، أو انهم ما يزالون يتحرقون لها ،
ولكن من يعرف ،
بينما تمر الأيام الطويلة ،
ان العيش هو السعادة ، فقد وجد جنته .
إنها من ترجمتي ما هو رأيك فيها ؟

اندرشافت : اعتقد يا صديقي انك اذا كنت تود أن تعرف ، بينما تمر الأيام الطويلة ، أن العيش هو السعادة فعليك أولاً أن تحصل على المـــال الـكافي لحياة طيبة ، والقوة الـكافية لتكون سيد نفسك .

كاسنز : انك لتثبط الهمم بطريقة لعينة (يستمر في الانشاد)
من الصعب أن يرى المرء .
ان روح الله — مهما تكن —
القانون الذي يستمر ولا يتغير ، طول العصور ،
الخالد وليد الطبيعة : اذا كانت هذه الأشياء قوية ،
فما هي الحكمة غير ذلك ؟ أي شيء من جهود الانسان ؟
أو من نعمة الله السامية ، الحبيبة ، العظيمة ؟
ان تكون مطلقاً من الخوف ؟ ان تتنفس وتنتظر ؟
أن ترفع يداً مرفوعة فوق القدر ؟
ألن تكون باربارة محبوبة الى الأبد .

اندرشافت : ان يوريبيدس يذكر باربارة ، أليس كذلك ؟

كاسنز : انها ترجمة عادلة ، فالكلمة تعني الجمال .

اندرشافت : هل لي أن اسأل – باعتباري والد بارباره – بكم من المال في السنة ستكون بارباره محبوبة الى الأبد ؟

كاسنز : بالنسبة لوالد بارباره ، انه من شؤونك اكثر من كونه من شؤوني. استطيع ان اطعمها عن طريق تدريس اللغة اليونانية : هذا هو كل ما في الأمر .

اندرشافت : هل تعتقد ان ذلك يناسبها ؟

كاسنز (بعناد مؤدب) مستر اندرشافت ، انني من نواحي ، عديدة رجل ضعيف ، خائر ، عديم الاثر وليست صحتي جيدة . ولكن كلما شعرت بانني يجب أن أحصل على شيء ، فانني احصل عليه ان عاجلا أو آجلا . وانني اشعر هكذا نحو بارباره . انني لا أميل الى الزواج : انني اخشاه خشية شديدة : ولست أعرف ما الذي سأفعله مع بارباره وما الذي ستفعله هي معي . ولكنني أشعر بانني انا ، وليس انساناً آخر ، يجب أن أتزوجها .أرجوك أن تعتبر ذلك مسألة منتهية – لا لأنني اريد ان اتعسف برأيي ، ولكن لماذا أضيع وقتك في بحث ما هو حتمي ؟

اندرشافت : أتعني أنك لن تدخر وسعاً وانك تلجأ لكل طريقة ، حتى ترك جيش الخلاص وعبادة ديونيسوس ؟

كاسنز : ان واجب جيش الخلاص هو في أن ينقذ ، لا أن يعين اسم موجد طريق الخلاص ، ديونيسوس أو غيره ، ماذا يهم ؟

اندرشافت : (ينهض ويقترب منه) ايها البروفسور كاسنز : انك شاب قد دخلت في صميم قلبي .

كاسنز : مستر اندرشافت : أنت ، بقدر ما استطيع أن اتذكر ، أكبر نذل جهنمي ، ولكنك تروق لي جداً ، لولعي بالنكتة الساخرة .

(يقدم اندرشافت يده بصمت . يتصافحان) .

اندرشافت : (فجأة ، يركز أفكاره) والآن الى العمل .

كاسنز : المعذرة . اننا نبحث في الدين . لماذا تعود الى مثل هذا الموضوع غير الملذ للعمل ؟

اندرشافت : الدين هو شغلنا الآن ، لاننا لا نستطيع إلا بالدين أن نفوز بباربارة .

كاسنز : هل وقعت انت ايضاً في حب باربارة ؟

اندرشافت : أجل . حب أبوي .

كاسنز : الحب الأبوي لابنة كبيرة هو أشد الاعراض خطراً . آسف لأنني ذكرت وهمي الشاك الشاحب مع ذلك مباشرة .

اندرشافت : لا تخرج عن الموضوع . يجب أن نفوز بها . وليس أحد منا من اتباع الطريقة .

كاسنز : هذا لا يهم . ان القوة التي تتمتع بها باربارة هنا – القوة التي تؤثر على باربارة نفسها – ليست الكالفنية ، ولا الكاثوليكية ، ولا اصحاب الطريقة –.

اندرشافت : ولا الوثنية اليونانية ، ايه ؟

كاسنز : أقر بذلك . باربارة اصيلة في دينها تماماً .

اندرشافت : (بانتصار) أهـا ! اذن هي باربارة أندرشافت ! ان الالهام يأتي من ذاتها .

كاسنز : كيف تفترض ان الأمر هو هكذا ؟

اندرشافت : (بانفعال شديد) انها تركة اندرشافت . سأسلم المشعل الى

ابنتي . انها هي التي ستحول الناس الى ديني ، وتعظ بكتابي .

كاسنز : ماذا ! المال والبارود !

اندرشافت : أجل ، المال والبارود . الحرية والقوة . السيطرة على الحياة والسيطرة على الموت .

كاسنز : (بلطف : محاولاً أن يعيده الى الأرض) هذا مثير لأشد الاهتمام يا مستر أندرشافت . أنت تعرف بالطبع أنك مجنون .

اندرشافت : (بقوة مضاعفة) وأنت ؟

كاسنز : أوه ، مجنون كأرنب آذار . مرحباً بك الى سري ، طالما انني اكتشفت سرك . ولكنني مندهش . هل يستطيع المجنون أن يصنع المدافع ؟

اندرشافت : هل يستطيع أحد غير المجنون أن يصنعها ؟ والآن (بطاقة متدفقة) سؤال بسؤال : هل يستطيع انسان عاقل ان يترجم يوريبيدس ؟

كاسنز : كلا .

اندرشافت : (يمسكه من كتفه) هل تستطيع امرأة عاقلة أن تجعل من السكير رجلا ومن الدودة امرأة ؟

كاسنز : (يرتجف أمام العاصفة) أيها الاب العظيم – أيهــا المليونير الهائـــل –

اندرشافت : (يضغط عليه) هل هنالك مجنونان في هذا الملجأ ، أم ثلاثة مجانين اليوم ؟

كاسنز : أتعني أن بارباره مجنونة مثلنا ؟

اندرشافت : (يدفعه برقة ، ويستعيد هدوءه فجأة وتماماً) : بووه ، ايها البروفسور ! دعنا نسمي الاشياء باسمائها الصحيحة . أنا مليونير .

أنت شاعر . بارباره مخلصة أرواح . فماذا نستطيع ان نفعله مع جمهور العبيد وعباد الاصنام العاديين ؟ (يجلس ثانية وهو يهز كتفيه احتقاراً للعامة) .

كاسنز : خذ حذرك ! ان بارباره تحب الناس العاديين وكذلك أنا . ألم تشعر بذلك الحب يوماً ؟

اندرشافت : (ببرود وسخرية) هل احببت الفاقة يومــاً مثل سانت فرانسيس ؟ هل احببت القذارة يوماً مثل سانت سيمون ؟ هل احببت المرض والعذاب يوماً مثل ممرضاتنا وانسانيينا ؟ مثـل هذه الانفعالات ليست فضائل ، انها اشد الشرور شذوذاً . قد يلذ حب الناس العاديين لحفيدة ايرل ولاستاذ في الجامعة ، ولكنني كنت شخصاً عادياً وفقيراً ، ولا أجد طرافة في ذلك . دع الفقراء يدعون بأن الفقر بركة : دع الجبان يجعل من جبنه ديناً بأن يعظ بالتواضع : اننا نعرف افضل من ذلك . يجب أن نقف نحن الثلاثة فوق الناس العاديين : اذ كيف سنستطيع بغير ذلك ان نساعد اطفالهم على الصعود الى جانبنا ؟ يجب أن تنضم بارباره الينا ، لا الى جيش الخلاص .

كاسنز : حسناً ، يمكنني فقط أن اقول انــك اذا ظننت انك ستستطيـع ابعادها عن جيش الخلاص بالتحدث اليها كما تحدثت معي ، فانك لا تعرف بارباره .

اندرشافت : يا صديقي : انني لا اطلب ما يمكنني أن أشتريه .

كاسنز : (بغضب أبيض) هل أفهم من ذلــك أنك تستطيـع أن تشتري بارباره .

اندرشافت : كلا . ولكنني استطيع أن أشتري جيش الخلاص .

كاسنز : مستحيل تماماً .

اندرشافت : سترى . كل المنظمات الدينية توجد لأنها تبيع نفسهـــا الى الاغنياء .

كاسنز : ليس جيش الخلاص . انه كنيسة الفقراء .

اندرشافت : هذا ما يدفعني بالذات الى شرائه .

كاسنز : لست أظن انك تعرف ماذا يفعله الجيش للفقراء .

اندرشافت : أوه . أجل أعرف . إنه يخلع لهم أسنانهم : هذا هو كل ما يهمني ان اعرفه كرجل اعمال .

كاسنز : سخف! انه يجعلهم يصحون .

اندرشافت : انني افضل العمال الصاحين ، فالفوائد تكون أكثر .

كاسنز : الأمناء .

اندرشافت : العمال الأمناء هم أشد اقتصاداً .

كاسنز يتمسكون ببيوتهم.

اندرشافت : هذا افضل . انه يجعلهم يصبرون على كل شيء ولا يغيرون المصنع الذي يعملون فيه .

كاسنز: السعداء .

اندرشافت : ضمان قيم ضد الثورة .

كاسنز : ليسوا أنانيين .

اوماكس : لا تهمهم مصالحهم الخاصة ، الأمر الذي يناسبني بالضبط .

كاسنز : يفكرون في الامور السماوية .

اندرشافت : (ينهض) وليس في نقابات العمال والاشتراكية . ممتاز !

كاسنز : (ثائراً) انت حقاً نذل جهنمي عجوز .

اندرشافت : (مشيراً الى بيتر شيرلي الذي خرج تواً من الملجأ وراح يتمشى ببؤس في الساحة بينهما) وهذا هو رجل أمين !

شيرلي : أجل ، وما الذي حصلت عليه من ذلك ؟ (يمر بينهما بمرارة ويجلس على المصطبة ، في زاوية السقيفة) .

(سنوبي برايس ، يلوح عليه الوقار والتقوى ، وجيني هل بيدها طمبور فوقه قطع كثيرة من النقود ، يأتيان من الملجأ ويذهبان الى الطبل الذي تعد عليه جيني النقود) .

اندرشافت : (مجيباً شيرلي) أوه ، لا بد أن رؤساءك قد حصلوا على الكثير من ذلك ، من البداية حتى النهاية . (يجلس على المنضدة واضعاً احدى قدميه فوق المصطبة الجانبية ، وكاسنز المدحور ، يجلس على نفس المصطبة قرب الملجأ . تأتي باربارة من الملجأ الى وسط الساحة ، منفعلة ومتعبة قليلا .)

باربارة : لقد اجرينا الآن تجربة اجتماع رائعة في البوابة الأخرى في طريق كريبس . لم أر الناس يتأثرون يوماً بقدر تأثرهم اليوم لاعترافك يا مستر برايس .

برايس : بل كنت ساغتبط بشروري السابقة لو كنت أعتقد بأنها ستجعل الآخرين يلتزمون بالطريق المستقيم .

باربارة : بل ستجعلهم يا سنوبي . كم يا جيني ؟

جيني : أربعة شلنات وعشرة بنسات يا ميجر .

باربارة : أوه يا سنوبي ، لو كنت ضربت امك المسكينة ضربة أخرى لكنا سنحصل على خمسة شلنات بالضبط !

برايس : لو كانت تسمعك يا آنسة لآلمها أنني لم أفعل . ولكنني مسرور . كم سيسعدها أن تعرف أنني خلصت !

اندرشافت : هل أتبرع بالبنسين ؟ يا بارباره ؟ مساهمة المليونير ، هيه ؟
(يخرج من جيبه بنسين)

بارباره : كيف حصلت على هذين البنسين ؟

اندرشافت : كالمعتاد . ببيع المدافع والطوربيدات والغواصات والنموذج الجديد الذي انتجته من القنابل اليدوية من نوع كراند ديوك .

بارباره : ضعهما في جيبك . انك لا تستطيع ان تشتري خلاصك هنا ببنسين : عليك ان تعمل من أجل ذلك .

اندرشافت : ألا يكفي بنسان ؟ يمكنني أن أدفع اكثر ، اذا ضغطت علي .

بارباره : لن يكفي مليونان من المليونات . هناك دم سيء على يديك ، ولا يمكن أن ينظفهما الا الدم الخير . خذهما . (**تلتفت الى كاسنز**) دولي : يجب ان تكتب رسالة أخرى للصحف . (**يلوي وجهه**) أجل ، انني اعرف انك لا تحب ذلك . ولكنك يجب أن تفعل ذلك . سيتغلب الجوع علينا في هذا الشتاء : الكل عاطلون . يقول الجنرال اننا يجب أن نغلق هذا الملجأ اذا لم نحصل على مزيد من النقود . انني أحمل الناس على دفع النقود في الاجتماعات الى ان أشعر بالخجل ، أليس كذلك يا سنوبي .

برايس : لقد كان أمراً ممتعاً ان اشاهدك تفعلين ذلك يا آنسة . الطريقة التي زدت بها النقود من ثلاثة شلنات وستة بنسات الى اربعة شلنات وعشرة بنسات ، بتلك الاغنية ، بنساً بعد بنس ، وأغنية بعد أخرى ، كان ذلك رائعاً خارقاً . لم يكن في وسع أحد من تافهي مايل ايند ويست أن يسخر منك لذلك .

بارباره : أجل ، ولكنني كنت أود أن نحصل على النقود بدون ذلك . لقد صرت اخيراً افكر بجمع النقود اكثر من تفكيري بارواح الناس . وما هي تلك البنسات وأنصاف البنسات ؟ اننا نريد

آلافاً ! عشرات الآلاف ! مئات الآلاف ! انني اريد أن أجعل الناس يؤمنون ، لا أن استجدي دائماً من أجل الجيش بحيث انني أفضل أن اموت على أن استجدي لنفسي !

اندرشافت : (بسخرية عميقة) ان الايثار الاصيل قادر على كل شيء يا عزيزتي .

بارباره : (بدون شك ، بينما تلتفت لتأخذ النقود من الطبل وتضعها في كيس للنقود تحمله) أجل ، أليس كذلك ؟ (ينظر اندرشافت بسخرية الى كاسنز) .

كاسنز : (جانباً ، الى اندرشافت) شيطان ! مكيافيللي!

بارباره : (تنبثق الدموع من عينيها بينما هي تربط الكيس وتضعه في جيبها) كيف سنطعمهم ؟ انني لا أستطيع أن اتحدث عن الدين مع رجل يلوح في عينيه جوع الجسم . (تكاد تفقد زمام نفسها) انه مخيف !

جيني : (تهرع اليها) ميجر ، عزيزتي .

بارباره : (تصدها) كلا . لا تواسيني . سيكون كل شيء على ما يرام . سنحصل على النقود .

اندرشافت : كيف ؟

جيني : بالصلاة من أجلها طبعاً . تقول المسز بينز أنها صلت من اجلها في الليلة الماضية ، ولم تُصَلِّ عبثاً في يوم من الايام ، مطلقاً . (تذهب الى البوابه وتنظر الى الشارع) .

باربارہ : (التي جففت عينيها واستعادت رباطة جأشها) على فكرة ، يا أبي ، لقد جاءت مسز بينز لتسير معنا الى اجتماعنا الكبير في هذا العصر . انها تتلهف الى مقابلتك لسبب ما . ربما ستجعلك تؤمن .

اندرشافت : سيسرني ذلك يا عزيزتي .

جيني : (منفعلة عند البوابة) ميجر ! ميجر ! لقد عاد الرجل مرة أخرى .

بارباره : أي رجل ؟

جيني : الرجل الذي ضربني . أوه ، أرجو ان يكون قد جاء لينضم الينا .
(يدخل بل ووكر عبر البوابة ، والثلج على سترته ، واضعاً يديه عميقاً في جيوبه ومغرقاً ذقنه بين كتفيه ، مثل مقامر خسر كل شيء . يقف بين بارباره والطبل) .

بارباره : هلو بل ، لقد عدت !

بل : (معاكساً اياها) كنت تتحدثين طول الوقت ، هيه ؟

بارباره : تقريباً . حسناً ، هل ضربك توجر لقاء ضربك جيني ؟

بل : كلا .

بارباره : كنت أظن ان الثلج قد سقط على سترتك .

بل : اجل انها كذلك . تريدين ان تعرفي من أين جاء الثلج ، أليس كذلك ؟

بارباره : أجل .

بل : حسناً . لقد جاء من الأرض في بوكنزز كورنر في كينتنان . لقد احتككت بها بكتفي ، أرأيت ؟

بارباره : مما يؤسف له أنك لم تفعل ذلك بركبتيك ! كان ذلك سينفعك كثيراً يا بل .

بل : (بسخرية مرة لا غبطة فيها) كنت أضع ركبتي رجل آخر على الأرض في ذلك الوقت ! كان يركع فوق رأسي ، كان يركع .

جيني : من الذي كان يركع فوق رأسك ؟

بل : كان توجر . كان يصلي من أجلي . كان يفعل ذلك كل اجتماع بلومنك . كان مرتاحاً في صلاته ، متخذاً مني سجادة ! كانت موك تصلي

أيضاً . قالت موك : « آه يا الهي ، ادحر عناد روحه ولكن لا تؤذ قلبه العزيز . » كان ذلك هو ما قالته . « لا تؤذ قلبه العزيز ! » وعشيقها – مائة واربعة وثلاثون ، هذا هو وزنه ! – يركع بكل ثقله فوقي . مضحك ، أليس كذلك ؟

جيني : أوه ، كلا . اننا آسفون يا مستر ووكر .

بارباره : (مستمتعة بذلك بصراحة) سخف ! مضحك بالطبع ! انك تستحق ذلك يا بل ! لا بد انك فعلت شيئاً له أولاً .

بل : (بذلة) فعلت ما قلت انني سأفعله . بصقت في عينيه . ونظر الى السماء وقال : « آه ! أن أستحق أن يبصق في وجهي من أجــــل الانجيل ! » هذا هو ما قاله . وقالت موك : « يا عظمة المسيح ! » ثم دعاني أخاه وقبلني وكأنني طفل صغير وكأنه كان أمي تصلي معي ليلة السبت ! كان نصف الشارع يصلي والنصف الآخر يكاد يموت من الضحك . (الى بارباره) هل رضيت الان ؟

بارباره : (عيناها ترقصان) وددت ان اكون هناك يا بل .

بل : أجل ، كنت ستحملين علي بالمزيد من الكلام ، اليس كذلك ؟

جيني : انني لشديدة الأسف يا مستر ووكر .

بـل : (بشراسة) لا تأسفي منأجلي:لا دخل لك . اسمعي: لقدكسرتفكك .

جيني : كلا . لم يؤلمني ، لم يؤلمني حقاً ، الا لحظة واحدة . كنتخائفة فقط .

بل : لا أريد منك ان تسامحيني ، لا أريد من أي شخص ان يسامحني . ماذا سأدفع لقاء ذلك ؟ لقد حاولت ان اكسر فكي لأرضيك

جيني : (مكتئبة) أوه ، كلا .

بـل : (بصبر نافد) أقول لك فعلت ، الا تستمعين لما يقال لك ؟ كل ما حصلت عليه هو انني صرت مشهداً للناس في الشارع العام . حسناً ،

اذا لم استطع أن أرضيك بطريقـــة فيمكنني أن أفعل بأخرى . استمعي هيه ! لقد وفرت جنيهين من أجل البرد وما يزال لدي منها جنيه ، لقد تشاجر صديق لي مع العاهرة التي سيتزوجها وضربهـــا لذلك . وبعد هذا غرموه خمسة عشر شلناً لأنه كان يحق له أن يضربها لأنهما سيتزوجان . ولكن ليس لي الان الحق في أن أضربك، ولهذا سأضع على ذلك خمسة شلنات أخرى حتى تكون جنيهـــاً (يخرج من جيبه جنيهاً ذهبياً) اليك النقود . خذيها ، ولنتخلص من غفرانك وصلاتك وعبارات الميجر . ليكن ما فعلته قـــد فعلته ودفعت ثمنه ، ولينته كل شيء .

جيني : أوه ، لا يمكنني أن آخذه يا مستر ووكر . ولكن ، لو تعطي شلناً أو اثنين لرومي متشنز ! لقد آذيتها حقاً وهي عجوز .

بـل : (باحتقار) غير محتمل . سأضربهـــا مرة أخرى حالمـــا أراها . دعيها تضربني كما هددت بأن تفعل . انها لن تسامحني : ليس كثيراً . انني لا افكر فيما فعلته لها ــ ان ما تقول (يعني بارباره) انه سيؤلم ضميري لا يزيد عن ضرب خنزير بالعصا . ولكنني لا أريد أن ألعب ضد نفسي لعبتـكم المسيحية : ذلـــك الغفران والثرثرة واللعنـــات التي تجعل المرء يشعر بأن حياته صارت عبئاً عليه . لن اكون كذلك ، أقول لك . ولهذا خذي نقودك وكفى اظهاراً لهذا الخجل أمامي .

جيني : ميجر : هل لي أن آخذ بعض هذه النقود للجيش ؟

بارباره : كلا : الجيش لا يُشترى . اننا نريـد روحك يا بل ، ولن نأخذ أقل من ذلك .

بـل : (بمرارة) أعرف . أنا وشلناتي القليلة لا نفيدك . أنت حفيدة إيرل، أنت . لا تريدين أقل من مائة جنيه .

اندرشافت : هيا يا بارباره ،يمكنك ان تفعلي خيراً كثيراً بمائة جنيه لو انك فقط تقبلين الجنيه من هذا الرجل وتنقذين عقله ، سأعطيك التسعة والتسعين جنيهاً الأخرى . (بل يندهش من هذا الثراء ، ويلمس قبعته بالفطرة) .

باربارة : أوه ، أنت مبذر يا أبي . ان بل يقدم عشرين قطعة فضية . كل ما عليك ان تقدمه هو العشر الأخرى . هذا هو ما يكفي ليكون السعر الاعتيادي لشراء أي شخص يعرض للبيع . انا لست للبيع ، وليس الجيش للبيع أيضاً.(الى بل)ان تكون لك لحظة هادئة أخرى في حياتك يا بل حتى تعود الينا. لن تستطيع أن تقف ضد خلاصك.

بل : (مكتئباً) لا استطيع ان اقف ضد مصارعي قاعة الموسيقى ولا ضد السنة النساء المؤذيات . لقد عرضت أن أدفع ، ولا استطيع أن أفعل اكثر من ذلك . خذيها أو اتركيها . ها هي . (يلقي بالجنيه الذهبي على الطبل ويجلس على المعلف . تفتن القطعة سنوبي برايس فيغتنم أول فرصة ويضع قبعته عليها .)

(تأتي مسز بينز من الملجأ ، ترتدي ملابس مبعوثة من جيش الانقاذ . امرأة جادة المظهر ، في حوالي الاربعين ، صوتها مداعب ملح ، وسلوكها خلاب) .

باربارة : هذا هو أبي . هي ذي مسز بينز . (يأتي اندرشافت عن المنضدة ويخلع قبعته باحترام ملحوظ .) حاولي أن تفعلي ما تستطيعين معه . لقـــد رفض أن يستمع اليّ لأنه يتذكر أية حمقاء كنت في طفولتي . (تتركهما معاً وتتحدث مع جيني .)

مسز بينز : هل رأيت الملجأ يا مستر اندرشافت ؟ انت تعرف العمل الذي نقوم به بالطبع .

اندرشافت : (بكل أدب) الشعب كله يعرف ذلك يا مسز بينز .

مسز بينز : كلا يا سيدي . الشعب كله لا يعرف ذلك ، والا لما كنا نقعد هكذا لحاجتنا الى المال حتى يمكننا أن نقوم بالعمل في طول البلاد وعرضها . دعني اخبرك بأنه كانت ستحدث اضطرابات في لندن هذا الشتاء لولانا .

اندرشافت : أتعتقدين ذلك حقاً ؟

مسز بينز : انني اعرف ذلك . اتذكر في عام ١٨٨٦ حين وقفتم انتم ايها الاغنياء بقلوب من الحجارة ضد صرخات الفقراء . لقد كسروا نوافذ نواديكم في بال مال .

اندرشافت : (مشرقاً ومؤيداً لتلك الطريقة) وفي اليوم التالي ارتفعت تخصيصات دار العجزة من ثلاثين ألف جنيه الى تسعة وسبعين ألف جنيه ! انني أتذكر جيداً .

مسز بينز : حسناً ، ألن تساعدني في اعانة الفقراء ؟ لن يكسروا النوافذ بعد ذلك . تعال هنا يا برايس . دعني اريك لهذا السيد . (برايس يأتي) أتذكر كسر النوافذ ؟

برايس : كان جدي يعتقد انها الثورة يا سيدتي .

مسز بينز : هل ستكسر النوافذ الان ؟

برايس : كلا يا مدام . لقد انفتحت امامي أبواب السماء . انني أعرف أن الثري هو خاطىء مثلي .

رومي : (تظهر فوق ، في باب الغرفة العليا) سنوبي برايس !

سنوبي : ماذا ؟

رومي : تسأل والدتك عنك في البوابة الثانية في كريبس لين . لقد سمعت باعترافك . (برايس يشحب .)

مسز بينز : اذهب يا مستر برايس ، وصل معها .

جيني : تستطيع أن تذهب عبر الملجأ يا سنوبي .

برايس : (الى مسز بينز) لا استطيع ان اواجهها الان يا سيدتي مع كل هذا العبء من الخطايا . اخبريها بانها ستجد ابنها في البيت ينتظرها للصلاة . (يخرج عن البوابة ، ويسرق الجنيه الذهبي اثناء خروجه بأخذه القبعة من الطبل .)

مسز بينز : (مغرورقة العينين) اترى كيف نخرج الغضب والاستياء ضدكم من قلوبهم يا مستر اندرشافت ؟

اندرشافت : ان هذا ليسر كل اصحاب الاعمال الكبار الذين يستخدمون العمال يا مسز بينز .

مسز بينز : باربارة : جيني : لدي نبأ سار : نبأ رائـــع . لقد اخبرتك بانهم سيفعلون ، اليس كذلك ؟ (تهرع جيني اليها)

جيني : أجل ، أجل .

باربارة : (تقترب من الطبل) هل حصلنا على نقود كافية للاستمرار على فتح الملجأ ؟

مسز بينز : أرجو أن نحصل على ما يكفي للاستمرار على فتح كل الملاجىء . لقد وعدنا اللورد ساكس مندهام بخمسة آلاف جنيه .

باربارة : هوررررر يه ... !

جيني : يا للمجد !

مسز بينز : لو —

باربارة : لو ، لو ماذا ؟

مسز بينز : لو أعطى خمسة آخرون ألفاً ، لكل منهم ، لاستطعنا أن نجمع عشرة آلاف .

باربارة : ومن هو لورد ساكس مندهام ؟ لم أسمع به .

أندرشافت : (الذي فتح اذنيه ليسمع اسم الرجـــل ، وهو الآن يرقب بارباره بفضول) لقب جديـــد يا عزيزتي . هل سمعت بالسير هوراس بوجر ؟

بارباره : بوجر ! هل تعني مقطر الويسكي ؟ ويسكي بوجر !

اندرشافت : ذلك هو الرجل . انه واحد من اعظم محسنينا . لقد جـدد الـكاتدرائية في هاكنتون . وجعلوه بارونا من أجـل ذلك . لقد منح نصف مليون لحزبه : وجعلوه باروناً من أجل ذلك .

شيرلي : وماذا سيعطونه لقاء الجنيهات الخمسة آلاف ؟

اندرشافت : لم يبق شيء ليعطى له ، ولهـــذا اعتقد ان هذا المبلـغ هو لخلاص روحه .

مسز بينز : لتمنح السماء ذلك ! أوه يا مستر اندرشافت ، لديك اصدقـاء أغنياء جداً . ألا تستطيع أن تساعدنا في الحصول على الخمسة آلاف الأخرى ؟ سنعقد اجتماعاً عظيماً هـــذا العصر في اسيمبلي هول في طريق مايل ايند . لو استطعت فقط ان اعلن اسم رجل آخر جـاء ليعضد لورد ساكس مندهام فسيتبع ذلك آخرون . ألا تعرف أحداً ؟ ألا تستطيع ؟ ألن تدفع أنت ؟ (تمتلىء عيناها بالدموع) أوه ، فكر في هؤلاء الفقراء يا مستر أندرشافت : فكر فيا يعنيه ذلك بالنسبة اليهم ، وفي تفاهة ذلك بالنسبة لرجل عظيم مثلك .

اندرشافت : (برقة ساخرة) مسز بينز : لا يستطيـع أحد أن يقاومك . لا أستطيـع أن أخيبك ، ولا استطيـع أن أحرم نفسي من متعة بوجر . ستحصلين على الخمسة آلاف جنيه .

مسز بينز : شكراً لله !

اندرشافت : لا تشكريني .

مسز بينز : أوه يا سيدي ، لا تحاول أن تكون ساخراً : لا تخجل من أن تكون رجلا صالحاً . سيباركك الله كثيراً . وستكون صلواتنا درعاً قوياً حولك طول أيام حياتك (حذرة) ستعطيني الصك لكي أريه للاجتماع ، أليس كذلك ؟ جيني ، اذهبي واحضري قلماً وحبراً . (تهرع جيني الى باب الملجأ)

اندرشافت : لا تزعجي مس هل . لدي قلم حبر (تقف جيني . يجلس الى المنضدة ويكتب الصك . ينهض كاسنز ليفسح له مجالاً ويراقبه الجميع بصمت) .

بل : (ساخراً ، قائلا لباربارة على حدة ، بصوت حزين تعس) كم هو ثمن الخلاص الان ؟

باربارة : قف . (يتوقف اندرشافت عن الكتابة : يلتفت اليها الجميع بدهشة) مسز بينز : هل ستأخذين هذا المال حقاً ؟

مسز بينز : (مندهشة) ولم لا يا عزيزتي ؟

باربارة : لماذا لا ! أتعرفين ما هو والدي ؟ هل نسيت أن لورد ساكس مندهام هو بوجر ، رجل الويسكي ؟ اتذكرين كم طلبنا من المجلس المحلي لمنعه من كتابة اسم ويسكي بوجر بحروف من لهب صاعد الى السماء ، لكي لا يستيقظ المساكين المدمنون على الخمر متذكرين عطشهم القاتل الى الويسكي عند رؤيتهم تلك العلامة السماوية ؟ هل تعرفين أن اسوأ ما يجب علي ان أكافح ضده هنا هو ليس الشيطان ، وانما بوجر ، بوجر ، بما يصنعه من الويسكي ، بمصانعه ، ومخازنه ؟ أتريدين أن تجعلي من ملجإنا مخزناً آخر من مخازنه وتطلبي مني أن أشرف عليه ؟

بل : وهو كذلك ويسكي رديء .

مسز بينز : يا عزيزتي باربارة : ان للورد ساكس مندهام روحاً تستحق

ان تخلص كأرواحنا . لو كانت السماء قد وجدت طريقة خيرة لانفاق ماله ، هل يمكننا أن نقف ضد جواب صلاتنا ؟

بارباره : اعرف ان له روحاً تستحق أن تخلص . ليحضر هنا وسأفعل ما في وسعي من أجل خلاصه . ولكنه يريد أن يرسل الصك ويشترينا به ، ويستمر على شروره كالعادة .

اندرشافت (بتبرير يعرف كاسنز فقط أنه ساخر) يا عزيزتي بارباره : الكحول مادة ضرورية . انه يشفي المرضى .

بارباره : انه لا يفعل ذلك .

اندرشافت : حسناً ، انه يساعد الطبيب : هذه هي طريقة معقولة اكثر في التعبير عن ذلك . انه يجعل الحياة محتملة بالنسبة للملايين من الناس الذين لا يستطيعون أن يحتملوا وجودهم لو كانوا صاحين تماماً . انه يساعد مجلس النواب في أن يؤدي الاعمال في الساعة الحادية عشرة ليلا ، الاعمال التي لا يقوم بها شخص عاقل في الحادية عشرة صباحاً . فهل هو ذنب بوجر اذا كانت هذه الهبة العظيمة قد هبطت الى الحضيض على يد اقل من واحد بالمائة من الفقراء ؟ (يعود الى المنضدة ثانية ويوقع الصك ويضع عليه خطاً)

مسز بينز : بارباره هل سيكون هنالك شرب اكثر أم اقل اذا أتى كل هؤلاء الفقراء في الصباح ووجدوا أبواب ملاجئنا مغلقة في وجوههم ؟ ان اللورد ساكس مندهام يعطينا النقود لنتوقف عن الشرب — لنسلبه عمله .

كاسنز : (بخبث) تضحية خالصة من جانب بوجر ! الأمر واضح ! باركك الله يا عزيزي بوجر ! (تكاد بارباره تتخلى عن ضبط أعصابها حين يتركها ادولفوس أيضاً .)

اندرشافت: (يفصل الصك من الدفتر ويضع الدفتر في جيبه وينهض ويذهب خلف كاسنز الى مسز بينز) انا ايضاً يامسز بينز قد أدعي بشيء من الايثار. فكري في عملي ! فكري في الارامل واليتامى ! الرجال والاطفال الممزقون أشلاء بالشظايا والمسممون بالبارود ! (تنكمش مسز بينز ، ولكنه يستمر بلا وازع) بحار الدم ، التي لا تسفك قطرة واحدة منها من أجل قضية عادلة حقاً ! المحاصيل المتلفة ! الفلاحون المسالمون ، رجالا ونساء ، يضطرون الى حرث حقولهم تحت نار الجيوش المعادية بسبب الجوع ! الدم الشرير الذي يجري في عروق الجبناء الصغار في داخل البلاد الذين يحرضون الاخرين على القتال من أجل ارضاء غرورهم الوطني ! كل هذا يصنع لي المال : لا يمكنني ان اكون اكثر غنى وانشغالاً الا حين تمتلىء الصحف بذلك . حسناً ، ان عملك هو أن تعظي بالسلام على الارض وحسن النية للبشر (يضيء وجه مسز بينز مرة اخرى) . كل مؤمن جديد تحصلين عليه هو صوت ضد الحرب . (ترتجف شفتاها صلاة .) ومع ذلك فأنا أعطيك هذا المال لاساعدك على الاسراع في تدمير اقتصادياتي وتجارتي .
(يعطيها الصك .)

كاسنز : (يرتقي المصطبة ، في حالة خبيثة من النشوة) سيفتح الرجلان الكريمان اندرشافت وبوجر خلاص البشرية . أوه ، اغتبطوا !
(يتناول مضربي الطبل من جيبه ويلوح بهما .)

مسز بينز : (تأخذ الصك) كلما عشت طويلا رأيت برهاناً على أن هنالك خيراً لا حد له يحول كل شيء الى اعمال الخلاص ان عاجلا او آجلا . من كان يظن أن الخير سيأتي من الحرب والشراب ؟ ومع ذلك فها هي أرباحها تحضر اليوم على أقدام الخلاص لتؤدي عملها المبارك
(تنبثق من عينيها الدموع .)

جيني : (تهرع الى مسز بينز وتلقي بساعديها حولها) أوه يا عزيزتي ! كم

كان ذلك مباركاً ومجيداً !

كاسنز : (برعدة من السخرية) هيا نغتنم هذه الفرصة النادرة . هيــا نشرع في المسيرة الى الاجتماع الكبــير في الحال . اسمحوا لي لحظة واحدة فقط . (يندفع الى داخل الملجأ . تأخذ جيني الطمبور من رأس الطبل) .

مسز بينز : هل رأيت يا مستر اندرشافت ألف شخص يركعون على ركبهم بدافع واحد ويصلون ؟ تعال معنا الى الاجتماع . ستقول لهم باربارة ان الجيش قد أنقذ ، وأنه أُنقذ بواسطتك .

كاسنز : عائداً بحماسة من الملجأ وهو يحمل علمــاً وطمبوراً ، ويقف بين مسز بينز واندرشافت) ستحملين العلم في الشارع الاول يا مسز بينز (يعطيها العلم) . مستر اندرشافت موهوب في عزف الطمبور انه سيعزف لمسيرة ويست هام لجيش الخلاص . (الى اندرشافت ، في ناحية ، بينما يفرض عليه الطمبور) اعزف يا مكيافيللي ، اعزف .

اندرشافت : (الى كاسنز ، في ناحية ، بينما يأخــذ الطمبور) البوق في السماء ! (يهرع كاسنز الى الطبل فيأخذه ويعلقه على كتفه . يستمر اندرشافت ، عالياً) سأفعل ما في وسعي . يمكنني أن أعزف لحناً واطئاً لو عرفت النغم .

كاسنز : انه من الحان الكورس الخاصة بالعرس في احدى اوبرات دونيزتي ، ولكننا غيرناه . اننا نغير كل شيء هنا الى خير ، حتى بوجر . تذكر الكورس . من اجلـك اعظم الابتهـاج - اعظم الغبطة - اعظم الغبطة . (محدثاً صوت النغم بالطبل) رم تم تي تم تم ، تم تم تي تا .

باربارة : دولي : انك تحطم قلبي .

كاسنز : وما هو القلب المحطم هنا ؟ لقد هبط ديونيسوس اندرشافت . انني مسحور .

مسز بينز : هيا يا باربارة : يجب ان تكون الميجر العزيزة معي لتحمل العلم .

جيني : اجل ، اجل يا عزيزتي الميجر .

كاسنز : (يأخذ الطمبور من يد جيني ويقدمه في صمت الى باربارة) .

باربارة : (تتقدم قليلا الى الامام بعد ان تحول يده جانباً وهي ترتعد ، بينما يعيد كاسنز الطمبور الى جيني بلا اكتراث ويذهب الى البوابة) لا استطيع ان آتي .

جيني : لا تأتين !

مسز بينز : (في عينيها الدموع) باربارة : اتظنين انني مخطئة بأخذي النقود ؟

باربارة : (تذهب اليها باندفاع وتقبلها) كلا ، كلا ، ليعاونك الله يا عزيزتي . يجب ان تفعلي ذلك : انك تنقذين الجيش . اذهبي ، وليكن لك اجتماع عظيم !

جيني : ولكن ، ألن تأتي ؟

باربارة : كلا . (تبدأ برفع البروش الفضي خ من ياقتها .)

مسز بينز : باربارة ، ماذا تفعلين ؟

جيني : لماذا تخلعين شعارك ؟ لايمكنك أن تتركينا ياميجر .

باربارة : (بهدوء) أبي : تعال هنا .

اندرشافت . (يأتي اليها) ياعزيزتي ! (يرى انها تريد ان تضع الشعار على ياقته فينسحب الى السقيفة مذعوراً)

بارباره : (تتبعه) لا تخف. (تضع الشمار وتعود الى المنضدة معه وتريه الى الاخرين) ها هو ! ليس هذا كثيراً على خمسة آلاف جنيه . أليس كذلك ؟

مسز بينز : بارباره ، اذا لم تأتي وتصلي معنـــا فعديني بأنك سوف تصلين لنا .

بارباره : لا استطيع ان أصلي بعد . ربما لن أصلي في المستقبل أبداً .

مسز بينز : بارباره !

جيني : ميجر !

بارباره : (تكاد تكون حالمة) لا استطيع ان احتمل المزيد . هيا سيروا !

كاسنز : (منادياً الموكب في الشارع خارجاً) هيا. اعزفوا ! أعظم الغبطة! (يضبط الايقاع بالطبل ويعزف الجوق لحن المسيرة الذي يبتعد شيئاً فشيئاً كلما ابتعد الموكب) .

مسز بينز : يجب أن اذهب يا عزيزتي . انك متعبة : ستكونين في حـــال أفضل غداً . لن نفقدك أبداً . والان ، جيني : هيـــا واحملي العلم القديم . الدم والنار . (تسير خارجة عبر البوابة مع علمها .)

جيني : المجد للمسيح ! (تلوح بطمبورها وتسير) .

اندرشافت : (الى كاسنز ، بينما يسير عابراً اياه ، مخففـاً من وقع اللحن) « نقودي وابنتي » !

كاسنز : (يتبعه خارجاً) المال والبارود !

بارباره : السكر والقتل ! يا الهي : لماذا تخليت عني ؟
(تجلس على المصطبة وتدفن وجهها بين راحتيها . يمر الموكب بعيداً حتى ينقطع الصوت . يقترب بل ووكر منها .)

بل : (لائماً) ما هو ثمن الخلاص الان ؟

شيرلي : لا تنتقم منها وهي في هذا الانكسار .

بل : لقد انتقمت مني حين كنت مكسور الخاطر ، فلماذا لا أنتقم منها ؟

بارباره : (رافعة يدها) لم آخذ نقودك يا بل (تعبر الساحة الى البوابة وتدير وجهها عن الرجلين لتخفي نفسها عنهما) .

بل : (ساخراً وراءها) والان ، لم يكفك ذلك . (يلتفت الى مكان الطبل فلا يجد القطعة الذهبية) ايللو ! اذا لم تأخذيها انت فلا بد أن أحداً آخر أخذها . اين اختفت ؟ لا بد أن جيني هل أخذتها !

رومي : (تصرخ من الغرفة العليا) انت تكذب ايها القذر المحتال ! لقد اخذها سنوبي برايس من الطبل حين أخذ قبعته . لقد كنت هنا طول الوقت ورأيته يأخذها .

بل : ماذا ؟ سرق نقودي ؟ لماذا لم تصرخي بأنه لص ؟ ايتها الحمقاء العجوز؟

رومي : جزاء لك لانك ضربتني على وجهي . لقد كلفك ذلك جنيهاً . (تهتف بصوت منتصر) لقد غلبتك . نحن الآن متعادلان . لقد نلت جزاءك — (يختطف بل قدح شيرلي ويضربها به . تغلق باب الغرفة العليا وتختفي . يتحطم القدح على الباب ويسقط قطعاً .)

بل : (يبدأ بالضحك) قل لي أيها العجوز ، كم كانت الساعة صباحاً حين تم خلاص هذا الذي يسمونه سنوبي برايس ؟

بارباره : (تلتفت اليه بهدوء اكثر ، وبعذوبة تامة) حوالي الساعة الثانية عشرة والنصف يا بل . وسرق جنيهك في الساعة الثانية الا ربعاً . انني اعرف . حسناً ، لا يمكنك ان تفقده . سأرسله اليك .

بل : (يتحسن صوته ولهجته فجأة) كلا ، حتى اذا مت من الجوع . انني لا أباع !

شيرلي : لا تباع ؟ انك تبيع نفسك للشيطان مقابل قدح من البيرة . ولكن ليس هنالك شيطان يعرض عليك ذلك .

بل : (غير خجل) أجل سافعل يا زميلي وكثيراً ما فعلت ذلك بغبطـــة . والكنها لا تستطيع أن تشتريني . (يقترب من بارباره) لقد أردت روحي ، اليس كذلك ؟ حسناً ، لن تحصلي عليها .

بارباره : لقد كدت ان احصل عليها يا بل . ولكننا بعناها لك لقاء عشرة آلاف جنيه .

شيرلي : وكان ذلك المال اكثر من ثمنها .

بارباره : كلا يا شيرلي . كانت تستحق اكثر من المال .

بـل : (ضد الخلاص) لا جدوى : لا يمكنك أن تلتفي حولي الآن . انني لا أصدق ذلك وقد رأيت اليوم انني كنت على حق . (يذهب) وداعاً ايها الشحاذ ! تا ، تا ، ميجر حفيدة الايرل (يدور عنـــد البوابة) كم هو سعر الخلاص الآن ؟ سنوبي برايس ! ها ! ها !

بارباره : (تقدم يدها) وداعاً يا بل .

بل : (مندهشاً ، يكاد يرفع قبعته ، ثم يضعها على رأسه مرة أخرى بتحد) كفى . (بارباره تترك يدها وهي تفقد شجاعتها . في صوته شيء من الندم) ولكن ، لابأس ، كما تعرفين . لاشيء يخص شخصاً بالذات . لاحقد . وداعاً ياجودي [1] (يذهب)

بارباره : لاحقد . وداعاً يابل .

شيرلي : (يهز رأسه) انك تحترمينه ببراءتك اكثر مما يستحقه يا آنسة .

بارباره : (تذهب نحوه) ببتر : انني مثلك الآن. مفصولة . فقدت عملي .

---

(١) جودي بالعامية الانكليزية كلمة سيئة تطلق على فتاة لا تكترث للأخلاق .

شيرلي : لديك الشباب . هذا أفضل مني .

بارباره : سأحصل لك على عمل يا بيتر . هذا أمل لك : الشباب يكفيني. (تعد نقودها) لدي ما يكفي لنشرب قدحين من الشـــاي في لوكهارتس ، ولتقضي ليلتـــك في رواتن ولأعود الى البيت بالترام والباص . (يعبس وينهض بكبرياء مستاءة . تأخذ ذراعه) . لا تكن مزهواً ، يا بيتر : انه اشتراك بين أصدقـــاء . عدني بأنك ستتحدث معي ولن تتركني أبـكي . (تسحبه نحو البوابة) .

شيرلي : حسناً ، لم اعتد التحدث مع امثالك .

بارباره : (بالحاح) أجل ، أجل . عليك ان تتحدث معي . حدثني عن كتب توم بين ومحاضرات برادلو . هيا .

شيرلي : آه ، لو كنت فقـــط تقرئين توم بين قراءة صحيحة يا آنسة ! (يخرجان من البوابة معاً) .

الفصل الثالث

« في اليوم التالي بعد الغداء ، ليدي بريتومارت تكتب في المكتبة في ولتن كريسنت . ساره تقرأ على المقعد قرب النافذة . بارباره ، في ثياب اعتيادية انيقة ، شاحبة متأملة ، تجلس على المقعد الطويل . يدخل تشارلز لوماكس . يندهش لرؤية باربارة في تلك الثياب وبتلك الكآبة . »

لوماكس : لقد خلعت بذلتك الرسمية !

(باربارة لا تجيب ، ولكن يلوح على وجهها تعبير عن الألم .)

ليدي بريتومارت : (محذرة اياه بلهجة خفيفة ليكون حذراً في اقواله) تشارلز !

لوماكس : (يهتم اهتماماً كبيراً ويأتي خلف المقعد الطويل . وينحني بعطف فوق باربارة) انني لشديد الأسف يا باربارة . انت تعرفين انني ساعدتك بكل شيء ، بالاكورديون وغيره . (باهتمام) ومع ذلك فانني لم أنس أن هنالك بعض السخف بشأن جيش الخلاص . والآن فان كل ما تقوله كنيسة انكلترة هو —

ليدي بريتومارت : يكفي يا تشارلز . تحدث عن شيء يناسب قابلياتك العقلية .

لوماكس : ولكن الكنيسة الانكليزية هي حقاً مناسبة لكل عقلياتنا .

بارباره : (تضغط على يده) شكراً على مجاملتك لي يا جولي . والآن اذهب وداعب ساره .

لوماكس : (يسحب كرسياً من منضدة الكتابة ويجلس في حنان قرب ساره) كيف حال عزيزتي اليوم ؟

ساره : وددت لو لم تطلبي من جولي ان يفعل الاشياء يا بارباره . انه يفعل هذه الاشياء بنفسه دائماً . جولي : سنذهب الى المصنع هذا العصر .

لوماكس : أي مصنع ؟

ساره : مصنع الاسلحة .

لوماكس : ماذا ؟ مصنع والدك ؟

ساره : أجل .

لوماكس : أوه ، أقول !

(يدخل كاسنز في حالة بائسة . هو أيضاً يندهش بوضوح حين يرى بارباره بدون بذلتها الرسمية .

بارباره : لقد توقعتك في هذا الصباح يا دولي ، ألم تخمن ذلك ؟

كاسنز : (يجلس بجانبها) انني آسف . لقد تناولت افطاري الان فقط .

ساره : ولكننا تناولنا طعام الغداء الان .

بارباره : هل كانت ليلتك سيئة ؟

كاسنز : كلا : بل كانت ليلة ممتازة : بل من أبدع الليالي التي قضيتها في حياتي .

بارباره : الاجتماع ؟

كاسنز : كلا ، بعد الاجتماع .

ليدي بريتومارت : كان عليك ان تذهب الى فراشك بعد الاجتماع . ماذا كنت تفعل ؟

كاسنز : أشرب .

ليدي بريتومارت : [1] أدولفوس !
ساره : دولي !
بارباره : دولي !
لوماكس : أوه ، أقول !.

ليدي بريتومارت : هل لي أن أسأل ماذا كنت تشرب ؟

كاسنز : أسوأ أنواع البرغندي الاسباني ، الخالي من الكحول : بل انه برغندي الهياج . ان غناه بالكحول الطبيعي جعله لايحتاج الى اضافة أي كحول .

بارباره :أتمزح يادولي ؟

كاسنز : (بصبر) كلا . كنت احتفل مع الرئيس الاسمي لهذا البيت ، هذا هو كل مافي الأمر .

ليدي بريتومارت : لقد أسكرك أندرو !

كاسنز :كلا. لقد قدم الخمر فقط . اعتقد ان ديونيسوس هو الذي أسكرني . (الى بارباره) قلت لك انني كنت مسحوراً .

ليدي بريتومارت : انك لم تصح حتى الآن . اذهب الى البيت ونم في الحال.

كاسنز : لم أحاول من قبل أن ألومك ياليدي بريت ، ولكن كيف تتزوجين أمير الظلام ؟

ليدي بريتومارت : لقد كان الزواج منه أسهـل من السكر معه . فهذا هو من

(١) تعني الاقواس أن الجميع ينطقون ، كل بعبارته ، في وقت واحد .

فضائل أندرو الجديدة ! لم يكن يشرب قبل هذا .

كاسنز : لم يشرب . لقد جلس فقط واكمل تهديم أساسي الخلقي وتدمير معتقداتي وشراء روحي . انه يهتم بـــك ياباربارة . هذا مايجعله خطراً علي .

باربارة : ليس لهذا دخل في هذا الأمر يادولي. هنالك انواع من الحب اوسع واشد قدسية من الحب بجانب الموقد . أنت تعرف ذلك ، أليس كذلك ؟

كاسنز : أجل ، هذا هو مانفهمه عنه ، انني أعرف ذلك واتمسك به . وما لم يفز بي على ذلك الاساس المقدس فانه سيمتعني فترة، ولكنه لايستطيع أن يتغلب علي باكثر من ذلك مهما بلغت قوته .

باربارة : تمسك بذلك وستكون النهاية صالحة . والآن اخبرني ، ماذا حدث في الاجتماع ؟

كاسنز : كان اجتماعاً مدهشاً . كادت مسز بينز أن تموت من شدة الانفعال . وكانت جيني هل تتمتع بهستيرية . كان أمير الظلام يعزف نافخاً بالبوق المتوسط كالمجنون : كانت زمجرة البوق الصفيقة تشبه ضحكات الملعونين . وآمن في تلك اللحظة مائة وسبعة عشر ! لقد صلوا باشد الاخلاص والشكر لبوجر وللمتبرع المجهول الذي قدم خمسة آلاف جنيه . لم يوافق والدك على ذكر اسمه .

لوماكس : كان هذ جميلاً من الرجل العجوز كما تعرف . كان الآخرون سيفضلون الاعلان عن أنفسهم .

: قال ان كل المؤسسات الخيرية ستنقض عليه انقضاضاً كالغربان على ساحات المعارك لو أنه ذكر اسمه .

ليدي بريتومارت : هذا هو اندرو بالضبط . انه لا يفعل شيئاً صالحاً الا اذا اعطى له سبباً غير صالح .

كاسنز : لقد اقنعني بانني كنت طيلة حياتي أفعل اشياء غـــير صالحة لاسباب صالحة .

ليدي بريتومارت : ادولفوس : ما دامت باربارة قد تركت جيش الخلاص فعليك أن تتركه أنت ايضاً . لا أريد أن أراك تضرب على ذلك الطبل في الشوارع .

كاسنز : أوامرك مطاعة مقدماً يا ليدي بريت .

باربارة : دولي ، الم تكن جاداً بشأن ذلك قط ؟ هل كنت ستنضم لو أنك لم ترني ؟

كاسنز : (بغباء) حسناً ، أ .. ، حسناً ، ربما ، كهاو لجمع الأديان .

لوماكس : (بحذق) وليس كضارب للطبل ، كما تعرف ! انك لفتى ذكي يا دولي ، ولا بد أنه قد ظهر لك انه كان في الأمر سخف كثير بشأن جيش الخلاص .

ليدي بريتومارت : تشارلز : اذا كان لا بد لـك أن تهذر فاهذر على الأقل كما يفعل الكبار ، وليس كما يفعل تلاميذ المدارس .

لوماكس : (عابساً) حسنـــاً ، الهذر هو هـــذر سواء قاله الكبار أو الصغار كما تعلمين .

ليدي بريتومارت : في المجتمعات الممتازة في انكلترة يا تشارلز يهذر الناس ، من مختلف الأعمار ، بان يكرروا قواعد حمقاء وكأنهم يتحدثون بالحكم . أما تلاميذ المدارس فانهم يؤلفون قواعد خاصة بهم من كلام الشوارع ، مثلك . وحين يصلون الى عمرك ويحصلون على مناصب سكرتارية سياسية أو غير ذلـــك فانهم يتخلون عن كلام الشوارع ويصوغون قواعدهم من مجلة سبكتيتر وصحيفة التايمس . الأفضل لك هو أن تلتزم بصحيفة التايمس . ستجد أن هنالك كثيراً من السخف

في التايمس ، ولكن لغتها محترمة على الأقل .

لوماكس : (مدحوراً) انك لشديدة جداً يا ليدي بريت .

ليدي بريتومارت : هراء ! (يدخل موريسن) ماذا ؟

موريسن : لو سمحت يا سيدتي . لقد وصـــل مستر اندرشافت وهو الان بالباب .

ليدي بريتومارت : حسناً ، أدخله . (يتردد موريسن) ماذا بك ؟

موريسن : هل أعلن عن قدومه ، أم أنه في بيته يا سيدتي ؟

ليدي بريتومارت : أعلن عن قدومه .

موريسن : شكراً يا سيدتي . اسمحي لي اذا كنت قد سألتك . ان هذه المناسبة جديدة علي .

ليدي بريتومارت : صحيـح . اذهب وادخله .

موريسن : شكراً يا سيدتي . (ينسحب)

ليدي بريتومارت : ايها الأطفال . اذهبوا واستعدوا . (تصعـــد ساره وباربارة الى فوق لتحضرا ردائي الخروج) . تشارلز : اذهب وقل لستيفن ان يحضر هنـــا خلال خمس دقائق : ستجده في غرفة الاستقبال . (تشارلز يذهب) أدولفوس : قل لهم أن يرسلوا العربة خلال خمس عشرة دقيقة . (يذهب أدولفوس) .

موريسن : (بالباب) مستر اندرشافت .

(يدخل اندرشافت ، ويذهب موريسن) .

اندرشافت : وحيدة ! يا لحسن الحظ !

ليدي بريتومارت : (تنهض) لا تكن عاطفياً يا أندرو . أجلس . (تجلس على المقعد الطويل : يجلس بجانبها ، الى اليسار . تتحدث قبل أن

يستطيع أن يفعل أي شيء آخر) يجب أن تحصل ساره على ثمانمائة جنيه في العام حتى يحصل تشارلز لوماكس على أملاكه . ستحتاج باربارة الى اكثر من ذلك ، وبصورة دائمة ، لأن أدولفوس لا يملك شيئاً .

اندرشافت : (باستسلام) أجل يا عزيزتي : سأنظر في ذلك . اي شيء آخر ؟ لنفسك ، مثلاً ؟

ليدي بريتومارت : أود أن احدثك عن ستيفن .

اندرشافت : (متعباً) كلا ، يا عزيزتي . انني لست مهتماً بستيفن .

ليدي بريتومارت : انه يهمني انا . انه إبننا .

اندرشافت : أتظنين ذلك حقاً ؟ لقد دفعنا الى ان نأتي به الى العالم . ولكنه اختار والديه بصورة سيئة . لست أرى شيئاً مني فيه ، وليس فيه منك الا القليل كما اظن .

ليدي بريتومارت : اندرو : ان ستيفن ولد ممتاز . انه أمين ، قادر ، ذكي . ولكنك ببساطة تحاول أن تجد عذراً لحرمانه من الارث .

اندرشافت : عزيزتي بدي ، ان تقاليد اندرشافت هي التي تتخلى عنه . انه ليعتبر خيانة مني ان اترك له صناعة الاسلحة .

ليدي بريتومارت : بل انه لشذوذ وخطأ منك ان تترك المصنع لغيره يا أندرو . أتعتقد أن هذا التقليد الشرير السيء سيظل الى الأبد ؟ أتريد أن تدعي بأن ستيفن لا يستطيع أن يقوم بأعمال المصنع تماماً كما يفعل ابناء البيوتات الصناعية الكبيرة :

اندرشافت : أجل . قد يتعلم روتين الدائرة ، ولكنه لا يستطيع أن يتعلم العمل نفسه وستستمر المؤسسة على وتيرة واحدة الى أن يخترع اندرشافت الحقيقي — الذي قد يكون ايطالياً أو ألمانياً — طريقة

جديدة ، وبذلك يقضي عليها .

ليدي بريتومارت : ليس هنالك شيء مما يمكن ان يفعله الايطالي أو الالماني ولا يستطيع ان يفعله ستيفن . ثم ان ستيفن قــد حصل على تربية ، وله أصل .

اندرشافت : ابن لقيط ! هراء !

ليدي بريتومارت : ابني يا اندرو ! وربمـا كان فيك دم صالح دون ان تعرف .

اندرشافت : صحيح . ربما يكون الامر كذلك . تلك هي مسألة اخرى في صالح اللقيط .

ليدي بريتومارت : اندرو : لا تؤلمني . ولا تكن شريراً . في الوقت الحاضر انت تفعل الاثنين .

اندرشافت : هذا الحديث هو جزء من تقليد اندرشافت يا بدي . كل زوجة من زوجات آل اندرشافت كانت تعاني من ذلك منذ أن تم تأسيس البيت . كلهن يحاولن تغيير ذلك ، ولكن ذلك المجهود يذهب سدى ، واذا حدث أن تغير التقليد فانما يكون ذلك من أجل من هو أفضل من ستيفن .

ليدي بريتومارت : (بانفعال) اذهب اذن !

اندرشافت : (لائماً) أذهب !

ليدي بريتومارت : اجل اذهب.اذهب الى لقيطك، مهما يكن. ابحث عنه.

اندرشافت : الحقيقة يابدي .

ليدي بريتومارت : لاتدعني بدي . انني لاأدعوك أندي .

اندرشافت : ولكنني لن ادعو زوجتي بريتومارت: فليس فيذلك أي ذوق .

اني جاد ياحبيبتي : فتقليد اندرشافت قد تركني في حيرة . لقد كبرت وتقدم بي العمر ، وقد وقف شريكي لازاروس في وجهي مصمماً على اننا يجب أن نعين الوريث بأية طريقة ، وهو محق في ذلك بالطبع . ولكنني لم اعثر على خلف صالح بعد .

ليدي بريتومارت : (بعناد) ستيفن .

اندرشافت : كل اللقطاء الذين عثرت عليهم يشبهون ستيفن بالضبط .

ليدي بريتومارت : أندرو !

اندرشافت : أريد رجلاً ليس له اقرباء ولاتربية مدرسية ، رجلاً لايدخل امرأ الا وكان فيه هو الأقوى . ولكنني لااستطيع أن أجده . فكل لقيط مبارك في هذه الايام يقع في قبضة بيوت بارناردو أو موظفي مدارس الايتام منذ طفولته ، أو في عهدة مجلس الاوصياء ، واذا اظهر اقل علامة على المقدرة فان اساتذة المدارس يربطونه ويعلمونه كيف يفوز بالزمالات المدرسية كالحصان ، ويحشونه بالافكار التافهة ، ويمرنونه ويدربونه على الطاعة أو ما يسمونه الذوق الصالح، ويجعلونه كسيحاً طول حياته بحيث لا يكون قادراً على شيء غير التدريس . اذا اردت ان تحتفظي بالمصنع في هذه الأسرة فعليك أن تبحثي عن لقيط صالح لباربارة ليتزوجها .

ليدي بريتومارت : آه ! باربارة ! مدللتك ! تريد أن تضحي بستيفن من أجل باربارة !

اندرشافت : بكل سرور . وانت يا عزيزتي يسرك ان تغلي باربارة لتصنعي حساءً لستيفن .

ليدي بريتومارت : اندرو : ليس هذا من الأمور التي نريدها أو لا نريدها : انها مسألة واجب . ان واجبك هو ان تجعل من ستيفن خليفة لك .

اندرشافت : بالضبط كما هو واجبك ان تخضعي لزوجك . هيا يا بدي ، ان هذه الخدع التي تتذرع بها الطبقة الحاكمة لا تجوز علي ! ومن تضييع الوقت أن تحاولي ان تعطي مبشراً . اني لي الغلبة في هذه المسألة ، ولن تخدعيني لـكي استعملها من أجل اهدافك .

ليدي بريتومارت : اندرو ، يمكنـــك ان تتحدث حتى ينخلع رأسي ، ولكنك لا تستطيــع أن تجعل الخطأ شيئاً صحيحاً . كما أن ربطة عنقك مائلة ، ضعها في وضع معتدل .

اندرشافت : (غير مكترث) لن تعتدل الا اذا وضعت فيها دبوساً .(ينظر اليها نظرات صبيانية ويمد يديه اليها ليداعبها)
(يدخل ستيفن) .

ستيفن : (بالباب) المعذره ! (يريد أن يعود) .

ليدي بريتومارت : كلا : تعال يا ستيفن . (يدخل ستيفن متجهـــاً نحو منضدة كتابة أمه) .

اندرشافت : (ليس بلا ود) مساء الخير .

ستيفن : (ببرود) مساء الخير .

اندرشافت : (الى ليدي بريتومارت) انه يعرف كل شيء عن التقليـــد فيما أظن !

ليدي بريتومارت : أجل . (الى ستيفن) انه الموضوع الذي اخبرتك عنه ليلة أمس يا ستيفن .

اندرشافت : (باكتئاب) لقد علمت انك تريد ان تدخل صناعة الاسلحة .

ستيفن : أنا اشتغل بالتجارة ؟ كلا بالتأكيد !

اندرشافت : (يفتح عينيه وهو يشعر بارتياح في ذهنه وفي تصرفه) أوه !

في هذه الحالة –

ليدي بريتومارت : صناعة الاسلحة ليست تجارة يا ستيفن . انهـا مشروع صناعي .

ستيفن : لا أنوي أن اكون رجل أعمال بأي معنى . ليست لدي القابليـة لذلك ولا أميل اليه . أريد أن اكرس نفسي للسياسة .

اندشارفت : (ينهض) يا عزيزي الصبي : ان هذا ليسرني جداً ، كما أن هذا سيكون في صالح البلاد . كنت أخشى أن تشعر بالاهانة والالم .
(يتحرك نحو ستيفن وكأنه يريد أن يصافحه .)

ليدي بريتومارت : (تقف مقاطعة) ستيفن : لا أسمح لك بأن تتخلى عن ثروة هائلة كهذه .

ستيفن : (بصلابة) أماه : لا بد أن تضعي حداً لمعاملتي كطفل لو سمحت .
(تنكمش ليدي بريتومارت ، بعد أن جرحتها لهجته بعمق) الى حد ليلة الأمس لم اكن اكترث لموقفك ، لانني لم اكن اعتقد انك كنت جادة فيه . ولكنني أجد الآن أنك لم تطلعيني على أمور كان عليك أن تشرحيها لي قبل سنوات . انني متألم وحزين جداً . كل بحث آخر عن نواياي يجب أن يكون مع والدي ، بين رجل ورجل .

ليدي بريتومارت : ستيفن ! (تجلس ثانية ، وتمتلىء عيناها بالدموع) .

اندرشافت : (بعطف شديد) أترين يا عزيزتي ؟ الرجال الكبـار فقط هم الذين يلقون معاملة الاطفال وحدهم .

ستيفن : انني آسف يا أماه ، ولكنك دفعتني الى ذلك .

اندرشافت : (توقفه) أجل ، أجل ، أجل ، أجل : هذا يكفي ياستيفن.
لن تتدخل في شؤونك بعد الآن : لقد ظفرت باستقلالك : لقـد

ظفرت بمفتاح نفسك . لا تعتذر . (يعود الى مقعده) . والآن ماذا عن مستقبلك ، لنبحث ذلك بحث رجلين – المعذرة يا بدي ، بحث رجلين وامرأة .

ليدي بريتومارت : (التي استعادت زمام نفسها بقوة) انني أفهم تماماً يا ستيفن . اتبع طريقك اذا كنت تشعر بالقوة الكافية . (يجلس ستيفن بوقار الى منضدة الكتابة وهو يبدي العزم والقوة) .

اندرشافت : لقد استقر الرأي على أنك لن تخلفني في صناعة المدافع .

ستيفن : ارجو أن نكون قد اتفقنا على انني استنكر صناعة الاسلحة .

اندرشافت : هيا هيا ! لا تكن كئيباً هكذا : ان هذا صبياني . يجب ان تكون الحرية كريمة ، فضلاً عن انني مدين لك بان احقق لك بداية عادلة في الحياة مقابل حرمانك من الارث . انت لا تستطيع أن تكون رئيس الوزراء الآن . ألديك أي ميل الى شيء معين ؟ مـاذا عن الادب او الفن وما شابه ؟

ستيفن : ليس لدي شيء من ميزات الفنان ، لا في الانتاج ولا في الشخصية ، واشكر الله على ذلك !

اندرشافت : ربما أنت فيلسوف ، ايه ؟

ستيفن : لا ادعي بذلك الادعاء المضحك .

اندرشافت : حسناً . هنالك الجيش ، البحرية ، الكنيسة ، المحـاماة . المحاماة تحتاج الى بعض القابلية . ماذا عن المحاماة ؟

ستيفن : لم أدرس القانون . ثم ، ليس لدي الدافع الضروري ولا الشجاعـة الادبية . اعتقد ان هذا هو ما يطلقه المحامون على صنعتهم ، من أجل النجاح في الاستعطاف .

اندرشافت : انها لمسألة صعبة يا ستيفن . لم يبق هنالك شيء غير المسرح ،

اليس كذلك ؟ (يتحرك ستيفن بصبرنافد) حسناً ، هيا ، هل هنالك شيء تعرفه أو تكترث له ؟

ستيفن : (ينهض وينظر اليه بثبات) أعرف الفرق بين الصحيح والخطأ .

اندرشافت : (متضايقاً) انك لا تقول ذلك ! ماذا ؟ لا قابلية على العمل ، لا معرفة للقانون ، لا مشاعر فنية ، لا ادعاء بالفلسفة ، فقط معرفة بسيطة للسر الذي حير كل الفلاسفة والمحامين ورجال الاعمال ودمر معظم الفنانين : سر الصحيح والخطأ . لماذا ايها الرجل ؟ انك لنابغة ، إله ! في الرابعة والعشرين فقط !

ستيفن : (يحتفظ بهدوئه بصعوبة) يسرك أن تكون منكتاً . انني لا أدعي بشيء أكثر مما يدعيه أي سيد انكليزي مهذب بموجب حق مولده . (يجلس بغضب) .

اندرشافت : أوه ! هذا هو حق كل انسان . انظر الى جيني هل المسكينة ، فتاة جيش الخلاص ! ستعتقد انك تضحك منها لو قلت لها ان تدرس القواعد او الجغرافية أو الحساب أو حتى الرقص ، ولكنها لن تشك قط في انها تستطيع أن تدرس الاخلاق والدين . كلكم متشابهون ، ايها الناس المهذبون المحترمون . انتم لا تستطيعون أن تخبروني بمقدار انطلاق مدفع من عيار عشر بوصات ، الذي هو أمر بسيط جداً ، ولكنكم جميعاً تعتقدون بانكم تستطيعون أن تخبروني بمقدار انطلاق رجل يقع تحت الاغراء . انتم لا تستطيعون أن تمسكوا المتفجرات الشديدة ، ولكنكم جميعاً مستعدون ان تعبثوا بالامانة والحقيقة والعدالة وكل واجبات الانسان ، وتقتلوا بعضكم بعضاً في اللعبة . أي بلد ! أي عالم !

ليدي بريتومارت : (بقلق) ماذا تظن ان عليه أن يفعل يا اندرو ؟

اندرشافت : أوه ، فقط ما يريد أن يفعله . انه لا يعرف شيئاً وهو يعتقد

أنه يعرف كل شيء . وهذا يشير الى حرفة السياسة بالضبط . احصلي له على منصب سكرتارية لشخص يستطيع أن يعينه سكرتيراً ثانياً ثم اتركيه وحده . سيجد مكانه المناسب والطبيعي في النهاية في منصة الخزانة .

ستيفن : (ينهض ثانية) انني آسف يا سيدي لأنك تضطرني الى نسيان احترامي لك باعتبارك والدي . انني انكليزي ولا أود أن اسمع اهانة موجهة الى حكومة بلادي . (يمد يديه في جيوبه ويسير بغضب نحو النافذة) .

اندرشافت : (بشيء من الوحشية) حكومة بلادك ! أنا حكومة بلادك ! أنا ولازاروس . اتظن انك انت وستة من الهواة امثالك ممن يجلسون في مكان الثرثرة ذاك ، تستطيعون ان تتحكموا في اندرشافت ولازاروس ؟ كلا ، يا صديقي : ستفعل ما يعود علينا بالربح . ستعلن الحرب حين يناسبنا ذلك ، وتحتفظ بالسلام حين لا تناسبنا الحرب . ستجد ان التجارة تتطلب بعض الاجراءات حين نكون قد قررنا هذه الاجراءات . وحين احتاج الى شيء للاحتفاظ بارباحي أو لزيادتها ستكتشف ان حاجتي هي حاجة وطنية . وحين يريد آخرون أن يفعلوا شيئاً لتقليل ارباحي فانك ستدعو البوليس والجيش . ومقابل ذلك سيكون لك تأييد وعضد صحفي ، وسيكون لك الاعتقاد بأنك سياسي عظيم . حكومة بلادك ! امض يا بني والعب بلجانك السياسية ومقالاتك الافتتاحية والحفلات التاريخية والزعماء العظام المسائل الخطيرة ، وبقية اللعب . سأعود الى أموالي لادفع ثمن العازفين .

ستيفن : (يبتسم حقاً ، ويضع يده على كتف والده بتحبب) من الصعب حقاً أن يغضب المرء معك يا أبي العزيز . انت لا تعرف كم يلوح ذلك لي سخيفاً . انك لتفخر باستحقاق بكونك قد اشتغلت بجد وصنعت

ثروتك وانه لأمر في صالحك أن تكون قد جمعت كل هذا المال . ولكن ذلك قد ابقاك في الدوائر التي تنال فيها الاحترام من أجل مالك فقط ، بدلاً من المدرسة العمومية التي هي قديمة الطراز حقاً وليست في محلها الآن ، والتي نشأت فيهـــا وتعلمت عاداتي الذهنية . من الطبيعي بالنسبة لك أن تعتقد أن المال هو الذي يحكم انكلترة ولكن اسمح لي بأن اعتقد بأني أفكر بأفضل من ذلك .

اندرشافت : ما الذي يحكم انكلتره اذن ؟

ستيفن : الشخصية ، يا أبي ، الشخصية .

اندرشافت : شخصية من ، شخصيتك أم شخصيتي ؟

ستيفن : لا شخصيتك ولا شخصيتي يا أبي ، ولكن افضل عناصر الشخصية الانكليزية الوطنية .

اندرشافت : ستيفن ، لقد وجدت لك مهنة . أنت صحفي موهوب . سأبدأ بتأسيس صحيفة أسبوعية شديدة اللهجة من اجلك . ها !
(قبل ان يجيب ستيفن ، تدخل ساره وبارباره ولوماكس وكاسنز بعد أن تأهبوا للخروج . تعبر بارباره الغرفة الى النافذة وتنظر منهـــا . يتهادى كاسنز بلطف نحو المقعد . يظل لوماكس بقرب الباب ، بينما تأتي بارباره الى أمها .) (ستيفن يذهب الى منضدة الكتابة الصغيرة ويشغل نفسه برسائله .)

ساره : اذهبي واستعدي يا أماه . ان العربة تنتظر (تغادر ليدي بريتومارت الغرفة .)

اندرشافت : (الى ساره) نهارك سعيد ياعزيزتي . مساء الخير يا مستر لوماكس .

لوماكس : (بغموض) أهديدو ...!

اندرشافت : (الى كاسنز) هل أنت بخير بعد ليلة الأمس يا يوريبيدس ؟

كاسنز : بأفضل ما يمكن أن يتوقع .

اندرشافت : هذا صحيح . (الى باربارة) وهكذا ستأتين لرؤية مصنع الموت والدمار يا باربارة ؟

باربارة : (عند النافذة) لقد جئت بالأمس لرؤية مصنع الخلاص وقد وعدتك برد الزيارة .

لوماكس : (يتقدم بين ساره واندرشافت) ستجدينه ممتعاً جداً . لقد ذهبت الى معامل الاسلحة في وولويتش . ان ذلك ليعطيك شعوراً بالأمن ، كما تعرفين ، كلما فكرنا في عدد الشحاذين الذين نستطيع ان نقتلهم لو وصل الأمر الى نشوب معركة . (الى اندرشافت ، برصانة مفاجئة) ولكن ذلك لا بد يحمل أفكاراً سيئة الى ذهنك من وجهة نظر الدين . مسألة احتمال الضمير وغير ذلك كما تعرف .

ساره : انك لا تكترث لغباء جولي يا أبي ، أليس كذلك ؟

لوماكس : (دهشاً) أوه ، أقول !

اندرشافت : ان مستر لوماكس ينظر الى الأمر نظرة معقولة يا عزيزتي .

لوماكس : كذلك . هذا هو كل ما عنيته ، ثق .

ساره : هل ستأتي يا ستيفن ؟

ستيفن : حسناً ، انني مشغول — أه — (برقة) أوه حسناً : سآتي . أعني اذا كان هنالك مكان لي .

اندرشافت : أستطيع ان آخذ اثنين معي في سيارة صغيرة أجري عليها بعض التجارب الآن لاستخدامها في الميدان . ما اظنكم تعترضون على قدم طرازها . انها غير مصبوغة ، ولكنها ضد الرصاص .

لوماكس : (فزعاً من فكرة الظهور أمام ولتن كريسنت في سيارة غير مصبوغة) أوه ، أقول !

ساره : العربة لي ، شكراً . ان بارباره لا تمانع في ان تركب ما تشاء .

لوماكس : انت يا دولي ، أيها الفتى العجوز ، هل تمانع حقاً في ركوب السيارة ؟ لانك لوكنت تمانع فانعلي أن اركب أنا فيها . ومعهذا -

كاسنز : انني أفضلها .

لوماكس : شكراً أيها العجوز ، هيا يا عزيزتي . (يهرع خارجاً ليؤمن لنفسه مقعداً في العربة ، تتبعه ساره .)

كاسنز : (بتأمل ، يسير نحو منضدة كتابة الليدي بريتومارت) ترى لماذا سنذهب أنا وأنت الى هذه المصانع الجهنمية ، انني لاتساءل !

بارباره : كنت أراها دائماً حفرة تقع فيها المخلوقات التائهة بوجوهها السوداء تحيط بها السنة اللهب والدخان ، واتصور أبي يعذبها . هل هو الأمر كذلك يا أبي ؟

اندرشافت : (بخيبة) يا عزيزتي ، انها مدينة صغيرة على سفح تل ، ليس فيها ذرة من القذارة ، وهي جميلة أيضاً .

كاسنز : مع أبرشية لأتباع الطريقة ؟ أوه ، قل ان هنالك ابرشية لاتباع الطريقة .

اندرشافت : هنالك اثنتان : واحدة بدائية والأخرى متحذلقة . بل ان هنالك جمعية أخلاقية ، ولكنها لا تجد الرعاية الكافية . ذلك لأن رجالي كلهم متدينون ، كما انهم يرفضون دخول ملحد الى مخازن المفرقعات الشديدة قائلين أن ذلك ليس مأموناً .

كاسنز : ومع ذلك فهم لا يعترضون على وجودك !

بارباره : هل يطيعون كل أوامرك ؟

اندرشافت : انني لا أعطيهم أية أوامر . وحين اتحدث اليهم يكون ذلك هكذا : « حسناً يا جونز هل الطفل في صحة جيدة ؟ » أو : « هل استطاعت مسز جونز أن تشفى بسهولة ؟ » والجواب : « أجل ، شكراً يا سيدي . » وهذا هو كل ما في الأمر .

كاسنز : ولكن جونز يجب ان يطيع النظام . كيف تحتفظ بالضبط بين رجالك؟

اندرشافت : لا أفعل ذلك ، وانما هم يفعلونه . ولكن الشيء الوحيد الذي لا يرضاه جونز هو أي عصيان يقوم به من هو أقل منه مقاماً ، أو أي ادعاء بالمساواة الاجتماعية بين زوجة الرجل الذي يتقاضى ٤ شلنات في الاسبوع أقل منه وبين مسز جونز ! ولكنهم بالطبع يعصونني بأجمعهم ، نظرياً . أما من الناحية العلمية فان كل واحد منهم لا يسمح للرجل الذي تحت يده بأن يتخطى حدوده ، وأنا لا أتدخل في شؤونهم . انني لا اضايقهم . بل انني لا أضايق حتى لازاروس . انني أقول ان بعض الاشياء يجب أن تتم ، ولكنني لا أصدر امراً الى احد بأن يفعل ذلك . ولكنني لا أقول ايضاً بأنه ليست هنالك أوامر ولا غرور ، ولا مضايقة . فالرجال يأمرون الاولاد ويتكبرون عليهم ، وسائقو العربات يتكبرون على الكناسين ، والفنانون يتكبرون على العمال غير الماهرين ، ورؤساء العمال يضايقون العمال والفنانين ، ويتصيد مساعدو المهندسين اخطاء رؤساء العمال ، ويلوم المهندسون مساعديهم ، ويحمل مدراء الاقسام على رؤساء الشعب ، والكتاب يضعون على رؤوسهم القبعات العالية ويحملون كتب التسابيح الدينية ويرفضون ان يكونوا على حد سواء مع أي واحد . والنتيجة ربح كبير يدخل جيبي .

كاسنز : (مشمئزاً) أنت حقاً - حسناً ، ما قلته لك بالأمس .

بارباره : ماذا قال لك أمس ؟

اندرشافت : لا تكترثي له يا عزيزتي . انه يعتقد انني جعلتك شقية . هل

فعلت ذلك حقاً يا عزيزتي ؟

باربارة : اتعتقد انني استطيع ان اكون سعيدة في هذا الثوب العادي التافه ؟ انا ! التي كنت ألبس البذلة الرسمية . أتفهم ماذا فعلت بي؟ كانت في يدي روح رجل بالأمس . لقد حولته عن طريقة حياته تلك الى طريق الخلاص . ولكنه حين رأى أننا أخذنا نقوداً منك عاد الى السكر والضلال ساخراً منا (بايمان مركز) لن اغتفر لك ذلك . لو كان لي طفل ومزقت اشلاءه بمتفجراتك – لو قتلت دولي بمدافعك الرهيبة – كنت سأسامحك لو كان غفراني سيفتح لك باب السماء . ولكن ، أن تأخذ مني روحاً بشرية وتحولها الى روح ذئب ! هذا أسوأ من أي قتل .

اندرشافت : أيشتد اليأس بابنتي بهذه السهولة ؟ اتستطيعين ان تؤثري على رجل في صميم قلبه ثم يذهب بدون ان يكون هنالك اثر فيه ؟

باربارة : أوه ، أنت محق : لن يضيع بعد هذا : وأين ايماني أنا ؟

كاسنز : أوه ، أيها الشيطان البارع الذكي !

باربارة : قد يكون شيطانا ، ولكن الله يتحدث بواسطتك احياناً . (تأخذ يدي ابيها وتقبلها) . لقد وهبتني سعادتي ثانية . انني أشعر بها الان بعمق ، رغم أن روحي قلقة .

اندرشافت : لقد تعلمت شيئاً . وهذا يجعلك تشعرين وكأنك قد أضعت شيئاً .

باربارة : حسناً ، خذني الى مصنع الموت ودعني أتعلم المزيد . لا بد أن تكون هنالك حقيقة ما وراء كل هذه السخرية المريعة . هيا يا دولي . (تخرج) .

كاسنز : يا ملاكي الحارس ! (الى اندرشافت) إغرب ! (يتبع باربارة) .

ستيفن : (بهدوء ، وهو عند منضدة الكتابة) يجب ألا تكترث لـكاسنز يا أبي ، انه فتى لطيف جداً ، ولكنه استاذ للغة اليونانية ومن الطبيعي أن يكون شاذاً قليلاً .

اندورشافت : آه ، كذلك . شكراً يـــا ستيفن . شكراً . (يخرج) .

(يبتسم ستيفن بود ، ويزرر سترته بعناية ويعبر الغرفة الى الباب . تفتح ليدي بريتومارت الباب قبل أن يصلها ، وهي مرتدية ملابس الخروج . تنظر حولها بحثاً عن الاخرين ،وتنظر الى ستيفن ،وتلتفت لتذهب دون كلمة) .

ستيفن ؟ (بارتباك) أماه .

ليدي بريتومارت : لا تكن معتذراً يا ستيفن ، ولا تنسَ انك قد كبرت . (تخرج)

(تقع بيريفـــال سنت اندروز بين تلين في مدلسكس ، متسلقة نصف التل الشمالي . لا دخان فيها ، جدرانها بيضاء ، سطوحها من الصفائح الخضراء الضيقة أو من البلاط الأحمر ، أشجار عاليـــة ، قباب ، ابراج اجراس ، ومداخن صغيرة منصوبة نصباً جميلاً ، وهي جميلة بذاتها . واجمـــل منظر للمدينة هو من سفح منحدر يقع على مسافة نصف ميل الى الشرق حيث يتم صنع المتفجرات الشديدة . يختفي المصنع في العمق بين التلين ، تلوح مداخنه عالية كأنهـــا دبابيس هائلة ، في الوســـط على مسافة . تعبر السفح ساحة من الكونكريت فيها مواضع لرمي المشاة ، وجدار واطىء يلوح كجدار القلعة ، لأن هنالك مدفعاً ضخماً من المدافع القديمة طراز وولويتش انفانت التي لم تعد تستعمل الان ، يطل المدفع عبر الجدار على المدينة تحمل المدفع عربة حاملة المدافع ، ربما هي العربة التي تحمل المدفع يختفي بسرعة والتي أشار اليها ستيفن . ولـــا كانت مواضع الرمي مريحة للجلوس فانها مزودة هنا وهنالك بوسائد دائرية من القش ،

وهنالك أيضاً فراء موضوع في مكان ما .

تقف بارباره على الموضــع ، تنظر عـبر الجدار الواطىء الى المدينة . المدفع الى يمينها ، والى يسارها نهاية سقيفة تنهض على اكوام ، وهنالك سلم بثلاث درجات أو أربع يؤدي الى الباب المطل الى الخارج وليس أمامه الا دكة خشبية صغيرة ، وفي زاوية الدكة سطل من سطول الحريق . ثم نقل عدد من دمى الجنود الممزقة التي برز القش منها ، الى اسفل الدكة ، وهنالك عدد آخر منها يستند الى السقيفة بوضعية الوقوف ، بينما سقطت احدى الدمى وتمددت كجثة على الساحة . ينتهي الجدار الواطىء عند السقيفة ، تاركاً فجوة هي بداية ممر هابط أسفل التل عـــبر المصنع والى المدينة . الفراء موضوع على موضع الرمي قرب الفجوة . وهنالك على الساحة خلف المدفع عربة تحمل قذيفة ضخمة مخروطية يحيط بها خط أحمر مرسوم عليها . والى اليمين باب الدائرة التي هي مثـــل السقيفة ، خفيفة البناء ما أمكن .)

(يصل كاسنز عبر الممر من المدينة .)

بارباره : حسناً ؟

كاسنز : لا شعاع من الأمل . كل شيء كامل ! رائع ! حقيقي ! كل ما تحتاجه المدينة هو ان تكون فيها كاتدرائية لتصبح مدينة سماوية بدلاً من ان تكون مدينة جهنمية .

بارباره : هل عرفت ماذا سيفعلون لبيتر شيرلي العجوز ؟

كاسنز : لقد وجدوا له عملا ، سيكون حارساً للبوابة وضابطاً للوقت . انه بائس أشد البؤس . انه يقول ان ضبط الوقت يحتاج الى تفكير ، وانه ليس معتاداً على ذلك . هنالك غرفة خاصة به عند البوابة وهي رائعة بحيث انه يخجل أن يستعملها . وهو يبقى في المطبخ .

بارباره : بيتر المسكين !

(يصل ستيفن من المدينة . يحمل منظاراً مكبراً)

ستيفن : (بحماسة) هل رأيتما المكان ؟ لماذا تركتمانا ؟

كاسنز : كنت أريد أن أرى كل شيء ، وأرادت بارباره أن تتحدث مع الرجال .

ستيفن : هل وجدتما شيئاً يبعث على الشك ؟

كاسنز : كلا . انهم يسمونه داندي آندي وهم فخورون بكونه عجوزاً خبيثاً . ولكن المكان بأجمعه كامل بصورة مخيفة مفزعة غريبة منافية حتى للاخلاق !

(تصل ساره)

ساره : يا للسماء ! أي مكان (تعبر نحو العربة) هل رأيتم دار الحضانة ؟

ستيفن : هل رأيت المكتبات والمدارس ؟

ساره : هل رأيتم قاعة الرقص وقاعة الاحتفالات والولائم في قاعة المدينة ؟

ستيفن : هل ذهبتم الى صندوق الضمان ، صندوق التقاعد ، جمعية الانشاءات ، ومختلف فعاليات الجمعيات التعاونية ؟

(يأتي اندرشافت من الدائرة وهو يحمل حزمة من البرقيات) .

اندرشافت : حسناً ، هل رأيتم كل شيء ؟ انني آسف لأنهم استدعوني . (مشيراً الى البرقيات) أنباء ممتازة من منشوريا .

ستيفن : انتصار ياباني آخر .

اندرشافت : أوه، لا اعرف . لا يهمنا هنا من الذي ينتصر. كلا. النبأ السار هو أن المقاتلة الطائرة قد اثبتت نجاحاً هائلاً . ففي التجربة الأولى استطاعت ان تدمر قلعة فيها ثلاثمائة جندي .

كاسنز : (من الرصيف) جنود من الدمى ؟

اندرشافت : (يتجه نحو ستيفن ويضرب في طريقه الدمية سبعداً اياها بعنف) كلا : شيء حقيقي

(يتبادل كاسنز وباربارة النظرات . ثم يجلس كاسنز على درجة ويدفن وجهه بين يديه . باربارة تضع يدها على كتفه . ينظر الى وجهها بيأس) .

اندرشافت : حسناً يا ستيفن ، كيف وجدت المكان ؟

ستيفن : أوه ، رائع ! انتصار كامل للصناعة الحديثة . الحق يا أبي العزيز ، لقد كنت احمق : لم أكن اعرف حقيقة الأمر : التفكير الرائع ، التنظيم القوي ، القابلية الادارية ، النبوغ المالي ، رأس المال الضخم الذي يمثله هذا كله . كنت أقول لنفسي حين كنت أدور في شوارعكم : « السلام أيضاً ينتصر انتصارات لا تقل عن انتصارات الحرب . » لدي فقط شيء واحد ضد الأمر .

اندرشافت : قله .

ستيفن : حسناً ، لا استطيع ان اتخلى عن التفكير في ان كل هذه العناية بكل حاجات رجالك قد تقتل استقلالهم وتضعف شعورهم بالمسؤولية . وبالرغم من روعة ذلك كله ، حين دخلنا المطعم مثلاً واعطونا كل تلك المتارف والكعك والمربى والقشطة ، كل ذلك مقابل ثلاثة بنسات ، انني حقاً لا استطيع ان اتصور ذلك ! — ولكن عليك ان تتذكر أن المطاعم تحطم الحياة العائلية . انظر الى اوروبا مثلا ! اتعتقد ان اطعام الرجال هكذا واتخامهم هو صالح لشخصياتهم ؟

اندرشافت : ولكنك ترى يا بني انك حين تنظم الحضارة عليك ان تقرر هل ان الاضطراب والقلق أشياء مرغوبة أم لا . فاذا وجدتها

مرغوبة ، فانني لا استطيع ان اعتبر ذلك منك تنظيما للحضارة . ثم يكون هنالك اضطراب وقلق يكفيان ليجعلا منـــا ملائكة بأجمعنا ! ولكنك اذا قررت على الناحية الأخرى فيمكنك أن تستمر فيها . وعلى كل حال يا ستيفن ، أجد ان ميزاتنا وشخصياتنا مأمونة هنا . هنالك شيء من القلق يكفينا ، وهو اننا قد ننفجر انفجاراً مدمراً في اية لحظة .

ساره : على فكرة يا بابا ، ترى اين تصنع المتفجرات ؟

اندرشافت : في سقائف صغيرة منفصلة كتلك . وحين تنفجر واحدة فانها تكلفنا قليلاً من الخسائر ، ولا يقتل الا اولئك القريبون منها .
(ستيفن ، القريب من السقيفة ، ينظر اليها بخوف ويتحرك مبتعداً عنها الى المدفع . وفي تلـك اللحظة ينفتح باب السقيفة ، ويظهر رئيس عمال يرتدي ملابس العمل الطويلة ، ويقف على الدكة ويمسك الباب ليخرج لوماكس الذي يظهر في الباب) .

لوماكس : (ببرود متعمد) يا عزيزي . لا داعي لكل هذا القلق . لن يحدث لك شيء ولست اعتقد ان نهاية العالم ستحل لو حدث شيء . كل مـــا تحتاج اليه هو شيء من الشجاعـــة البريطانية يا ايها الفتى العجوز ! (يهبط ويسير نحو ساره)

اندرشافت : هل حدث شيء يابلتون ؟

بلتون : (بهدوء ساخر) لقد سار السيد بين المتفجرات الشديدة وأشعل سيكارة . هذا هو كل ما في الأمر .

اندرشافت : كذلك ؟ (يذهب الى لوماكس) أتتذكر مـــا فعلته بعود الثقاب ؟

لوماكس : أوه ! انني لست مغفلاً . لقد اطفأته طبعاً قبل أن ألقيه .

بلتون : كان رأس العود ما يزال محمراً حاراً في داخله يا سيدي .

لوماكس: حسناً ، وماذا في ذلك ؟ لم ألق به الى واحد من متفجراتك .

اندرشافت: إنس الموضوع يا مستر لوماكس . على فكرة ، أتسمح بأن تعيرني علبة الثقاب ؟

لوماكس : (مقدماً العلبة) بالتأكيد .

اندرشافت : شكراً (يضع العلبة في جيبه)

لوماكس : (وكأنه يلقي محاضرة على الجميع) تعرفون ان هذه المتفجرات الشديدة لا تنفجر كالبارود الا اذا كانت في مدفع . فاذا كانت مفتتة طليقة فيمكنكم ان تضعوا عوداً من الثقاب فيها بدون أية مخاطر : انها تشتعل فقط مثل الورقة . (متحمساً لما في موضوعه من جانب علمي) أتعرف ذلك يا اندرشافت ؟ هل حاولت مرة ؟

اندرشافت : ليس على مدى واسع يا مستر لوماكس . سيعطيك بلتون قطعة من قطن المدافع ، يمكنك ان تجربه بنفسك حين تكون في البيت . (ينظر بلتون بدهشة) .

ساره : لن يفعل بلتون شيئاً من ذلك يا بابا . اعتقد انك انت الذي تهتم بتدمير الروس أو اليابانيين ، ولكنك يجب ان تكف عن تدميرجولي المسكين . (يعود بلتون الى السقيفة تاركاً الأمر) .

لوماكس : يا عزيزتي ، ليس هنالـــك خطر . (يجلس الى جانبها على القذيفة) .

(تحضر ليدي بريتومارت وبيدها باقة من الزهور)

ليدي بريتومارت : (بحرارة) أندرو : لم يكن عليك أن تريني هـــذا المكان !

اندرشافت : لماذا يا عزيزتي ؟

ليدي بريتومارت : لا تسأل لماذا : لم يكن عليك ان تفعل ذلك وهذا هو كل ما في الأمر . كلما فكرت في أن ذلك كله (مشيرة الى المدينة) هو ملكك ! وانك احتفظت لنفسك به طول هذه السنوات !

اندرشافت : انه لا يعود لي . انا اعود له . انه تركة اندرشافت .

ليدي بريتومارت : كلا ! قد تكون مدافعك المضحكة وضجة المصانع ملكاً لورثة اندرشافت ، ولكن كل تلك الاطباق والاقمشة ، كل ذلك الاثاث والبيوت والبساتين والحدائق هي ملكنا . انها ملكي انا : انها ليست من شؤون رجل الأعمال . لن أتخلى عنها . لا بد أن تكون أبله اذا كنت ستتخلى عنها . واذا لم تتخل عن هذه الحماقة فسأستدعي طبيباً .

اندرشافت : (ينحني ليشم الزهور) كيف حصلت على الزهور يا عزيزتي ؟

ليدي بريتومارت : قدمها لي رجالك في كنيسة وليم موريس ليبر.

كاسنز : أوه ! كان الأمر يحتاج الى ذلك فقط . كنيسة وليم موريس ! (يرتقي موضع الرمي وهو شارد الذهن ، ويتكي بمرفقه على الجدار الواطىء مديراً ظهره اليهم .)

ليدي بريتومارت : أجل . وكلمات موريس محفورة بحروف ملونة على ارتفاع عشرة اقدام حول القبة : لا أحد أفضل من أحد ليكون سيده . يا لسخرية ذلك !

اندرشافت : لقد صدم ذلك الرجال في أول الأمر ، ولكنهم لا يكترثون لذلك الآن اكثر من اكتراثهم لوصايا الكنيسة العشر .

ليدي بريتومارت : اندرو : انك تحاول أن تبعدني عن موضوع التركة بنكاتك العادية . حسناً ، لن تفعل ذلك . انني لا اطلب ذلك لستيفن الآن : لقد ورث الكثير من شذوذك ولم يعد الارث يناسبه .

ولكن لباربارة حقوقاً مثل ستيفن . لماذا لا يرث أدولفوس ذلك ؟ يمكنني أن أدير المدينة له ، ويمكنـــه ان يهتم بالمدافع اذا كانت ضرورية حقاً .

اندرشافت : لن اطمع في اكثر من ذلك ، لو كان أدولفوس لقيطاً . انه بالضبط الدم الجديد الذي تحتاج اليه الصناعة البريطانية . ولكنـــه ليس لقيطاً ، وكفى . (يحاول ان يذهب نحو الدائرة) .

كاسنز : (مستديراً اليهم) ليس كذلك . (يلتفتون اليه جميعاً وينظرون اليه) أعتقد — ولكن لا تتصوروا أنني أحدد لنفسي اتجاهـاً في المستقبل — ولكنني أعتقد أنه يمكن التغلب على مسألة اللقيط . (يقفز الى الأسفل ، الى الموضع) .

اندرشافت : (يعود نحوه) ماذا تعني ؟

كاسنز : حسناً ، لدي ما يشبه الاعتراف !

ساره :
ليدي بريتومارت :
باربارة :
ستيفن :
اعتراف !

اوماكس : أوه ، أقول !

كاسنز : اجل اعتراف . انتبهوا جميعاً . كنت الى أن التقيت بباربارة اظن انني سيد مهذب محترم لانني كنت بحاجة الى موافقة ضميري اكثر من أي شيء آخر . ولكنني في اللحظة التي رأيت فيها باربارة أردتهـا هي اكثر من ضميري .

ليدي بريتومارت : أدولفوس !

كاسنز : هذا صحيح . لقد اتهمتني انت بنفسك يا ليدي بريت ، بالانضمام الى جيش الخلاص لأنني كنت أعبد بارباره ، وكذلك فعلت ، لقد اشترت روحي كما يشتري الناس زهرة في زاوية الطريق ، ولكنها اشترتها لنفسها .

اندرشافت : ماذا ؟ ليس من أجل ديونيسوس أو آخر ؟

كاسنز : ديونيسوس والآخرون هم فيها . لقد عبدت ما كان مقدساً فيها ، ولذلك كنت عابداً حقيقياً . ولكنني كنت رومانتيكياً بشأنهـــا أيضاً . كنت أظن انها امرأة من الناس وان الزواج باستاذ للغـــة اللاتينية سيكون أبعد من اشد مطامح طبقتها .

ليدي بريتومارت : أدولفوس !

لوماكس : أوه ، أقول !!!

كاسنز : حين علمت بالحقيقة الهائلة —

ليدي بريتومارت : ماذا تعني بالحقيقة الهائلة ؟

كاسنز : إنها كانت غنية جداً وان جدها هو ايرل وأن والدها هو أمير الظلام —

اندرشافت : آه !

كاسنز : وانني كنت مغامراً يحاول ان يظفر بزوجة غنية ، ولهذا بدأت أخدعها بشأن مولدي .

بارباره ؟ (تنهض) دولي !

ليدي بريتومارت : مولدك ! والآن ، أدولفوس ! لا تحاول ان تخترع قصة شريرة من أجل هذه المدافع التعسة . تذكر : لقد رأيت صور أبويك ، والنائب العام لشؤون جنوب غربي استراليا يعرفهما شخصياً وقد أكد لي انهما زوجان محترمان جداً .

كاسنز : كذلك هما في استراليا . أما هنا فانهما من المنبوذين . زواجهما شرعي في استراليا ، ولكن ليس في انكلترة . ان امي هي شقيقة زوجة ابي الراحلة . وانا في هذه الجزيرة اعتبر لقيطاً . (بحماسة) .

بارباره : حماقة ! (تقفز الى المدفع وتميل وتستمع ، عند زاوية المدفع والجدار الواطيء)

كاسنز : هل العذر يكفي يا مكيافيللي ؟

اندرشافت : (مفكراً) بدي : قد تكون هـــذه طريقة للخروج من المعضلة .

ليدي بريتومارت : هراء ! لا يمكن ان يصنع الرجل المدافع بصورة أفضل لمجرد كونه ابن خالة نفسه ، بدلاً من ان يكون هو نفسه . (تجلس على الفراء وهي تتحرك بطريقة تعبر عن احتقارها للأمر)

اندرشافت : (الى كاسنز) انت رجل مثقف . وهذا هو ضد التقليد .

كاسنز : لا يحدث الا مرة في كل عشرة آلاف مرة ان يخرج التلميذ كما أراد له اساتذته أن يكون . لم تدمر اليونانية ذهني : لقـــد انعشته . وبالاضافة الى ذلك لم اتعلمها في مدرسة انكليزية عامة .

اندرشافت : هممم ! لا أريد ان اكون دقيقـاً في التفاصيل : لقد فزت في مسألة اللقيط . ليكن ذلك . أنت صالح لذلـك ، يا يوريبيدس ، انت صالح لذلك .

بارباره : دولي ، في صبـــاح الأمس ، حين اخبرنا ستيفن بكل شيء عن التقليد كنت أنت صامتاً ، ولكنك صرت شخصاً غريباً متحمساً منذ ذلك الحين ، هل كنت تفكر في مولدك حينئذ ؟

كاسنز : حين يشير اصبع القدر الى رجل وهو يتناول طعام افطاره فان ذلك كفيل بان يجعله يغرق في أفـكاره .

اندرشافت : آها ! لقد كنت تضع عينـك على الأمر ، يا صديقي . أليس كذلك ؟

كاسنز : خذ حذرك ! هنالك هوة من الرعب الخلقي بيني وبين مقاتلاتك الطائرة اللعينة .

اندرشافت : لا تكترث للهوة في الوقت الحاضر . دعنا ننتهي من التفاصيل النهائية ونترك لك التقرير النهائي . انت تعرف ان عليك ان تغير اسمك . اتعترض على ذلك ؟

كاسنز : هل سيعترض رجل يدعى ادولفوس ، رجل يدعى دولي ، على تسميته باسم آخر ؟

اندرشافت : حسناً . والان بالنسبة للنقود ! ساعاملك معاملة طيبة منـذ البداية . سيكون لك الف جنيه في العام .

كاسنز : (بحرارة مفاجئة ، تلتمع نظاراته بالشر) ألف ! اتجرؤ ان تقدم ألف جنيه لزوج ابنة مليونير ؟ كلا ، وحق السماء ، يا مكيافيللي ! لن تخدعني . انك لا تستطيع أن تفعل شيئاً بدوني ، بينما استطيع أنا أن أستغني عنك . يجب ان احصل على الفين وخمسمائة في العام لمدة سنتين . وفي نهاية ذلك ، اذا فشلت ، سأذهب . ولكن اذا ثبت نجاحي وبقيت فيجب عليك أن تعطيني الخمسة آلاف الأخرى .

اندرشافت : اية خمسة آلاف اخرى ؟

كاسنز : لتجعل السنتين بمعدل خمسة آلاف جنيه في العام الواحد . ذلك لان الالفين وخمسمائة هي نصف المبلغ في حالة فشلي . وفي السنة الثالثة سأحصل على عشرة بالمائة من الأرباح .

اندرشافت : (مندهشاً) عشرة بالمائة ! لماذا أيها الرجل ، هل تعرف كم

هي أرباحي ؟

كاسنز : آمل أن تكون هائلة : والا لكنت طالبت بخمسة وعشرين بالمائـــة .

اندرشافت : ولكن ، يا مستر كاسنز ، ان هذا هو حديث أعمال ، وأنت لا تأتي بأي رأس مال من عندك .

كاسنز : ماذا ؟ لا رأسمال ! اليست براعتي في اللغة اليونانية رأسمال ؟ أليس ادراكي لاروع الشعر الذي ادركته البشرية حتى الآن رأسمال ؟ وشخصيتي ؟ وذهني ؟ وحياتي ؟ ومهنتي ؟ وما تسميـــه باربارة روحي ! أليست هذه كلها رأسمال ؟ قل كلمة أخرى وسأضاعف راتبي .

اندرشافت : كن معقولاً .

كاسنز ؟ (باصرار) مستر اندرشافت : تلك هي شروطي . اقبلهـــا او اتركها .

اندرشافت : (يستعيد نفسه) حسناً . أقدم لك نصف ذلك .

كاسنز (باشمئزاز) نصف ذلك !

اندرشافت : (بعناد) ذلك !

كاسنز : أتسمي نفسك سيداً مهذباً ؟ وتقدم لي نصف ذلك ؟

اندرشافت : لا أسمي نفسي سيداً مهذباً ولكنني اقدم لك النصف .

كاسنز : هذا لشريك المستقبل ؟ لخليفتك ! لزوج ابنتك !

باربارة : انت تبيع روحـــك يا دولي ، وليس روحي . اتركني خارج الصفقة رجاء .

اندرشافت : هيا ! ساتقدم خطوة اخرى من اجل باربارة . ساعطيك ثلاثة

أخماس ، ولكن هذه هي كلمتي النهائية .

كاسنز : مقبول !

لوماكس : مقبول في عينك ! لماذا ؟ انا لا احصل الا على ثمانمائة كما تعرف !

كاسنز : على فكرة ، ماك [1] ، انا استـــاذ كلاسيكي ولست استاذاً في الحساب . هل ان ثلاثة اخماس اكثر أم اقل من النصف ؟

اندرشافت : اكثر طبعاً .

كاسنز ؟ كنت سآخذ مائتين وخمسين ! كيف يمكنك ان تنجح في العمل حين تقدم كل ذلك المال لاستاذ جامعي لا يستحق اكثر من اجور كاتب صغير ! - حسناً ، ماذا سيقول لازاروس ؟

اندرشافت : لازاروس هو ... رومانتيكي لطيف لا يهتم الا لرباعيـــات الموسيقى وغيرها في المسارح المشهورة . سيلام من أجل جشعك الى المـــال تماماً كما يلام من اجل جشعي . يا للمسكين ! أنت جشع من الدرجة الأولى يا يوريبيدس وهذا افضل للمؤسسة !

بارباره : هل انتهت الصفقة يا دولي ؟ وهل ان روحك ملكه الآن ؟

كاسنز : كلا : لقد اتفقنا على الثمن ، هذا هو كل ما في الأمر . سيكون تنافس الحرب الحقيقية فيما بعد . ماذا عن المسألة الاخلاقية ؟

ليدي بريتومارت : ليس هنالك جانب اخلاقي في الامر كله يا أدولفوس . عليك فقط أن تبيع المدافع لاولئك الذين يناضلون من اجل قضية عادلة صحيحة ، وترفض بيعها للاجانب والمجرمين .

اندرشافت : (بعزم) كلا : لا شيء من ذلك . يجب ان تحافظ على تقاليد بائع الاسلحة ، او انك لن تأتي هنا .

---

(١) مختصر مكيافيللي .

كاسنز : وما هي تقاليد بائع الاسلحة ؟

اندرشافت : تقديم الاسلحة لكل من يدفع سعراً مناسباً لها دون الالتفات الى الاشخاص أو المبادىء ، الى الاستقراطيين او الجمهوريين ، الى النهيلستيين أو القيصريين ، الى الرأسماليين او الاشتراكيين ، الى البروتستانت او الكاثوليك ، الى اللصوص أو رجال الشرطة ، الى السود والبيض والصفر ، الى كل الانواع وفي كل الظروف ، وكل القوميات وكل المعتقدات وكل السخافات وكل القضايا وكل الجرائم . لقد كتب اندرشافت الأول في مصنعه ما يلي : اذا قدم الله اليد فلا تدع الانسان يمنـــع السيف . وكتب اندرشافت الثاني : الكل يملكون الحق في ان يقاتلوا : وليس لاي أحـــد الحق في ان يحكم على الأمور . وكتب اندرشافت الثالث : السلاح للانسان والنصر للسماء . ولم يكن للرابع أي ميل أدبي ولهذا فلم يكتب شيئاً وانما باع المدافع الى نابليون بالرغم من جورج الثالث . وكتب الخامس : لن يسود السلام الا اذا كان في يده سيف . وكان السادس ، الذي هو استاذي ، افضل الجميع . لقد كتب : لا شيء يمكن أن يتم في هذا العالم حتى يكون البشر مستعدين لقتل بعضهم بعضاً اذا لم يتم . وبعد ذلك لم يبق للسابع شيء يقوله ، ولذلك كتب : لا خجل .

كاسنز : يا مكيافيللي الطيب . سوف اكتب شيئاً بالتأكيد ، ولكن لما كنت ساكتبه باليونانية فانك لن تستطيع قراءته . أما بالنسبة لتقاليد بائع الاسلحة ، فاذا استطعت ان اخلص رقبتي من مشنقة اخلاقي ، فانني لن اضعها في مشنقة اخلاقك . سأبيع المدافع لمن يعجبني وارفض بيعها لمن لا يعجبني . هكذا !

اندرشافت : في اللحظة التي تصبح فيهـــا اندرو اندرشافت لن تفعل ما يعجبك أبداً . لا تحضر الى هنا طلباً للقوة أيها الشاب .

كاسنز : لو كنت ابحث عن القوة لما جئت هنـــا . فليس لديك شيء

من القوة .

اندرشافت : بالتأكيد ، لا قوة خاصة بي !

كاسنز : أنا اقوى منك ، اقوى ارادة . وأنت لا توجه هـــذا المكان وانما يوجهك هو . وما الذي يوجه المكان ؟

اندرشافت : (بغموض) ارادة أنا جزء منها .

بارباره : (مندهشة) أبي ! أتعرف ماذا تقول ؟ أم أنك تريد أن تضع شباكاً لروحي ؟

كاسنز : لا تستمعي الى ميتافيزيكيته يا بارباره . الذي يدفع المكان ويوجهه هو أشد اجزاء المجتمع نذالة ، صائدو النقود ، صائدو اللذة ، صائدو الترقيات العسكرية ، وهو عبدهم .

اندرشافت : ليس ضرورياً . تذكر تقاليد بائع الاسلحة . انني اقبل طلبات رجل الخير تمامـــا كقبولي طلبات رجل الشر . واذا كنتم ايها الطيبون الاخيار تفضلون الوعظ والنصح على شراء اسلحتي لمحاربة الانذال فلا تلومونني . استطيع أن اصنع المدافـع : ولكنني لا استطيـع ان أصنع الشجاعة والعقيدة . باه ! انـك تتعبني يا يوريبيدس بحديثك عن الاخلاق . سل بارباره : انها تفهم . (يتقدم فجأة ويمسك بيدي بارباره ناظراً بقوة في عينيهـا) . اخبريه يا حبيبتي ماذا تعني القوة حقاً .

بارباره : (مسحورة) قبل ان انضم الى جيش الخلاص كنت ضمن قوتي ، وكانت النتيجة هي انني لم اعرف ماذا افعل بنفسي . وحين انضممت اليـه لم يكن لدي الوقت الـكافي للأمور التي كان علي أن أفعلها .

اندرشافت : (موافقاً) كذلك . وماذا تظنين سبب ذلك ؟

بارباره : كان يجب علي أن اقول ذلك بالأمس لأنني كنت في قوة الله . (تستعيد امتلاكها لنفسها ، وتسحب يديها من يديـه بقوة معادلة لقوته) ولكنـــك جئت وأريتني انني كنت في قوة بوجر واندرشافت . واليوم أشعر — أوه ! كيف استطيـع ان اعبر عن ذلك بكلمات ! ساره : هل تتذكرين الزلزال في كان ؟ حين كنا اطفالاً ؟ — كم كان رعب الهزة الأولى سهلاً بالنسبة لرعب انتظار الهزة التالية ! هذا هو شعوري هنا اليوم . لقد وقفت على الصخرة التي كنت اظنها خالدة ، وبدون كلمة ، تزحزحت وانهارت تحت قدمي . كنت آمنة ، وكانت هنالك حكمة لا تنتهي ، ترقبني ،جيش يسير الى الخلاص معي ، وفي لحظـــة ، بحركة من قلمك على دفتر الصكات ، وقفت وحدي وكانت السماء خاليـــة . كانت تلك هي الهزة الأولى في الزلزال : انني انتظر الثانية .

اندرشافت : هيا هيا ! يا ابنتي ! لا تضخمي مأساتك الصغيرة . ترى ماذا سنفعل نحن هنا حين نقضي سنوات طويلة في العمل والتفكير وننفق آلاف الجنيهـــات الذهبية لصنع مدفع جديد أو مقاتلة طائرة ، ثم ينتهي كل ذلك الى لا شيء بسبب خطأ لا يتجاوز في تفاهته مقدار شعرة ! اننا نلقي بذلك في المهملات بدون أن نقضي ساعة واحدة أخرى او ننفق جنيهاً آخر عليه . حسناً : لقد كونت لنفسك شيئاً تسمينه اخلاقيـــة أو ديناً أو شيئاً آخر . ولكن هذا لا يطابق الحقائق . اذن القي به في المهملات . اهمليه واحصلي على شيء يطابق الحقائق . هذا هو خطأ العالم اليوم . انه يلقي الى المهملات بـكائنه البخارية القديمة والوسائل الماضية في توليد الكهرباء ، ولكنه لا يهمل احقاده واخلاقه واديانه واسسه السياسية القديمة . وما هي النتيجة ؟ في عالم الآلات ينجح نجاحاً ممتازاً ، ولكنه في عالم الأخلاق والدين والسياسة يخسر في كل عام خسارة تقربه اكثر فاكثر من الافلاس .

لا تستمري في تلك الحماقة . اذا كان دينك القديم قد فشل بالأمس فاحصلي على دين جديد افضل غداً .

باربارہ : أوه ، كم يسعدني ان احصل على دين أفضل لروحي ! ولكنك تقدم لي ديناً أسوأ . (تتجه اليه بعنف) برر نفسك : أرني ضوءاً وسط ظلام هـذا المـكان ، بمصانعه النظيفة الجميلة وعماله المحترمين وبيوته النموذجية .

اندرشافت : لا تحتاج النظافة والاحترام الى تبرير يا باربارة : انهـا تبرر نفسها . انني لا أرى ظلامـاً هنا ولا أرى رعباً . أما في ملجأ الخلاص فقد رأيت الفاقة والبؤس والبرد والجوع . لقد أعطيتهم الزبد الصناعي والخبز وأحلاماً عن السماء . اما انا فاعطي بين ثلاثين شلنا في الاسبوع واثني عشر الفاً في السنة . انهم يجدون احلامهم بانفسهم . ولكنني انا الذي اعتني بكسب الارباح .

باربارہ : وارواحهم ؟

اندرشافت : انني اخلص ارواحهم تماماً كما خلصت روحك .

باربارہ : (باشمئزاز) انت خلصت روحي ! ماذا تعني ؟

اندرشافت : اطعمتك والبستك واسكنتك . واعتنيت بانك يجب ان تحصلي على المال الكافي لتكوني انيقة سعيدة في حياتك – اكثر من اللازم ، بحيث تستطيعين ان تكوني مبذرة ، غير مكترثة ، كريمة . وهذا أنقذ روحك من الخطايا السبع المهلكة !

باربارہ : (حائرة) الخطايا السبع المهلكة !

اندرشافت : اجل ، السبع المهلكة . (يعد على اصابعه) الطعام ، واللباس والدفء والايجار والضرائب والاحترام والاطفال . لا شيء يستطيع ان يخفف هذه الاعباء عن كاهل الانسان الا المال . ولا تستطيع الروح أن تحلق الا بعد أن يتم رفع هذه الاثقال . لقد رفعتها عن

روحك وجعلت باربارة قادرة على ان تكون ميجر باربارة وانقذتها من جريمة الفقر.

كاسنز : هل تسمي الفقر جريمة ؟

اندرشافت : أسوأ الجرائم . كل الجرائم الاخرى هي فضائل بالنسبة للفقر : كل الحقارات الاخرى تعتبر مزايا فروسية بالنسبة للفقر . ان الفقر يجتاح المدن الكاملة وينشر طواعين مرعبة ويقتل ارواح كل الذين يقتربون منه او يسمعون به أو يشمونه . ان ما تدعوه جريمة هو لا شيء . قتل هنا ولصوصية هناك ، ضربة هنا ، ولعنة هناك . ماذا تهم هذه الاشياء ؟ انها فقط اعراض مرض الحياة . ليس هنالك خمسون مجرماً محترفاً أصيلا في لندن . ولكن هنالك الملايين من الفقراء القذرين التعساء الجائعين العراة . انهـــم يسمموننا خلقياً ومادياً : انهم يقتلون سعادة المجتمع : انهم يضطروننا الى التخلي عن حرياتنا والى اعداد وسائل عنيفة غير طبيعية خوفاً من ان يثوروا ضدنا ويسحلوننا الى هوتهم . الاغبياء فقط هم الذين يخافون الجريمة : كلنا نخاف الفقر . باه ! (يلتفت الى باربارة) انك تتحدثين عن المشرد الذي كدت ان تخلصي روحه في ويست هام : انت تتهمينني بانني اعدت روحه الى الضياع . حسناً : احضريه هنا وسأعيد روحه الى الخلاص من اجلك ، لا بالكلمات والاحلام وانما بثمانية وثلاثين شلناً في الاسبوع ، وببيت معقول في شارع جميل وبعمل دائم . وفي خلال ثلاثة اسابيع ستكون له صديرية فيها ذوق ، وفي خلال ثلاثة اشهر قبعة عالية وذهاب الى الابرشية . وقبل ان ينتهي العام سيصافح دوقة في اجتماع من اجتماعات عصبة برمروز ، ثم ينضم الى حزب المحافظين .

باربارة : وهل سيكون افضل بسبب ذلك ؟

اندرشافت : انت تعرفين انه سيكون أفضل . لا تكوني منافقة يا باربارة .

سيجد طعاماً افضل ومسكناً افضل وملابس أفضل وسلوكاً أفضل ، وسيكون اطفاله أكبر واثقل وزناً . ذلك أفضل من غطاء امريكي من القماش ، وتكسير الأخشاب وأكل الخبز والمرق في الملجأ ، والاضطرار الى الركوع بين حين وآخر لشكر السماء على ذلك : تمارين الركوع ! لا بد انكم تسمونها هكذا . انه لعمل تافه أن تحولوا الناس الذين يتضورون جوعاً عن كفرهم ، بالانجيل في يد وكسرة من الخبز باليد الأخرى . يمكنني أن أجعل ويست هام كلها تعتنق ديناً آخر بنفس الأسلوب . والان حاولي ذلك مع رجالي : ارواحهم جائعة لأن أجسادهم ممتلئة .

بارباره : وتترك الايست ايند لتجوع ؟

اندرشافت : (تتحول لهجته العنيفة الى لهجة مليئة بالذكرى المريرة) كنت انا نفسي من سكان الايست ايند . كنت خلوقاً وكنت جائعاً ، وفي أحد الأيام أقسمت انني يجب أن اكون شبعاً حراً مهما كلف الأمر ، وانه يجب ألا يقف في طريقي شيء الا الرصاص ، فلا العقل ولا الاخلاق ولا حياة الاخرين يمكن أن تقف في طريقي . وقلت في نفسي : ستموت من الجوع قبل أن اموت أنا من الجوع . وبذلك اصبحت حراً وعظيماً . لقد كنت شخصاً خطراً حتى استطعت ان اكسب ارادتي ، والان أنا شخص مفيد لطيف كريم . هذا هو تاريخ حياة كل مليونير يصنع نفسه بنفسه في اعتقادي . وحين يكون هذا هو تاريخ حياة كل فرد انكليزي فحينذاك فقط يمكن أن تكون انكلترة مكاناً يستحق ان يسكن فيه المرء .

ليدي بريتومارت : كفى خطباً يا أندرو . ليس هذا مكان الخطب .

اندرشافت : (ملسوعاً) يا عزيزتي : لا وسيلة أخرى لدي لكي اقول أفكاري .

ليدي بريتومارت : أفكارك هراء . لقد نجحت لانك كنت أنانياً بلا ضمير .

اندرشافت : كلا أبداً . كانت لدي أشد مشاعر تأنيب الضمير بشأن الفاقة والجوع ، أما اخلاقيوك فهم الذين لا ضمير لديهم بشأنهما معاً : انهم يحملونهما فضيلتين . إنني أفضل أن اكون لصاً على ان اكون فقيراً . افضل ان اكون قاتلاً على ان اكون عبداً . انا لا أريد ان اكون لصاً ولا قاتلا ، ولكن ، اذا فرضت علي أن اكون فقيراً وعبداً فانني ساختار الجانب الاشد شجاعة واخلاقاً . انني اكره الفاقة والعبودية اكثر من اية جريمة اخرى . ولأقل لك هذا ايضاً : لقد دامت الفاقة والعبودية قروناً طويلة في عهد مواعظكم ومقالاتكم الافتتاحية ! ولكنها لن تدوم في عهد رشاشاتي . لا تمطي هؤلاء ، لا تستخدمي العقل معهم . اقتليهم .

بارباره : القتل . أهذا هو علاجك لكل شيء ؟

اندرشافت : انه الاختبار النهائي للعقيدة والاسلوب الوحيد القادر على قلب نظام المجتمع والطريقة الوحيدة لقول كلمة : يجب . اطلقي ستمائة وسبعين أحمقاً في الشارع فيستطيع ثلاثة من رجال الشرطة أن يفرقوهم . ولكن ضعيهم معاً في بيت معين في ويستمنستر وليؤدوا بعض الطقوس وليسموا انفسهم ببعض الاسماء حتى تكون لديهم أخيراً الشجاعة ليقوموا بالقتل . وسيكون حمقاك الستمائة والسبعون هؤلاء حكومة . ان رعاعك المتقين يملأون اوراق الاقتراع ويتصورون انهم يختارون حكومتهم بأنفسهم : ولكن ورقة الاقتراع الحقيقية التي تحكم هي تلك التي تلف بها رصاصة .

كاسنز : وربما يكون هذا سبب عدم اقدامي على التصويت كغيري من الاذكياء الذين يمتنعون عن التصويت .

اندرشافت : التصويت ! باه ! انك حين تصوت لا تفعل غير أن تبدل

أسماء الوزراء . أما حين تطلق الرصاص فانك تسقط الحكومات وتفتتح عهوداً جديدة وتلغي نظماً قديمة وتقيم نظماً جديدة في مكانها . اليس هذا صحيحاً من الناحية التاريخية يا مستر (مثقف) أم لا ؟

كاسنز : هذا صحيح تاريخياً . وانني لأكره أن أقر بذلك . انني اشجب مشاعرك واشمئز من طبيعتك . وانا اتحـداك بكل طريقة ممكنة . ومع ذلك فانت على حق . ولكنك يجب ألا تكون على حق .

اندرشافت : يجب ! يجب ! يجب ! يجب ! هـل ستنفق عمرك كله تقول يجب ، كبقية أخلاقيينا ؟ حوّل يجب هذه الى سوف أيها الرجل ، تعال واصنع المتفجرات معي . إن ما يستطيـع أن يدمر الرجـال يستطيع ان يدمر المجتمعات . وتاريخ العالم هو تاريخ اولئك الذين لديهم الشجاعة الـكافية لقبول هذه الحقيقة . ألديك الشجاعة الكافية لقبولها يا بارباره ؟

ليدي بريتومارت : بارباره ، انني امنعك بصورة ايجابية من الاستماع الى شرور ابيك المريعة . وأنت يا أدولفوس يجب عليك ان تفعل شيئاً أفضل من القول بأن هذه الأشياء الخاطئة صحيحة . ماذا يهم كونها صحيحة اذا كانت خطأ ؟

اندرشافت : وماذا يهم كونها خطأ اذا كانت صحيحة ؟

ليدي بريتومارت : (تنهض) ايها الاطفـال : هيا الى البيت في الحال . أندرو : انني لآسفة جداً لسماحي لك بزيارتنا . انت اكثر شروراً من قبل . هيا في الحال .

بارباره : (تهز رأسها) لا فائدة في الهروب من الاشرار يا ماما .

ليدي بريتومارت : كل الفائدة في ذلك. انه يكشف عن عدم موافقتك لهم .

بارباره : ان ذلك لا ينقذهم .

ليدي بريتومارت : استطيـع أن أرى انك ستخالفينني .ساره : هل أنت آتية الى البيت أم لا ؟

سارة : استطيع ان اقول انه لأمر شرير من بابا أن يصنع المدافع ولكنني لا أظن أنني سأفارقه بسبب هذا .

لوماكس : (يزيد النار اشتعالاً) الحقيقة هي ، كما تعلمون ، أن هنالك بعض السخف بشأن كون هذه الأمور شراً ذلك ليس صحيحاً . يجب أن تنظروا الى الحقائق . انني لا اريد ان اقول شيئاً في صالح ما هو خطأ ، ولكن ، أنتم ترون ، أن كل انواع الرجال يصنعون كل أنواع الأمور دائماً ، ويجب علينا أن نتقبلهم بطريقة ما . أعني انه لا يمكن التخــلي عن الجميـع ، وهذا هو ما ينجم من ذلك . (يجعله انتباههم لبلاغته عصبياً) . ربمــا لا اكون قد اوضحت ما أعنيه .

ليدي بريتومارت : انت الوضوح بعينه يا تشارلز . فلأن أندرو ناجح ولديه مال كثير يستطيـع أن يعطيه لســاره ، فانك ستمتدحه وتشجعه على شروره .

لوماكس : (غير مضطرب) حسناً ، حينما تكون الجثة تجدين الصقور متجمعة ، أليس كذلك ؟ (الى اندرشافت) ايه ؟ ماذا ؟

اندرشافت : بالضبط . على فكرة ، هل لي ان ادعوك تشارلز ؟

لوماكس : يسعدني ذلك . جولي هو الاسم الاعتيادي .

اندرشافت : (الى ليدي بريتومارت) بدي .

ليدي بريتومارت : (بعنف) لا تجرؤ على ان تدعوني بدي . تشارلز لوماكس : أنت أحمق . أدولفوس كاسنز : أنت جزويتي [١] .

---

(١) يستخدم أعداء الجزويت هذه الكلمة لتعني الخبث والاحتيال .

ستيفن : أنت مدعٍ . باربارە : أنت مجنونة . أندرو : انت بائع عادي . والآن ، كلكم تعرفون رأيي فيكم ، وضميري مرتاح على كل حال . (تجلس بعنف يخفف منه الفراء لحسن الحظ)

اندرشافت : يا عزيزتي : أنت خلاصة الاخلاق (تحدث صوتاً بانفها كالشخير) ان ضميرك مرتاح وقد أديت واجبك بأن دعوت كل واحد باسمه . هيا يا يوريبيدس ! لقد تأخر الوقت وكلنا نريد ان نذهب الى البيت . قرر !

كاسنز : افهم هذا ايها العفريت العجوز .

ليدي بريتومارت : أدولفوس !

اندرشافت : اتركيه يا بدي . استمر يا يوريبيدس .

كاسنز : لقد وضعتني في موقف محير . انني أريد باربارە .

اندرشافت : كبقية الشبان . انك تضخم الفرق بين شابة وأخرى !

باربارە : هذا صحيح يا دولي .

كاسنز : وأريد ألا اكون نذلاً .

اندرشافت : (باحتقار شديد) انت تشتهين ان تكون على حق وأن ترضى عنك نفسك ، من اجل ما تسميه الضمير الجديد ، من أجل ما تسميه باربارە الخلاص ، من أجل ما أسميه أنا رعاية قوم ليسوا محظوظين مثلك .

كاسنز : كلا : ان الشاعر في نفسي ينكمش من ان يكون رجلاً طيباً . ولكن هنالك اشياء في نفسي يجب علي ان أتفق معها . الشفقة —

اندرشافت : الشفقة ! كناسة البؤس !

كاسنز : حسناً ، الحب .

اندرشافت : اعرف . انت تحب المحتاجين والمنبوذين . انت تحب الاجناس

المضطهدة ، الزنوج ، والعبيد الهنود ، والبؤساء في كل مكان . أتحب اليابانيين ؟ أتحب الفرنسيين ؟ أتحب الانكليز ؟

كاسنز : كلا . كل انكليزي حقيقي يكره الانكليز . اننا اكثر الشعوب شروراً في العالم ، ونجاحنا هو رعب خلقي .

اندرشافت : هذا هو ما ينجم من انجيل الحب الذي تحمله ، اليس كذلك ؟

كاسنز : الا يكون في وسعي حتى أن احب والد زوجتي ؟

اندرشافت : من يريد حبك أيها الرجل ؟ وبأي حق تريد ان تتقدم الي بهذا الحب ؟ سيكون عليك ان تحترمني والا قتلتك ! ولكن حبك ! اللعنة على وقاحتك !

كاسنز : (مكشراً) قد لا يكون في وسعي ان أسيطر على عواطفي يا ماك .

اندرشافت : انك تبارز يا يوريبيدس . انك تضعف ، وقبضتك تنزلق . هيا ، حاول السلاح الاخير . لقد تحطمت الشفقة والحب في يدك . ما يزال هنالك الغفران .

كاسنز : كلا . الغفران هو ملجأ الشحاذ . انا متفق معك في هذا : يجب علينا ان ندفع ديوننا .

اندرشافت : هـــذا قول حسن . هيا ! انك ستناسبني . تذكر عبارات أفلاطون .

كاسنز : (مندهشاً) افلاطون ! اتجرؤ على الاقتطاف من افلاطون أمامي ؟

اندشارفت : يقول افلاطون يا صديقي ان المجتمع لا يمكن أن ينقذ الا بعد ان يبدأ اساتذة اليونانية بصنع البارود او بعد أن يصبح صانعو البارود اساتذة للغة اليونانية .

كاسنز : أوه ايها المفسد ، أيها المفسد البارع !

اندرشافت : هيا اختر ايها الرجل ، اختر !

كاسنز : ولكن ربما ترفض باربارة ان تتزوجني لو اخترت الشيء الخطأ .

باربارة : ربما .

كاسنز : (قلقاً وبائساً) أتسمع ؟

باربارة : أبي ، ألا تحب أحداً قط ؟

اندرشافت : أحب أعز اصدقائي .

ليدي بريتومارت : ومن هو ؟

اندرشافت : أشجع اعدائي . الرجل الذي يبقيني حذراً .

كاسنز : انت تعرفين ان هذا المخلوق هو نوع من انواع الشاعر بطريقته . لنفرض أنه رجل عظيم !

اندرشافت : لنفرض انك تقرر رأيك بسرعة ايها الشاب .

كاسنز : ولكنك تقودني ضد طبيعتي . انني اكره الحرب .

اندرشافت : الكره هو انتقام الجبان لانه قد أخيف . اتجرؤ على ان تشن الحرب على الحرب ؟ هنا الوسائل : صديقي مستر لوماكس يجلس عليها الآن .

لوماكس : (ينهض بقوة) أوه ، أقول . أنت لا تعني أن هذا ينفجر ! عزيزتي ، ابتعدي عنه .

ساره : (تجلس براحه على القذيفة) اذا كنت سانفجر فان الافضل ان يتم ذلك بصورة كاملة . لا تحدث ضجة ياجولي .

لوماكس . (الى اندرشافت ، بلوم شديد) ابنتك ! كما تعرف !

اندرشافت : هكذا اذن ! (الى كاسنز) حسناً ، يا صديقي ، هل نتوقعك هنا في السادسة من صباح الغد ؟

كاسنز : (بثبات) كلا أبداً . سأرى المؤسسة والمدينة كلها تنفجر شظايا قبل أن انهض في الخامسة . ان ساعاتي هي صحيحة مناسبة معقولة: من الحادية عشرة الى الخامسة .

اندرشافت : تعال متى يعجبك : ولكن قبل ان ينقضي الاسبوع ستحضر في السادسة وتبقى الى أن اصرفك من اجل صحتك (منادياً) بلتون ! (يلتفت الى ليدي بريتومارت الـــتي تنهض) يا عزيزتي : لنترك هذين الشابين لنفسيهما لحظة . (يحضر بلتون من السقيفة) . سآخذك الى سقيفة قطن المدافع .

بلتون : (معترضاً) انت لا تستطيع أن تدخل أي شيء قابل للاحتراق هنا يا سيدي .

بلتون : (بدون أن يتأثر) كلا يا مدام . مستر اندرشافت يضع في جيبه علبة ثقاب السيد الآخر .

ليدي بريتومارت : (باقتضاب) آه ! المعذرة . (تدخل السقيفة) .

اندرشافت : هذا صحيح يا بلتون ، هذا صحيح : اليك (يعطي علبـــة الثقاب الى بلتون) ، هيا يا ستيفن ، هيا يا تشارلز احضر ساره معك . (يمر داخل السقيفة) .

(يفتح بلتون العلبة ويلقي بالعيدان في سطل الحريق) .

لوماكس : أوه ، أقول ! (يعطيه بلتون العلبة بثبات) سخف جهنمي ! جهل علمي صرف ! (يدخل) .

ساره : كل شيء على ما يرام يا بلتون ؟

بلتون : عليك ان تلبسي حذاء خفيفاً يا آنسة ، هذا هو كل ما في الأمر .

الأحذية موجودة في الداخل . (تدخل)

ستيفن : (باهتمام الى كاسنز) دولي ، ايها الزميل العجوز ، فكر ، فكر قبل أن تقرر . أتشعر بانك رجل عملي بما يكفي ؟ انها لمسؤولية ضخمة ، مسؤولية كبيرة . كل هذه الاعمال المعقدة ستكون كاليونانية بالنسبة لك .

كاسنز : أوه ، اعتقد أنها ستكون أسهل من اليونانية جداً .

ستيفن : حسناً ، وددت أن اقول هذا فقط قبل أن اتركك لنفسيكما . لا تدع اي شيء مما قلته عن الصحيح والخطأ يقف ضد حصولك على هذه الفرصة العظيمة في الحياة . لقد اقتنعت بان ادارة الاعمال هي من المزايا العالية وهي مزايا يستحق بلدنا الاعجاب بها . (بعاطفية) انني لفخور بأبي . انني – (لا يستطيع ان يستمر . يضغط على يد كاسنز ويدخل السقيفة بتردد ، يتبعه بلتون) . (باربارة وكاسنز وحدهما ينظر احدهما في وجه الآخر في صمت) .

كاسنز : باربارة ، سأقبل هذا العرض .

باربارة : كنت اعرف انك ستفعل .

كاسنز : أنت تفهمين ، اليس كذلك ؟ انني يجب ان اقرر بدون ان استشيرك . فاذا كنت قد القيت عبء الاختيار عليك فانك ستحتقرينني إن عاجلاً او آجلاً بسبب ذلك .

باربارة : أجل : لم أرد ان اراك تبيع روحك من اجلي ، ولا من اجل هذه التركة .

كاسنز : ليس بيع روحي هو الذي يقلقني : لقد بعتها كثيراً بحيث لم اعد اكترث لذلك . لقد بعتها من أجل الاستاذية . لقد بعتها من اجل الحصول على دخل . بعتها لانجو من ان اعاقب بالسجن لعدم دفعي

الضرائب من أجل الحبال التي يشنق بها الناس والحروب غير العادلة التي تشن وكل الامور الاخرى التي اكرهها . ومـــا هو السلوك الانساني في كل يوم غير هذا البيع المتواصل لارواحنا مقابل التفاهات ؟ انا الآن لا ابيعها من اجل المال او المركز او الراحة ، وانما من أجل الواقع والقوة .

بارباره : انت تعرف انـــه لن تكون لك قوة وانه هو ليس لديه شيء من القوة .

كاسنز : أعرف . انها ليست لي وحدي . اريد ان اصنع القوة للعالم .

بارباره : انا ايضاً اريد ان اصنع القوة للعالم ، ولكنها يجب ان تكون قوة روحية .

كاسنز : اعتقد ان كل قوة هي روحية : فلن تنطلق المدافع من تلقاء نفسها . لقـد حاولت ان اصنع القوة الروحية بتدريس اللغة اليونانية ، ولكن العالم لا يمكن ان يتأثر بلغة ميتة وحضارة ميتة . يجب ان تكون للناس القوة ولا يستطيع الناس ان يحصلوا على اليونانية . وهذه القوة التي تصنع هنا يمكن ان يخضعها كل البشر ويحصلوا عليها .

بارباره : القوة لاحراق بيوت النســـاء وقتل اولادهن وتمزيق ازواجهن اشـــلاء .

كاسنز : لا يمكنك ان تحصلي على قوة الخير بدون قوة الشر . بل ان حليب الأمهات يغذي القتلة كما يغذي الابطال . ان هذه القوة التي تمزق اجساد الرجال لم تقـــاسِ من سوء الاستعمال كما تقاسي القوة العقلية والتخيلية والشعرية والدينية التي تستطيـــع أن تستعبـــد أرواح البشر . لقد اعطيت المثقف باعتباري استاذاً لليونانية اسلحة ضد العادي . وانا الآن اريد ان اعطي الشخص العادي اسلحة ضد

المثقف . انني احب الناس العاديين . اريد ان اسلحهم ضد المحامين والاطباء والقسس والأدباء والاساتذة والفنانين والساسة الذين ما ان يحصلوا على السلطة حتى يصبحوا اشد طغياناً وتدميراً من كل الحمقى والانذال والمدعين . اريد قوة بسيطة بساطة تتيح للعاديين ان يستخدموها ، ولكنها قوية لتضطر حكم المثقفين على استخدام نبوغه من اجل الخير العام .

باربارة : اليست هنالك قوة اعلى من هذه ؟ (تشير الى القذيفة)

كاسنز : أجل ، ولكن تلك القوة تستطيع ان تدمر القوى العليا تماماً كما يستطيع النمر ان يدمر الانسان : ولهذا يجب أن يسيطر الانسان على هـــذه القوة أولاً . لقد اقررت بذلك حين اشترك الاتراك واليونانيون في حرب مؤخراً . لقد ذهب افضل تلاميذي ليحارب من اجل هيلاس ،ولم اعطه نسخة من جمهورية افلاطون كهدية وداع، وانما اعطيته مسدساً ومائة طلقة من صنع اندرشافت . ان دم كل تركي قتله – اذا كان قد قتل اي واحد منهم – يقع على رأسي ورأس اندرشافت . وكان ذلك العمل قد قادني الى هنا الى الأبد . لقد دحرني تحدي والدك . هل اجرؤ على ان اشن الحرب ضد الحرب ؟ يجب ، وسأفعل . والان هل انتهى الامر بيننا ؟

باربارة : (متأثرة بالالحاح في لهجته من خوف من جوابها) ايها الطفل الاحمق دولي ! كيف يكون ذلك !

كاسنز : (مغتبطاً) اذن انت ــ انت – انت – أوه ، آه لو كان معي الطبل ! (يلوح بمضارب خيالية بيديه)

باربارة : (يغضبها مرحه) خـذ حذرك يا دولي ، خذ حذرك . أوه ، لو كنت استطيـع ان اتخلص منك ومن أبي ومن كل شيء ! لو كانت لي اجنحة الحمامة لطرت الى السماء !

كاسنز : وتتركينني ؟

بارباره : أجل ، انت وكل اطفال البشر الاشرار الاخرين . ولكنني لا أستطيع . لقد كنت سعيدة في جيش الخلاص فترة من الزمن ، لقد هربت من العالم الى جنة من الحماسة والصلاة وخلاص الروح ، ولكن في اللحظة التي قلت فيها نقودنا ، عاد الامر كله الى بوجر . لقد خلص هو قومنا ، هو وأمير الظلام ، بابا . اندرشافت وبوجر : ان ايديهما تمتد الى كل مكان : حين نطعم مخلوقاً جائعاً فان ذلك يكون بخبزهما ، لانه ليس هنالك خبز آخر . وحين نزور المرضى ونعتني بهم فان ذلك يكون في المستشفيات التي يشيدونها ، فاذا غادرنا الكنائس التي يبنونها فعلينا أن نركع على بلاط الشوارع التي يبلطونها . ولن يكون هنالك خلاص منهما . واذا أدرنا ظهورنا لاندرشافت وبوجر فاننا ندير ظهورنا الى الحياة .

كاسنز : كنت اعتقد انك مصممة على ان تديري ظهرك للجانب الشرير في الحياة .

بارباره : ليس هنالك جانب شرير : الحياة كلها واحدة . ولم احاول ان اتجنب نصيبي في أي شر يجب احتماله سواء كان خطيئة أو عذاباً . أود لو استطعت أن اشفيك من افكار الطبقة المتوسطة يا دولي .

كاسنز : (لاهثاً) الطبقة الـ ... ! ذلك نفاق اجتماعي بالنسبة لي ، من ابنة لقيط !

بارباره : ولهذا فليست لي طبقة يا دولي : انني اخرج من قلب الناس جميعاً . ولو كنت من الطبقة المتوسطة لأدرت ظهري لاعمال أبي وكنا سنعيش معاً في غرفة استقبال فنية ، انت تقرأ النقد في زاوية ، وانا أجلس الى البيانو في زاوية اخرى ، اعزف مقطوعة لشومان : كلانا شخصان ساميان ، ولكننا لا ننفع أبداً . بدلاً

من ذلك كنت افضل ان اكنس سقيفة قطن المدافع ، او ان اكون بائعة خمر في احدى حانات بوجر . أتعرف ماذا كان سيحدث لو أنك رفضت عرض أبي ؟

كاسنز : أتساءل ماذا ؟

بارباره : كنت سأتخلى عنك واتزوج الرجل الذي يقبله . وبعد كل ذلك فان امي العجوز العزيزة تفكر افضل منكم جميعاً . لقد شعرت بمثل شعورها حين رأيت هذا المكان – شعرت بانني يجب ان احصل عليه – انني يجب ألا أدعه يفلت من يدي مطلقاً . ولكنها ارادت البيوت والمطابخ والكتان والفخار ، في حين انها كانت الارواح البشرية التي يمكن أن تخلص : وليست الارواح الضعيفة في الاجساد الجائعة ، تبكي شاكرة لقاء كسرة من الخبز وشيء من المرق ، ليس ذلك ، وانما الناس الشبعون المعاندون المتبجحون المتسامون ، الذين يستمتعون باجمعهم بحقوقهم وكراماتهم الصغيرة ، ظانين ان أبي يجب ان يشكرهم لانهم يكدسون له كل تلك الارباح – وكذلك يجب عليه أن يفعل ذلك . هذا هو المكان الذي تتوفر فيه الحاجة الى الخلاص حقاً . ان أبي لن يسخر بعد الآن من أن الذين اخلصهم قد ارتشوا بخبزي ومرقي (يتحول شكلها) لقد تخلصت من رشوة الخبز ، لقد تخلصت من رشوة السماء . دع عمل الله يتم من اجل ذاته : العمل الذي خلقنا من اجله لانه لا يمكن ان يتم الا على ايدي الرجال والنساء الاحياء . حين أموت ليكن مديناً لي ولست انا مدينة له ، ولأسامحه بما يناسب امرأة في مقامي .

كاسنز : اذن تكمن طريقة الحياة في مصنع الموت ؟

بارباره : اجل برفع الجحيم الى السماء والانسان الى الله وبالكشف عن نور خالد في وادي الشبح . (تحتضنه بيديها) أوه ، هل كنت تظن ان

شجاعتي لن تعود ؟ هل ظننت انني كنت سأتخلى عن مهمتي ؟ انني أنا ، التي وقفت في الشوارع واخذت قومي في قلبي ، وتحدثت معهم عن اعظم الاشياء واشدها قدسية ، أدير ظهري الى ذلك كله ، واثرثر بحماقة مع الناس المتأنقين في غرفة الاستقبال عن لا شيء ؟ مطلقاً ، مطلقاً ، مطلقاً ، مطلقـاً : ستموت ميجر بارباره وهي تؤدي واجبها . أوه ! ومعي دولي العزيز الصغير الى جانبي ، وقد وجد لي مكاني وعملي . يا لعظمة المسيح ! (تقبله) .

كاسنز : يا عزيزتي : الرأفة بصحتي الضعيفة . لا استطيـع أن احتمل كل هذه السعادة التي تستطيعين احتمالها .

باربارة : أجل : ليس من السهولة ان يقع المرء في حبي ، أليس كذلك ؟ ولكن ذلك في صالحـــك . (تهرع الى السقيفة وتنادي كالطفلة) ماما ! ماما ! (يخرج بلتون من السقيفة ، يتبعه اندرشافت) . أريد ماما .

اندرشافت : انها تخلع خفيها يا عزيزتي (يمر نحو كاسنز) حسنـــاً ؟ ماذا قالت ؟

كاسنز : لقد صعدت عالياً الى السماء .

ليدي بريتومارت : (آتية من السقيفة ، تقف على المدرجات ، قاطعـــة الطريق على ساره التي تتبعها مع لوماكس . باربارة تتشبث كالطفلة بثوب أمها) باربارة : متى ستتعلمين كيف تكونين مستقلة وتفكرين وتعملين لنفسك؟ انني اعرف ما معنى ندائك هذا – ماما – ماما . دائماً تهرعين الي !

ساره : (تلمس اضلاع ليدي بريتومارت باطراف اصابعهـــا وتقلد صوت الدراجة) بيب ! بيب !

ليدي بريتومارت : (تشعر بالاستياء الشديد) كيف تجرئين أن تقولي بيب ؟ بيب ؟ لي يا ساره ؟ انتما طفلتان شريرتان معاً . ماذا تريدين يا بارباره ؟

بارباره : اريد بيتاً في القرية لنعيش فيه أنا ودولي (تسحب ثوبها) تعالي واخبريني اي البيوت أختار .

اندرشافت : (الى كاسنز) الساعة السادسة غداً صباحاً يا يوريبيدس !

— تمت —

هذا الكتاب

في هذا الكتاب يجد القارئ مقدمة رائعة من مقدمات برنارد شو المشهورة ومسرحية عميقة ذات دلالة ومغزى كبيرين بالنسبة لتطور الاوضاع الاجتماعية في الشرق .

فأما المقدمة فانها تعطي صورة صادقة عن براعة برنارد شو وسخريته اللاذعة المعروفة وعمقه الثقافي ...

وأما مسرحية « ميجر باربارة » فهي واحدة من مسرحياته الكبيرة التي يعالج فيها الجانب الاجتماعي على ضوء مفاهيمه التي اصبحت اليوم مفاهيم عالمية تهز وتحرك وتطلق قوى هائلة من عقالها .

... إن من يقرأ مسرحية « ميجر باربارة » ومقدمتها يشعر شعوراً اكيداً بالأسف لأنه لم يقرأها منذ زمن بعيد ، ويجد مزيداً من العمق والادراك في ذهنيته ونظرته الى الحياة واطلاعه .

... « ميجر باربارة » ومقدمتها لهما حقاً جوهرتان تضافان الى كنوز المكتبة العربية ...

الثمن : ٣٠٠ ق . ل.
او : ٣٧٥ ق . س .

منشورات دار مكتبة الحياة
بيروت